حلقة دراسية حول

البُعد الأُخروي

في

رسائل النور

حلقة دراسية

حول

البُعد الأخروي في رسائل النور

أقامتها مؤسسة الثقافة والعلوم

مركز رسائل النور

استانبول

٥-٦ أغسطس ٢٠٠٦



منهجية النورسي

في الاستدلال على الحياة الآخرة

أ.د. عبد المجيد النجار
استاذ جامعي
الأمين العام المساعد للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

تمهيد

يحتلّ الإيمان باليوم الآخر موقعا أساسيا في العقيدة الإسلامية، فهو ركن من أركانها، إذا ما داخله شكّ أو جحود انهدم الإيمان بالدين كلّه. وإذا كانت ديانات سماوية سابقة، وبعض الفلسفات الإلهية قد جعلت للبعث بعد الموت موقعا فيها، فإنّ ما جاء في العقيدة الإسلامية متعلّقا بالبعث من وضوح في الصورة، ومن تفاصيل في المشاهد لم يرد مثله في أيّ دين أو فلسفة أخرى.

وبالرغم من أنّ فكرة البعث بعد الموت كانت فكرة معروفة في الثقافة الإنسانية القديمة إلاّ أنّ التصوّر الذي جاء به الإسلام في وضوحه وتفاصيله من حين الموت إلى حين الاستقرار في دار الجزاء ثوابا وعقابا قُوبل من أهل الجاهلية بإنكار شديد، إذ لم تستوعب العقول بعث الإنسان حيا بعد موته، وحسابه على أقوال وأعمال قد طوتها دهور من الزمن، وهو ما رواه القرآن الكريم في عدد كبير من آياته، وذلك مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وكانُوا

يقُولون أإذا مِتنَا وكنّا تُرابا وعِظامًا أإنّا لمبعُوثُون﴾ (الواقعة/ ٤٧)، وفي قوله تعالى: ﴿وقالَ الذين كَفرُوا هل ندلّكم على رجُلٍ يُنبّئكم إذا مُزّقتم كلَّ ممزَّق إنكم لَفي خَلقٍ جديد﴾ (سبأ/٧. ٨).

وبالنظر إلى هذا الإنكار الشديد الذي قُوبلت به عقيدة البعث من قِبل المدعوّين إليها فإنّ القرآن الكريم قد جابه هذا الإنكار ببيانات وافية تبسط الشرح في هذه العقيدة، وتستدلّ عليها باستدلالات متنوّعة، حتى لقد أخذت هذه البيانات حجما في القرآن الكريم لعلّه يفوق ما خُصّص لأي عقيدة من المعتقدات الأخرى من حجم في البيان القرآني، ولا غرو فإنّ أيّا من تلك المعتقدات لا تتوقّف العقول في تصوّرها مثلما تتوقّف في تصوّر أنّ هذا الإنسان بعدما يطويه الموت بأزمان طويلة يُبعث حيا كما كان ليُحاسب على ما قدّمت يداه في حياته الأولى.

وبالرغم مما انتهت إليه العقيدة الإسلامية بما فيها عقيدة البعث من تسليم من قِبل المؤمنين، وما آلت إليه من استقرار في الضمير الإيماني للأمّة، إلاّ أنّه ظلّت تظهر بين الحين والآخر تأويلات تتعلّق بحقيقة البعث، يثيرها بعض المؤمنين من داخل الدائرة الإسلامية، أو بعض المناوئين من خارجها، وكانت مثارا لجدل ديني واستدلالات متقابلة عمرت بها مدوّنات علم العقيدة الإسلامية، فكانت هذه المسألة من أهمّ المسائل المطروحة فيه، ولنذكر في ذلك على سبيل المثال ما تأوّله الفلاسفة المسلمون من قصرهم الإيمان بالبعث على بعث الأرواح دون الأجسام، وما قوبل به ذلك التأويل من اعتراض واسع من قِبل المتكلّمين، وما جوبه به من استدلالات لنقضه وإثبات ضدّه[1].

(١) راجع مثلا: التفتازاني ــ شرح المقاصد: ٨٨/٥ وما بعدها

وكلّما نشط الفكر المادّي في عصر من العصور نشط معه السجال في قضية البعث؛ ذلك أنّ هذا الفكر لا يؤمن إلاّ بما هو تجريبي محسوس، وإذ كان البعث غير قابل للتجربة الحسّية، وليست له شواهد في التاريخ الماضي فإنّه عندهم أمر منكر في العقل، غير متّصف بإمكان الوقوع، ذلك ما ذهب إليه الدهريون قديما، وهو ما نشط القول به في الفلسفة المادّية الحديثة، ومن المسلمين من كان له تأثّر بتلك الفلسفة، فانخرط بشكل أو بآخر في ذلك الإنكار. وكان هذا الأمر أحد الدواعي التي جعلت الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، والاستدلال عليه محورا مهمّا من محاور الاستدلال العقدي في المدوّنات الحديثة لعلم العقيدة، حتى لا يكاد يخلو أيّ منها من بسط استدلالي على عقيدة البعث. وفي هذا الإطار يتنزّل ما جاء في مؤلّفات النورسي من احتفال واسع بهذه العقيدة التي كان يسمّيها في الغالب بالحشر، شرحا واستدلالا.

١ . الاستدلال على الآخرة في التراث العقدي.

جريا على التوجّه القرآني في تكثيف الاستدلال على اليوم الآخر، وتصدّيا للمعارضات التي ووجهت بها عقيدة البعث، والتأويلات التي تناولته بالشرح، فإن علم العقيدة قد خُصّصت فيه مساحة واسعة لشرح هذه العقيدة والاستدلال عليها، فكلّ المصادر المعتبرة تجعل من هذا المبحث قسيما لبحثين آخرين هما: الألوهية والنبوة، وتدرج سائر المسائل العقدية ضمن هذه المباحث الثلاثة، وعلى هذا النحو جرى التأليف في علم العقيدة طيلة تاريخه.

وبما أنّ اليوم الآخر هو مسألة سمعية، ليس للعقل أن يعلم تفاصيلها من ذات نفسه، وليس له بالتالي أن يقيم عليها الأدلّة العقلية، وإنما تُعرف تلك التفاصيل من طريق الوحي المسموع، فإنّ الاستدلالات العقلية على هذه العقيدة كانت مساحتها محدودة إذا ما قورنت بالاستدلالات العقلية التي وردت في

ثبوت الألوهية، وثبوت النبوة، وإنما اتّجه الاستدلال فيها بصفة مكثّفة إلى الشواهد النصية التي تثبت المشاهد والمقامات التي يتضمّنها الإيمان باليوم الآخر من حشر ونشر وميزان وصراط وحساب وثواب وعقاب.

ولكنّ مسألة واحدة من مسائل اليوم الآخر هي التي حظيت باستدلال عقلي واسع، إذ قد توقّفت فيها عقول كثير من المخاطَبين بالدعوة على أوّل عهدها، والتي عارضها المعارضون وتأوّلها المتأوّلون، وهي مسألة البعث، أي بعث الناس أحياء بعد موتهم حينما تنتهي الحياة الدنيا وتبدأ الحياة الآخرة، فهذه المسألة أطنب في الاستدلال عليها المتكلّمون استدلالا عقليا. وربما وقع أيضا تناول مسألة الحساب وما يترتّب عليه من جزاء ببعض الاستدلالات العقلية من حيث ما يقتضيه ذلك من دليل عقلي على ضرورته قياسا على ما تجري به الحياة الدنيا[٢]. وقد اتّصفت جملة الاستدلالات على البعث التي حفلت بها مدوّنات علم العقيدة بثلاث صفات أساسية.

أولاها أنّ هذه الاستدلالات كانت متجهة في عمومها إن لم يكن في جميعها إلى إثبات الإمكان العقلي لبعث الإنسان حيا بعد موته، بروحه وجسمه معا، فقد تواردت الأدلّة على هذا المعنى مستخلصة مما ورد في القرآن الكريم منها، ومضافا إليها أدلّة أخرى ذات طابع فلسفي، استجابة في ذلك لتحدّي منكري البعث جملة، أو لمنكري بعث الأجساد، بناء على ما ذهب إليه هؤلاء المنكرون من استحالة هذا وذاك في العقل. وقد تركّز الاستدلال لإثبات إمكان البعث على إثبات إمكان إعادة المعدوم، وإثبات إعادة الأجسام، وردّ آراء المنكرين لهذا وذاك. وأمّا ما يتجاوز إثبات الإمكان إلى الاستدلال على ضرورة البعث ضرورة

(٢) راجع في هذه الأدلّة على البعث: الإيجي ــ المواقفات: ٢/٤٤٠

عقلية كانت أو غيرها فلم يحظ باهتمام مقدّر كما بدأ يميل إليه الاستدلال العقدي في العهد الحديث[٣].

والثانيـــة أنّ الاستدلالات على البعث في التراث العقدي كانت على وجه العموم تتّجه إلى الملكة العقلية فيه دون سائر ملكاته، إذ قد صيغت في مجملها صياغات منطقية تميل إلى الحسم بالأقيسة التي تترتب فيها النتائج على المقدمات في صياغات جافة يقتضيها الجدل الفلسفي، ومثال ذلك ما جاء في موافقات الإيجي وشرحه، وهو المعبّر عن روح هذا الاستدلال في التراث العقدي من قوله تأييدا لجواز بعث الأجساد:" أما الجواز فلأن جمع الأجزاء على ما كانت عليه وإعادة التأليف المخصوص فيها أمر ممكن لذاته كما مرّ؛ وذلك لأن الأجزاء المتفرقة المختلطة بغيرها قابلة للجمع بلا ريب، وإن فُرض أنها عُدمت جاز إعادتها ثم جمعها، وإعادة ذلك التأليف فيها لما عرفت من جواز إعادة المعدوم"[٤]. إنه إذن منهج استدلالي صارم لا يمسّ من الكيان الإنساني إلا ملكته العقلية المنطقية دون سائر ملكاته الروحية والعاطفية، وذلك هو المنهج الغالب، والاستثناءات فيه قليلة.

والثالثة أنّ الاستدلالات التراثية على البعث لم تستثمر الاستثمار الكامل ما ورد في القرآن الكريم من الأدلّة على البعث، فقد جاء في القرآن مجموعة واسعة من الأدلّة على إمكان بعث الناس أحياء بعد الموت، وهي أدلّة متنوّعة، منها ما هو ذو طابع عقلي يخاطب في الإنسان ملكاته المنطقية، مثل قوله تعالى: ﴿فسيقولون من يعيدُنا قُل الذي فطَرَكم أولَ مرّة﴾ (الإسراء/٥١). ومنها ما هو ذو

---

(٣) راجع في ذلك على سبيل المثال: وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى:٨٦ وما بعدها

(٤) الإيجي والجرجاني ــ الموافقات وشرحه: ٢/ ٤٤٢، وراجع أيضا ذات المنهج في: التفتازاني ــ شرح المقاصد: ٥/ ٨٢ وما بعدها. وابن الهمام وابن أبي شريف القدسي ــ المسايرة وشرحها المسامرة: ٢٥٧ وما بعدها.

طابع نفسي روحاني يخاطب عواطف الخوف والرجاء مثل قوله تعالى: ﴿إليه مرجِعكُم جميعا وعدَ الله حقا إنه يبدأُ الخلقَ ثم يعيده ليجزيَ الذين أمنوا وعملُوا الصالحاتِ بالقسطِ والذين كفَرُوا لهم شرَابٌ من حمِيم﴾ (يونس/٤)[٥].

إنّ هذه الأدلّة القرآنية المتنوّعة لا نجد لها صدى واسعا في الاستدلال التراثي على البعث، وإن كان لا يخلو من بعضها، وإنما وقع التركيز على الأدلّة العقلية المنطقية، التي تقتبس من الأفكار الفلسفية. وربما كان السبب في ذلك أنّ الجدل في هذا الشأن كان أكثره جاريا في مواجهة المنكرين للبعث من خارج الدائرة الإسلامية، ومواجهة المتأوّلين فيه المتأثّرين بالفلسفة اليونانية مثل ابن سينا وغيره، وهؤلاء جميعا لا يناسبهم في الجدل إلا الأدلّة المنطقية الفلسفية التي على نسقها أوردوا اعتراضاتهم وتأويلاتهم. وأما سائر المسلمين فإنهم في غنى عن هذه الأدلّة، ويكفي في تذكيرهم ووعظهم ما جاء في البعث من أدلّة سمعية في القرآن والسنّة..

٢ ـ اهتمام النورسي بعقيدة الآخرة

كان للإيمان بالآخرة اهتمام كبير عند النورسي، لا باعتبار أنّ ذلك الإيمان ركن أساسي من أركان الدين، فذلك أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يحتاج إلى واسع بيان، ولكن من حيث ما أولى هذه العقيدة من شرح، وما توسّع فيه من دعوة إليها، وما استجمع في شأنها من أدلّة، وما نوّع في بناء تلك الأدلّة، فقد بلغ ذلك في مؤلّفاته وفي مواعظه وتوجيهاته مبلغا يلفت انتباه الدارس لتراثه، إذ ما خصّصه في ذلك من حجم البيانات والاستدلالات فاق ما خصّصه لسائر مسائل العقيدة الأخرى.

---

(٥) راجع هذه الأدلة في: رؤوف شلبي – منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة: ١٥١ وما بعدها.

ومن ذلك على سبيل المثال أنّ النورسي خصّص لهذه الشروح والاستدلالات المتعلّقة باليوم الآخر تحت مسمّى الحشر ما يفوق ثمانين صفحة من كتاب الكلمات في موضع واحد، وذلك بالإضافة إلى مواضع أخرى كثيرة يستغرق كلّ منها عددا من الصفحات[٦]، ومع ذلك لا يخلو مؤلّف من مؤلّفاته الأخرى من إيراد لعقيدة البعث[٧]، إما في مقام شرح وبيان، أو في مورد نصرة واستدلال، أو في موضع إرشاد وموعظة، أو في سياق تفنيد لشبه واعتراضات واردة، بحيث يتأكّد من كلّ ذلك أنّ هذه العقيدة كانت تحتلّ في تفكيره العقدي مكانة مرموقة قد لا تضاهيها أيّة مسألة عقدية أخرى.

وربما كان من أسباب هذا الاهتمام الكبير بعقيدة البعث، وإفرادها بهذا الحجم من البيان ما كان فاشيا في عصره وفي البيئة التي يعيش فيها من نزعة مادّية متنامية، فقد كانت تلك الظروف تتطرّق فيها إلى البلاد الإسلامية بصفة عامّة، والبلاد التركية بصفة خاصّة الثقافة المادّية آتية من الحضارة الغربية المتاخمة وقد كانت سوقها نافقة فيها، ومن تجلّيات ذلك أو مما ساعد عليه قيام كمال أتاتورك بهدم الخلافة الإسلامية، واستدعائه للنظم الأوروبية في مختلف مناحي الحياة، وهو الأمر الذي صنع المناخ الملائم لفشوّ الفكرة المادية التي تنكر العالم الغيبي بما فيه الحياة الأخرى.

وقد كان النورسي مستشعرا لهذه الهجمة المادّية، باثا شكواه منها في مناسبات عديدة، وكان يدرك أنهاّ نزعة تصيب أوّل ما تصيب من معتقدات المسلم إيمانه بالآخرة، إذ بعث الأموات أحياء هو الأقرب إلى أن تناله المادّية بالعطب؛ ولذلك فإنّه تصدّى لهذه الهجمة تصدّي الواعي الجسور بأن ركّز

---

(٦) راجع ذلك في: النورسي ــ الكلمات: ٤٧ــ١٢٧، ٢٦، ٦٠٨ــ٦٣٣

(٧) راجع مثلا: النورسي: المكتوبات: ٣٢٦، اللمعات: ٢٣/، الشعاعات:٢٢٨

تركيزا شديدا على عقيدة البعث بالبيان والاستدلال للحيلولة دون أن تتأثّر قليلا أو كثيرا بالنزعة المادّية الغازية، وذلك ما أشار إليه في مناسبات عدّة منها قوله بصدد التمهيد لإثبات الحياة الآخرة:" إنّ الفكر المادّي في عصرنا قد أسكر كثيرا من الناس، فأوغل الوهم والشبهة في أبسط الأمور البديهية، فلأجل إزالة هذه الأوهام والوساوس سنشير إلى أربعة منابع فقط من بين تلك المنابع الغزيرة للحدس القلبي والإذعان العقلي"(٨)، فهذا إذن أحد أسباب اهتمام النورسي بعقيدة البعث على هذا النحو من التوسّع.

ولعلّ من بين تلك الأسباب في اهتمام النورسي بعقيدة البعث هذا الاهتمام ما وجد في هذه العقيدة من طاقة دعوية كبيرة استثمرها في تنفيذ خطّته لإحياء الإيمان في المسلمين وقد تناوشتهم أسباب الضعف من جهات متعدّدة، فمن بين سائر المعتقدات الإسلامية تبدو عقيدة البعث تحمل القدر الأكبر من التأثير في النفوس، وذلك بما تتضمّنه من مشاهد ومقامات تثير عواطف الخوف والرجاء، وترقّق المشاعر، وتدعو إلى الأوبة إلى رحاب الله كلّ من زلّت بالإنسان القدم، أو تناسى العهد في زحمة الحياة وغواية الملذّات، فيكون التذكير باليوم الآخر واستجلاب الشواهد عليه مدعاة لتلبية هذه الدعوة إلى الأوبة بما تستحضر النفوس من هول المقامات الأخروية، وجلالة الجزاء ثوابا وعقابا.

وإذ قد استشرت في البلاد الإسلامية عامّة وفي تركية خاصّة على عهد النورسي نزعة الخلود إلى المادّة وفتنها الكثيرة تأثّرا بالغزو الثقافي الغربي، وإذ قد اختار النورسي في مشروعه الإصلاحي المنهج الذي يستجمع استنهاض الروح بالرقائق واستنهاض العقل بالحجّة معا، فإنه وجد في عقيدة البعث ما

---

(٨) النورسي ــ الكلمات: ٦٠٩

يتلاءم مع هذا المنهج، فأدرج بياناته لهذه العقيدة، واستدلالاته عليها بهذا الحجم ضمن خطّته الدعوية لما رأى فيها من المؤهّلات التي تخدم تلك الخطّة.

٣ . الأسس المنهجية لاستدلال النورسي على الآخرة

يبدو أنّ النورسي قد كان يورد شروحه وبياناته واستدلالاته في خصوص عقيدة الآخرة ضمن خطّة منهجية مصنوعة، ولم يكن يورد ذلك بصفة تقليدية كما هو مستقرّ عند سائر المؤلّفين في العقيدة الإسلامية، وإذا كانت عقيدة البعث كما غيرها من المفردات العقدية غير مجموعة في سفر خاصّ بها من بين مؤلّفات النورسي على حدّ علمنا مما تظهر به جلية خصائص المنهجية التي اعتمدها، وإنما كانت مبثوثة في سائر مؤلّفاته وتوجيهاته، إلاّ أنّ المتأمّل في مجموع ما تضمّنته تلك المؤلّفات والتوجيهات من عروض تتعلّق بعقيدة البعث يتبيّن أنّها مبنية على أصول منهجية واضحة لعلّ من أهمّها ما يلي:

أ . السياق الدعوي

أشرنا آنفا إلى أنّ النورسي أدرج بياناته في عقيدة البعث ضمن سياق دعوي، إذ لم يكن هدفه من هذه البيانات مجرّد التعليم لمفردات هذه العقيدة، أو مجرّد الردّ على الخصوم المنكرين للبعث والمناوئين فيه، كما هو معهود في سائر المؤلّفات العقدية، وإنما كان هدفه الأساسي هو أن يتّخذ من عرضه لعقيدة البعث سبيلا للإحياء الإيماني الشامل في نفوس المسلمين، بحيث تعمل تلك البيانات على استنهاض الضمير الديني، وإفاقته من غفوته التي سبّبتها تراكمات عهود التخلّف، وضاعفت منها الهجمة الثقافية الغربية، فكان هذا السياق الدعوي أساسا منهجيا في عرض الاستدلال على عقيدة البعث.

وقد كان لهذا الأساس المنهجي في الاستدلالات على الآخرة أثر على بناء هذا الاستدلال وعلى ترتيبه وأسلوب عرضه، فقد جاءت هذه الاستدلالات

معروضة على نحو علاجي وليس حجاجيا، إنها تعمد إلى مخاطبة النفوس خطاب الطبيب الذي يأخذ بيد المريض من أجل شفائه من مرضه، وأما الخطاب الحجاجي الذي يندرج ضمن منطق المقارعة من أجل الغلبة والظهور فهو خطاب تكاد تكون استلالات النورسي خلواً منه. ولمّا كان من مقتضيات الدعوة الترفّق بالمدعوّ للوصول به إلى الأخذ بما يُدعى إليه، فإنّ النورسي لما أدرج استدلاله على الآخرة في سياق دعوي اقتضى منه ذلك أن يكون هذا الاستدلال في عمومه وعظيا لا حجاجيا، ومن مظاهر ذلك أنّ النورسي كثيرا ما كان يمهّد لاستدلالاته بإيراد قصص وحكايات رمزية، ومنها يأخذ في بناء أدلّته على أساس هذا المنهج الدعوي(٩).

ب. مخاطبة مجموع الكيان الإنساني

أشرنا سابقا إلى أنّ الاستدلال العقدي كما جرت عليه مدوّنات علم العقيدة كان في مجمله ينتهج منهج الاستدلال العقلي الذي يخاطب في الإنسان مداركه المنطقية، ويكاد يقتصر في هذا الخطاب على التوجّه إلى القوّة العاقلة فيه، ليقنعه من خلال تلك القوّة بحقائق العقيدة، أو ليردّ عنه الشبه الواردة عليها، وذلك في أسلوب حجاجي يقوم على الأقيسة المنطقية الصارمة. وقد ظلّ هذا المنهج هو المنهج السائد في علم العقيدة، وربّما زاد استفحالا لما اختلط هذا العلم بمفاهيم فلسفية، واستعان بعلم المنطق.

أما النورسي فإنه لم يكتف في الاستدلال على عقيدة البعث بمخاطبة هذا البعد العقلي في الإنسان، وإنما خاطب فيه كلّ القوى التي من شأنها أن يكون لها مدخل في الاقتناع بهذه العقيدة المخاطَب بها، فبالإضافة إلى مخاطبة العقل بالدليل القائم على الحجّة المنطقية، فإنه يخاطب في الإنسان حواسّه التي تلتقط

---

(٩) راجع في ذلك على سبيل المثال: النورسي ــ الكلمات:٤٨

من آفاق الكون مشاهد تدلّ على البعث، وهي وإن كانت وسائل للعقل يبني عليها الاستدلال إلاّ أنّ لها الدور الكبير في بناء ذلك الاستدلال، وهو منهج القرآن الكريم في توجيهه إلى النظر في المشاهد الكونية من أجل الوصول منها إلى القناعات العقلية؛ ولذلك فإنّنا نجد النورسي دائم التوجيه في استدلالاته إلى النظر في تلك المشاهد من أرض ونبات وحيوان وإنسان وأفلاك.

كما أنّ النورسي يتوجّه بالخطاب الاستدلالي في شأن عقيدة البعث إلى مشاعر الإنسان وعواطفه وغرائزه ليتّخذ منها مدخلا يدخل منها اليقين بهذه العقيدة، إذ لمّا كان المقصود هو أن يؤمن الإنسان الإيمان الجازم بالمعاد والحساب فإنّ هذا الإيمان قد يحصل عند بعض الناس وفي بعض الأحوال من باب غير باب العقل، وهو باب المشاعر، فينبغي إذن أن يستثمر ذلك الباب في الاستدلال، ومما يؤكّد ذلك أنّ عقيدة الآخرة بما تتضمّنه من مشاهد الحشر والحساب والثواب والعقاب لها أثر بالغ في استثارة مشاعر الإنسان وعواطفه، من خوف ورجاء، وخشية من العذاب وشوق إلى اللقاء؛ ولذلك فقد كان النورسي دائم الطرق على هذه الأبواب من أجل أن يدخل منها اليقين بعقيدة المعاد إلى الألباب، فقد بُني منهج هذا الاستدلال إذن على مخاطبة الإنسان كلاّ متكاملا في قواه الإدراكية عقلا وحسّا ومشاعر وعواطف.

جـ. التكامل الاستدلالي

العقيدة الإسلامية لئن كانت مفردات متعدّدة ألوهية ونبوّة وبعثا وقدرا وغيرها من المفردات التي تشكّل حقيقة الإيمان، إلاّ أنّها في معرض تعدّدها مفردات تمثّل وحدة متكاملة، لا من حيث إنّ الإيمان لا يكتمل إلاّ بها جميعا، ولكن من حيث كون حقائقها يفضي بعضها إلى بعض، ويكمّل بعضها بعضا، فإذا كان الإيمان بالله هو أساس الإيمان، فإنّ الإيمان بالنبوّة لا يكون له معنى إلاّ

بالإيمان بالله الذي يرسل الرسل، والإيمان بالمعاد لا يكون له معنى إلاّ بالإيمان بالرسل الذين يخبرون بهذا المعاد، وهكذا فإنّ العقيدة الإسلامية وحدة متكاملة يتداخل بعضها مع بعض، ويتوقّف بعضها على بعض.

وبناء على ذلك فإنّ الاستدلال على مفردات العقيدة ينبغي أن يكون هو أيضا استدلالا متكاملا مهما اختصّ بعض منه ببعض تلك المفردات، بحيث تكون الحلقة الاستدلالية على مجمل مفردات العقيدة مترابطة متكاملة، يؤيّد بعضها بعضا، ويستمدّ بعضها من بعض، فبعض من الاستدلالات على الألوهية يمهّد للاستدلال على النبوّة، وبعض من الاستدلال على النبوّة يمهّد للاستدلال على البعث، وهكذا في كلّ مفردات العقيدة، إذ كلّ هذه المفردات تشترك في ذات الطبيعة وهي الطبيعة الغيبية.

ولم يكن هذا المعنى قائما على قدر من الوضوح في مدوّنات علم العقيدة، بل كان التقسيم في الاستدلال بتقسيم مفردات العقيدة ينحو منحى الحدّية والمفاصلة، فكان لكلّ مفردة استدلالاتها المستقلّة بها، وكان التواصل بينها محدودا، وربّما كان من أسباب ذلك الصفة التعليمية التي صُنّفت على أساسها تلك المدوّنات، وهذه الصفة تقتضي التمييز والتفصيل من أجل الإفهام، وذلك ما هو رائج في كلّ العلوم حينما يقع التأليف فيها بغاية تعليمية.

ولكنّ النورسي لم يكن كذلك في استدلالاته على عقيدة البعث، ولا غرو فقد أشرنا آنفا إلى أنّ النورسي لم تكن صياغته التأليفية صياغة تعليمية، وإنما كانت صياغة دعوية، وهو ما جعله في استدلالاته ينتهج منهج التواصل والتكامل بين الأدلّة على مختلف مفردات العقيدة، فهو ينطلق أحيانا في الاستدلال على البعث من استدلاله على صفات الله تعالى، فيقول في ذلك مثلا بعدما يثبت لله تعالى صفة الرحمة:"إنّ رحمة خالق الكون وهو الرحمن الرحيم تدلّ على

السعادة الأبدية، نعم إن التي جعلت النعمة نعمة فعلا، وأنقذتها من النقمة، ونجّت الموجودات من نحيب الفراق الأبدي هي السعادة الخالدة ودار الخلود، وهي من شأن تلك الرحمة التي لا تحرم البشر منها"[١٠]. وعلى هذا النحو من تواصل الاستدلال صاغ النورسي مجمل استدلالاته حتى صار هذا التواصل أساسا من أسسه المنهجية في الاستدلال.

د. الاستدلال بالآفاق الكونية

لئن انتهى الاستدلال في مدوّنات علم العقيدة في مراحله المتأخّرة على وجه الخصوص إلى نزعة عقلية مجرّدة تأثّرا في الغالب بالمنطق حينما داخل العلوم الإسلامية، فإن النورسي يمكن أن نعدّه من طلائع المجدّدين من علماء العقيدة الذين عادوا بالاستدلال إلى منهجه القرآني الذي يدعو إلى جعل مشاهد الأنفس وآفاق الكون منطلقا أساسيا من منطلقات الاستدلال، إذ تتجلّى في هذه المشاهد وهذه الآفاق الآيات الدالّة على حقائق العقيدة بمفرداتها المختلفة، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿سنُريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقُّ﴾ (فصلت/٥٣).

ولذلك فقد كان النورسي في استدلاله على البعث كثيرا ما يستمدّ أدلّته من واقع النفس الإنسانية، ومن مشاهد الطبيعة الكونية، استفادة في ذلك من المكتشفات العلمية الحديثة لقوانين النفس والكون، ليوظّفها كمقدّمات يبني عليها إثباتاته لعقيدة الآخرة في مقاماتها المختلفة، فكثيرا ما كان يحلّل أغوار النفس البشرية فيما تنطوي عليه من أشواق وآمال غير متناهية ليستدلّ بها على امتداد الوجود في يوم آخر[١١]، وكثيرا ما كان يستقرئ مشاهد الطبيعة في أدقّ

---

(١٠) النورسي: الكلمات: ٦١٦

(١١) راجع مثلا: النورسي ــ الشعاعات: ٢٧٨

خصائصها التي كشف عنها العلم الحديث مثل ما بُنيت عليه من قانون النظام والغائية ليصوغ من ذلك دليلا على استمرارية الوجود لينتهي إلى غاية أخرى وإن كانت تخالف الغاية المشهودة، وتلك هي الحياة الأخرى(١٢)، وسنعرض لاحقا نماذج من هذه الاستدلالات بشيء من التفصيل، وهو ما يتبيّن معه أنّ النورسي جعل من هذا المسلك أساسا منهجيا للاستدلال.

٤ . مسالك الاستدلال على اليوم الآخر عند النورسي

إنّ هذه المبادئ المنهجية وربما غيرها مما قد يسفر عنه التقصّي في مؤلّفات النورسي هي التي اتّخذها مبادئ أساسية للاستدلال على مجمل المفردات العقدية بصفة عامّة، وعلى عقيدة البعث بصفة خاصّة، والمتتبّع لمؤلّفاته وبياناته وتوجيهاته يجد أنّ مجمل ما بناه من استدلال على العقيدة يقوم على هذه الأسس المنهجية بصورة أو بأخرى. ولكنّ هذا الاستدلال وإن كان يتأسّس على هذه الأسس إلاّ أنّه يتنوّع صورا مختلفة، ويسلك مسالك متعدّدة، تتضافر جميعا لتنتهي إلى نفس الغاية، وهي إثبات عقيدة البعث، فالناس المخاطَبين يختلفون في استعداداتهم للقَبول، لاختلاف طبائعهم، أو ثقافاتهم، أو أزمانهم، فيكون لكلٍّ مدخل يدخل منه اليقين، وتلك هي الداعية التي دعت النورسي إلى التنويع في مسالك الاستدلال على عقيدة البعث، ومن أهمّ تلك المسالك نورد ما يلي:

أ . مسلك الأنفس

استجابة للدعوة القرآنية التي توجّه إلى أن تكون النفس الإنسانية منطلقا للاستدلال على حقائق العقيدة، فإنّ النورسي كان دائم الرجوع إلى هذه النفس للتأمّل فيها، والتعمّق في أغوارها، ليتّخذ من مشاهدها مقدّمات استدلالية على حقيقة البعث، مستضيئا في ذلك بالبيانات القرآنية في حقيقة النفس الإنسانية

(١٢) راجع مثلا: النورسي: الكلمات: ١٠.

حينا، ومستعينا حينا آخر بالمكتشفات العلمية المسجّلة في علم النفس، ومستكشفا حينا ثالثا أحوال النفس بتجربة استبطان ذاتي، وهو في كلّ ذلك يسلك مسلكا واحدا يبتغي فيه إثبات عقيدة البعث، وهو مسلك الأنفس كما جاء في التعبير القرآني. وممّا بناه من الأدلّة في سلوكه هذا المسلك ما يلي:

أولا . دليل الاستعدادات الإنسانية

إنّ المتأمّل في البنية النفسية للإنسان يجد أنّه وإن كان هذا الكائن محدودا في طاقاته وقدراته الجسمية، إلاّ أنّه في طاقاته واستعداداته النفسية غير محدود، فهو يحمل من الآمال والتصوّرات، ومن الميول والرغبات، ومن القدرات والاستعدادات أقدارا غير متناهية، وفي ذلك يقول النورسي" يرى العلماء المحقّقون أنّ أفكار البشر وتصوّراته الإنسانية التي لا تتناهى، المتولّدة من آماله غير المتناهية، الحاصلة من ميوله التي لا تحدّ، الناشئة من قابلياته غير المحدودة، المدرجة في جوهر روحه كلّ منها تمدّ أصابعها فتشير وتحدّق ببصرها فتتوجّه إلى عالم السعادة الأبدية وراء عالم الشهادة هذا"[١٣].

وما ذلك إلاّ لأنّ هذه الحياة الدنيا القصيرة المدى غير كافية لأن تتحقّق فيها تلك الميول والآمال والرغبات، وغير كافية لأن تمتدّ فيها تلك القدرات والاستعدادات لتنفيذ متطلّباتها، إذ "جميع لذائذ الدنيا لا تشبع الخيال الذي هو أحد خدّام الماهية الإنسانية"[١٤]، وإذ قد تبيّن بالدرس أنّ الكون كلّه خلق على غير إسراف، فما من موجود كوني إلاّ وقدّرت طاقاته بما يستوفيها في حياته، وهذا القانون الكوني قانون" عدم الإسراف الثابت حسب علم وظائف الأعضاء في الفطرة جميعها ومنها الإنسان لَيبيّن لنا أنّه لا يمكن أن تذهب هباء فيكون

(١٣) النورسي ــ الكلمات: ٦١٦

(١٤) النورسي ــ الشعاعات:٢٧٨

إسرافا جميع الاستعدادات المعنوية والاستعدادات غير النهائية والأفكار والميول"[١٥]؛ ولذلك فإنّ هذه الآمال والطاقات الإنسانية التي لا يمكن أن تتحقّق في الحياة الدنيا لا بدّ أنّه قد هُيّئ لها وجود آخر تستكمل فيه آمالها واستعداداتها توافقا مع قانون عدم الإسراف، وتلك هي الدار الآخرة التي تتحقّق فيها كلّ آمال الإنسان وقدراته واستعداداته ورغباته.

ثانيا . دليل الشوق إلى الأبدية

في فطرة الإنسان حبّ شديد للبقاء، وشوق جارف إلى السعادة الأبدية " حتى إنّه يتوهّم نوعا من البقاء في كلّ ما يحبّه، بل لا يحبّ شيئا إلا بعد توهّمه البقاء فيه ... ولولا توهّم البقاء لما أحبّ الإنسان شيئا"[١٦]، وكلّ فطرة إنسانية يقابلها واقع موجود، ففطرة الجوع والعطش يقابلها وجود الطعام والماء، وفطرة الخوف يقابلها وجود الأعداء، وفطرة المحبّة يقابلها وجود من يُحبّ، ولو لم يكن الماء موجودا ما وجدت في الإنسان فطرة العطش، وكذلك الأمر في كلّ مكوّنات الفطرة الإنسانية، فهل يكون الأمر كذلك في كلّ مكوّنات هذه الفطرة، ويتخلّف في فطرة حبّ البقاء وعشق الأبدية؟

إن الاستنتاج العقلي يقضي بأنّ ذلك غير ممكن، وأنّه إذا امتدّت كلّ فطرة في الإنسان إلى ما يقابلها في الوجود، فإنّ فطرة حبّ البقاء يقابلها أيضا امتداد الإنسان في البقاء في حياة أخرى بعد هذه الحياة، وأنّ في ذلك الامتداد تُشبع الأشواق إلى السعادة الأبدية، وهو ما عبّر عنه النورسي في قوله:" الفطرة التي لا تكذب أبدا والتي فيها ما فيها من ميل شديد قطعي لا يتزحزح إلى السعادة الأخروية الخالدة تعطي للوجدان حدسا قطعيا على تحقّق الحياة الأخرى،

(١٥) النورسي ــ الكلمات: ٦١٤
(١٦) النورسي ــ اللمعات:٢٣

والسعادة الأبدية"[١٧]، وهو ما عبّر عنه أيضا في موضع آخر بقوله:" إنّ دار الدنيا القصيرة هذه لا تكفي ـ كما أنّها ليست ظرفا ـ لإظهار ما لا يحدّ من الاستعدادات المندمجة في روح الإنسان وإثمارها، فلا بدّ أن يرسل هذا الإنسان إلى عالم آخر، نعم إن جوهر الإنسان عظيم، لذا فهو رمز للأبدية ومرشح لها"[١٨].

لقد كانت الأنفس مسلكا للاستدلال على حقائق العقيدة عند علماء العقيدة، وهو ما تضمّنته مؤلّفاتهم عبر العصور، استجابة في ذلك للقرآن الكريم، ولكنّ الاستدلالات في هذا الخصوص كان معظمها يتعلّق بالاستدلال على الألوهية[١٩]، ولكنّ الاستدلال بالأنفس لإثبات المعاد لم يكن له رواج في التراث العقدي إلاّ أن تكون إشارات متناثرة واردة في سياقات مختلفة. أما النورسي فقد أورد الاستدلال بالأنفس على المعاد في مواضع عديدة من مؤلّفاته حتى غدا ذلك مسلكا أساسيا من مسالك استدلاله على عقيدة الآخرة.

ب. مسلك الآفاق

لعلّ هذا المسلك في الاستدلال على البعث هو أوسع المسالك التي دخل منها النورسي ليثبت هذه العقيدة، وليوجّه المخاطَبين إليها كي تكون مداخل اليقين بالآخرة إليهم، وبالإضافة إلى أدلّة كثيرة بناها بصفة أساسية على مشاهد الآفاق، فإنّ أدلّة كثيرة مما أدرجه ضمن مسالك أخرى كانت لها صلة على نحو أو آخر بآفاق الكون، استثمارا في ذلك للمكتشفات العلمية الحديثة، أو توجيها لها توجيها فلسفيا يوظّفه في استدلاله العقدي. وقد أدرج النورسي ضمن هذا المسار جملة كبيرة من الأدلّة نذكر منها على سبيل التمثيل ما يلي:

---

(١٧) النورسي ــ الكلمات: ٦١٦

(١٨) نفس المصدر :٦٢١

(١٩) راجع كتابنا: الإيمان بالله وأثره في الحياة: ١٠٠ وما بعدها.

أولا . دليل الانهيار الكوني

إنما يتمّ البعث بعد انهيار هذا النظام الكوني الذي يحيا فيه الإنسان الحياة الدنيا، فهذا الانهيار هو إذن مقدّمة من مقدّمات الحياة الأخرى، أو هو جزء من أجزائها؛ ولذلك فإنّ الاستدلال على عقيدة الآخرة يتوقّف بالضرورة على ثبوت أنّ هذا النظام الكوني آيل إلى الزوال، وإن لم يثبت ذلك أو ثبت عكسه فإنّ كلّ الاستدلالات على عقيدة الآخرة سوف لن يكون لها معنى.

وإذا كانت نصوص الوحي تخبر بأنّ نظام الكون آيل إلى انهيار كما في قوله تعالى: ﴿إذا الشمسُ كُوّرت وإذا النجومُ انكدرت وإذا الجبالُ سُيّرت﴾ (التكوير/١-٣) فإنّ هذه النصوص لا تقنع إلا مؤمنا، أما غير المؤمن فيحتاج إلى أدلّة أخرى من العقل الفلسفي أو من القوانين العلمية، وهو ما سعى فيه النورسي ببيان أنّ الموجودات الكونية إذا نُظر إليها أفرادا وُجد كلّ فرد منها مفطورا على عمر مقدّر ينتهي بعده إلى زوال في نظامه الذي يكون عليه، فالكون في جملته يكون كذلك أيضا، بحيث سينتهي بعد عمر محدّد إلى الانهيار. وتلك هي بداية اليوم الآخر.

لقد شرح النورسي هذا المعنى في قوله:" هناك [في الكون] نشوء ونماء، وإن النشوء والنماء هذا يعني أنّ له عمرا فطريا في كلّ حالة، وأن العمر الفطري يعني أنّ له على كلّ حالة أجلا فطريا، وهذا يعني أنّ جميع الأشياء لا يمكن أن تنجو من الموت، وهذا ثابت بالاستقراء العام والتتبّع الواسع، نعم فكما أنّ الإنسان هو عالم مصغر لا خلاص له من الانهيار، كذلك العالم فإنه إنسان كبير لا فكاك له من قبضة الموت"[٢٠]. وإذا كان هذا الانهيار الكوني لم يحدث بعد فإنّه بالحساب العلمي قادم لا محالة، وذلك ما شرحه في قوله:" لئن لم تحدث

---

(٢٠) نفس المصدر: ٦٢٧

للدنيا قبل أجلها الفطري وبإذن إلهي حادثة مدمّرة أو مرض خارجي، أو لم يخلّ بنظامها خالقها الحكيم فلا شكّ بحساب علمي أن سيأتي يوم يتردّد فيه صدى ﴿إذا الشمس كوّرت ... ﴾ عندئذ تظهر معاني هذه الآيات وأسرارها"[٢١]، ولعلّه يقصد بهذا الحساب العلمي ما اكتُشف من قانون التناقص الحراري الذي سينتهي النظام الكوني بمقتضاه إلى الانهيار[٢٢].

ثانيا . دليل الاستمرار

إذا كان البعث تستصعب تصوّره بعض العقول، فإن ذلك إنما هو بسبب ما يستصعبه العقل من استمرارية بقاء الإنسان حيا بعد موته المشهود للعيان، وذلك من أجل أن يتمّ حسابه ثم جزاؤه، فهذه الاستمرارية في حقيقة الإنسان التي سيتمّ في مرحلتها الثانية الحساب بالرغم من زوال مظاهره هي التي كانت مناط الإنكار من قِبل أكثر المنكرين للبعث؛ ولذلك فقد كرّس النورسي جهدا كبيرا للاستدلال على أنّ استمرارية الحقائق مع زوال المظاهر أمر ممكن تشهد به مظاهر كثيرة من مشاهد الكون.

إنّ موجودات كثيرة من موجودات الكون تقضي مدّة من وجودها لتقوم بدورها على كيفية مشهودة، ثم تختفي ليُظنّ أنها قد انقطعت عن الوجود وعن القيام بأيّ دور، ولكنّها في الحقيقه وإن تكن قد اختفت في الظاهر فما زال لها نوع من البقاء تقوم فيه بدور وإن يكن دورا غير ظاهر للعيان، ولكنه مؤثّر في الواقع، دالّ على استمرارية البقاء في حياة من نوع آخر غير نوع الحياة الأولى، وإذا كان ذلك ممكنا بل واقعا في هذه المشاهد الكونية، فإن استمرارية الإنسان

---

(٢١) نفس المصدر :٦٢٨

(٢٢) راجع في ذلك: وحيد الدين خان ــ الإسلام يتحدى: ٥٥، وراجع كتابنا: الإيمان بالله وأثره في الحياة:٧٧

في حياة أخرى بعد هذه الحياة ليقوم بدور آخر غير الدور الذي يقوم به في هذه المرحلة من الحياة الدنيا هو أمر ممكن أيضا.

ولشرح ذلك، ولبيان كيف أنّ الشيء يفنى من جهة إلا أنه يبقى من جهات كثيرة يقول النورسي:" تأمّل في هذه الزهرة وهي كلمة من كلمات القدرة الإلهية، إنها تنظر إلينا مبتسمة لنا في فترة قصيرة، ثم تختفي وراء ستار الفناء، فهي كالكلمة التي نتفوّه بها، التي تودع آلافا من مثيلاتها في الآذان، وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها، وتمضي بعد أن أدّت وظيفتها، وهي إفادة المعنى، فالزهرة أيضا ترحل بعد أن تودع في ذاكرة كلّ من شاهد صورتها الظاهرة، وبعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية، فكان كلّ ذاكرة وكلّ بذرة بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها ومحلّ إدامة بقائها"(٢٣)، وإذن فإنّ الصورة قد تزول، ولكنّ نوعا من وجودها يكون له بقاء.

ولو نظرت إلى الموجودات النباتية والحيوانية فإنّك سوف تجد كلّ خلية من خلاياها تحمل في ذاتها استمرارا لوجودها، حتى إذا ظننت أنّ تلك الموجودات قد زالت فإذا بتلك الشفرة الوراثية تنبعث بها من جديد ليستمرّ لها وجود في ظرف آخر من ظروف البقاء، فلماذا إذن لا يكون الإنسان كذلك، فينبعث من جديد بعد الموت كما تنبعث النبتة من البذرة بعد موت النبتة السابقة، فمثلا " إذا ماتت شجرة تين وتبعثرت فإن قانون تركيبها ونشأتها الذي هو بمثابة روحها يبقى حيا في بذرتها المتناهية في الصغر، أي أن وحدة تلك القوانين لا تفسد ولا تتأثّر ضمن جميع التغيرات والتقلبات، وطالما أنّ أبسط الأوامر القانونية السارية وأضعفها مرتبطة بالدوام والبقاء، فيلزم أنّ الروح الإنسانية لا ترتبط مع البقاء فحسب، بل مع أبد الآبدين"(٢٤).

(٢٣) النورسي ــ الكلمات:٨٠
(٢٤) نفس المصدر: ٦١٢

وليس نشر الأعمال للحساب في يوم آخر غير هذا اليوم الدنيوي بأمر مستغرب، إذ شواهده قائمة في هذه الحياة الدنيا، وهي شواهد دالّة على إمكانه، فلو تأمّلت في هذا الكون فإنك سوف تجد بقانون الوراثة نفسه أنّه " لكلّ ثمر ولكلّ عشب ولكلّ شجر أعمال، ولع أفعال، وله وظائف، وله عبودية وتسبيحات بالشكل الذي تظهر به الأسماء الإلهية الحسنى، فجميع هذه الأعمال مندرجة مع تاريخ حياته في بذوره ونواه كلها، وستظهر جميعها في ربيع آخر ومكان آخر، أي أنّه كما يذكر بفصاحة بالغة أعمال أمهاته وأصوله بالصورة والشكل الظاهر فإنه ينشر كذلك صحائف أعماله بنشر الأغصان وتفتّح الأوراق والإثمار"[٢٥]، وكذلك الأمر بالنسبة للإنسان، فإنه وإن قد زالت صورته الظاهرة فسيكون له يوم تنشر فيه أعماله كما نشرت أعمال النبتة بفعل بذرة البقاء.

ج. مسلك الإيمان بالله

أشرنا سابقا إلى أنّ النورسي كان منهجه في الاستدلال على العقيدة هو منهج الوصل بين الأدلّة على مفرداتها المختلفة؛ ولذلك فإننا نجده في الاستدلال على حقيقة البعث كثيرا ما يستثمر أدلّة قد تقرّرت في مفردات عقدية أخرى، وخاصّة منها تلك الأدلّة التي انتهت إلى إثبات عقيدة الألوهية، وبالأخصّ منها ما تعلّق بإثبات الصفات الإلهية، فانطلاقا من تلك الأدلّة وما انتهت إليه من إثباتات في شأن تلك الصفات ينطلق لبناء أدلّة تثبت حقيقة البعث، وقد تكرّر ذلك كثيرا في مؤلّفاته، وتحصّلت منه جملة من الأدلّة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أولا. دليل القدرة الإلهية

وهو دليل مستخرج من القرآن الكريم، وكان واسع الانتشار في مدوّنات

(٢٥) نفس المصدر: ١٢٥

التراث العقدي، ولكنّ النورسي استخدمه بتوسّع، مع إضافات في الشروح وفي ضرب الأمثلة، ومقتضاه أنّ كلّ من يؤمن بإله يتّصف بصفة القدرة فإنّ إيمانه هذا من شأنه أن يقوم له مقام الدليل على إمكان البعث؛ ذلك لأنّ هذه القدرة التي تبدّت آثارها جلية في المخلوقات الكونية العظيمة فإنّ بعث الإنسان حيا ليُحاسب ويجازى ثوابا أو عقابا سيكون داخلا في مجال تلك القدرة، فيثبت إذن إمكان هذا البعث لوقوع ما هو أعظم منه بفعل القدرة الإلهية.

وعلى سبيل المثال فإنّ قدرة الله تعالى خلقت الإنسان خلقا ابتدائيا، وهو الأمر المسلّم به، وذات هذه القدرة يمكن بها إعادة الإنسان بعد موته، بل ذلك أهون كما جاء في القرآن الكريم: ﴿كما بدأنا أوّلَ خلقٍ نُعيده﴾ (الأنبياء/ ١٠٤)، "وحيث إنّه ليست هناك مراتب قط في القدرة الإلهية الأزلية، لذا فالمقدّرات هي حتما واحدة بالنسبة إلى تلك القدرة، فيتساوى العظيم جدا مع المتناهي في الصغر، وتتماثل النجوم مع الذرات، وحشر جميع البشر كبعث نفس واحدة .. وكذا خلق الربيع كخلق زهرة واحدة سهل هيّن أمام تلك القدرة"[٢٦].

وإذا كانت هذه القدرة الإلهية في هذا العالم المشهود تصنع النقيض من نقيضه كما جاء في قوله تعالى: ﴿الذي جَعَل لكُم من الشجرِ الأخضرِ نارًا ﴾ (يس/٨٠)، فإنها يمكن أن تصنع من الموت حياة فيكون البعث، وبهذا المعنى يقول النورسي للمخاطَبين لإقناعهم بإمكان البعث : " إنكم ترون إحياء واخضرار الأشجار الميتة، فكيف تستبعدون اكتساب العظام الشبيهة بالحطب للحياة ولا تقيسون عليها؟ ". إنّ من يؤمن بقدرة الله إذن يترتّب عليه أن يؤمن بإمكان بعث الأموات أحياء، كما يرى بشهادة الحواسّ أنّ القدرة الإلهية تحيي الإنسان ابتداء، وتخرج الحيّ من الميّت والميّت من الحيّ.

---

(٢٦) نفس المصدر: ٦٢٣

ثانيا. دليل الحكمة والعدل.

لقد خلق الله تعالى هذا الكون على أساس من العدل والحكمة، فكلّ شيء فيه قائم على حكمة، ومبني على توازن، وهي حكمة لا يشوبها خلل، وتوازن لا يداخله تفاوت، وهذا النظام البديع في الكون شاهد على ذلك، سواء في تركيب الموجودات، أو في حركاتها، أو في علاقاتها ببعضها، وما زالت العلوم الكونية تكشف عن ذلك يوما بعد يوم، حتى أصبح هذا الأمر أمرا مسلّما من قِبل جميع الناس، بل إنّ هذه المظاهر من الحكمة والعدل التي يتقوّم بها الوجود الكوني من أصغر الموجودات إلى أعظمها ما زالت يوما بعد يوم تجتذب العلماء المحقّقين في أسرار الطبيعة إلى دائرة الإيمان بالله تعالى، وذلك من خلال الوقوف على مظاهر حكمته وعدله[٢٧].

ولكن بالنسبة للإنسان الذي خُلق على حرية في الاختيار، وحُمّل أمانة التكليف، فإننا نرى حياته بمقتضى هذه الحرية لا يتحقّق فيها العدل والحكمة، إذ كثيرا ما نرى ظالمين مجرمين يعيشون في الدنيا عيشة هنيئة، ولا يلقون في حياتهم عقابا على ظلمهم وإجرامهم، ونرى آخرين مظلومين ومحسنين ولكنّهم يعيشون حياة صعبة، ويتعرّضون لابتلاءات شديدة، ولا ينالون في مقابل إحسانهم جزاء، ولا مقابل مظلوميتهم عدلا، وذلك ما هو مشاهد في الحياة الاجتماعية.

ولو انتهى أمر الحياة على هذا النحو، فيذهب الظالم بظلمه دون عقاب، ويذهب المحسن بإحسانه دون ثواب، لكان ذلك خرقا لما بُني عليه الكون من

(٢٧) راجع :العلم يدعو للإيمان ـــ مجموعة من المؤلفين، وهو كتاب يتضمن مجموعة من البحوث التي تروي قصص إيمان جملة من علماء الطبيعة من خلال بحوثهم العلمية التي اكتشفوا فبها مظاهر من النظام الكوني وما يتضمنه من حكمة وعدل.

الحكمة والعدل، ولما كان الله تعالى متّصفا بهما، والحال أنّ ألوهيته تقتضي الاتّصاف بهذه الصفات، فالإيمان بهذه الصفات يقتضي إذن أن تكون حياة الإنسان ممتدّة إلى مدى أبعد من هذا المدى الدنيوي، وهو مدى أخروي يتمّ فيه العقاب للظالم المعتدي، والثواب للمحسن المظلوم، وحينئذ يتمّ التوازن والعدل، وتتحقّق الحكمة.

لقد ردّد النورسي هذه المعاني في مواقع متعدّدة، ومن ذلك قوله:" يظلّ الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقترفه من إنكار وكفر وعصيان تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامّة، مما ينافي نظام الكون المنسّق، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها، ويخالف جماله وحسنه، إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش، فلا شكّ أنّ ماهية تلك العدالة المطلقة التي يُشاهد آثارها في الكائنات لا تقبل أبدا ولا ترضى مطلقا عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يتساوون معا أمام الموت"(٢٨)، وإذن فإنّ الإيمان بعدالة الله تعالى وحكمته يمكن أن يُستدلّ بها على ضرورة البعث في اليوم الآخر.

د. مسلك المنفعة

كثيرا ما كان القرآن الكريم يعرض العقيدة الإسلامية في سياق الدعوة إلى الإيمان بها عرضا استدلاليا ببيان ما تحقّقه تلك العقيدة للإنسان من نفع في حياته الدنيا قبل حياته الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ألا بذِكرِ اللهِ تطمَئنُّ القلوبُ﴾ (الرعد/٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ومن أعرَضَ عن ذِكري فإنّ له مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه/١٢٤)، ففي الآيتين دعوة إلى الإيمان بالله في سياق استدلالي ببيان

---

(٢٨) النورسي ــ الكلمات: ١١٢

ما يؤدّي إليه ذلك الإيمان من منفعة اطمئنان القلوب، وما يؤدي إليه عدم الإيمان من شقاء المعيشة، ولا غرو فإنّ الدين كلّه والعقيدة على رأسه لم يكن إلا من أجل تحقيق النفع للإنسان.

وقد كان النورسي متقفّيا لهذا المنهج القرآني في استدلاله على الآخرة، إذ كثيرا ما كان يعرض هذه العقيدة لإقناع المخاطَبين في سياق الاستدلال عليها بما تحقّقه من نفع دنيوي، فاتّخذ إذن من المنفعة الحاصلة من الإيمان بالبعث دليلا على أن هذه العقيدة جدير بالإنسان أن يؤمن بها، وإذا كان هذا الضرب من الاستدلال يتّجه إلى إقناع المخاطَب بالإيمان بالبعث بما هو خارج عن حقيقته الذاتية وهو المنفعة التي تحصل منه، وليس بما هو متعلّق بذات تلك الحقيقة، فإنّه استدلال مشروع، لأنّه يفضي إلى ذات النتيجة، إذ ما تتحقّق به منفعة حقيقية للإنسان لا يمكن أن يكون إلا حقا في ذاته، فتثبت إذن أحقّيته الذاتية من خلال نتائجه؛ ولذلك فقد صاغ النورسي جملة من الأدلّة على عقيدة البعث من خلال ما تحققه من منافع، ومن بين تلك الأدلّة ما يلي:

أولا ـ دليل المنفعة الفردية

بيّن النورسي في مقامات عديدة من مؤلّفاته كيف أنّ الإيمان باليوم الآخر تترتّب عليه منفعة نفسية بالغة الأهمّية، وتنبثق منه للمؤمن سعادة غامرة، وتكسبه صفات حميدة ترشّد أداءه فيما قُدّر له من وظيفة خلق من أجلها، وكذلك تزول به أمراض كثيرة تغشى النفوس وتسبّب لها آلاما قد تبلغ بها مبلغ اليأس والقنوط، بل قد تبلغ درجة السعي للتخلّص من الحياة، أو تحدث فيها قصورا وعاهات تقعد بها عن أداء المهامّ المطلوب من الإنسان أداؤها في مجمل حياته أو في تصرّفاته اليومية.

ومن ذلك على سبيل المثال أنّ " ما يقلق الإنسان دوما وينغّص حياته هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبّته وأقاربه فتوهّم الإنسان .. أنّ آلافا بل ملايين الملايين من إخوانه البشر ينتهون إلى العدم بالموت ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء بعده سيذيقه هذا التصوّر ألما شديدا [ولكن حينما يؤمن بالآخرة فإنه] يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذّة الجنة، بما يشاهده من نجاة أحبته وخلاصهم جميعا من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم"[٢٩]، إنّ عقيدة تحقّق هذه المنفعة العظيمة لا يمكن إلا أن تكون حقا جديرة بأن يؤمن بها الإنسان.

وعلى سبيل المثال أيضا فإن الإنسان في خريف العمر وقد وهنت قواه، وانقطع عطاؤه، قد يشيع فيه ذلك الشعور بأنّه أصبح عالة على أهله ومجتمعه، وبأنّ حياته قد استنفدت أغراضها، وذلك ما من شأنه أن يجعله في حال من اليأس والقنوط والقلق النفسي البالغ، فتضيق عليه الدنيا بما رحبت، وتنقلب الحياة إلى عذاب أليم، وليس من منقذ من ذلك سوى الإيمان باليوم الآخر الذي يجعله يشعر بأنه مقبل قريبا على سعادة أبدية ولقاء بالأحبّة، وكلّما تقدّم به العمر اقترب من ذلك المصير السعيد، فتزداد نفسه قوّة يغذّيها الأمل، وسعادة يصنعها الشوق إلى المصير السعيد[٣٠].

ومما يثمره الإيمان بالآخرة من منفعة من شأنها أن تقنع به العقول، أو أن تقوّيه في النفوس ما يحدثه هذا الإيمان في النفس من الصبر وقوّة التحمّل، إذ لمّا تصيب الإنسان المصائب، وتلمّ به الخطوب فإنّ الإيمان بالآخرة هو الذي يقوّي من عزمه، ويشدّ من أزره، إذ يعتقد أنّ ما أصابه يمكن أن يكون له ذخرا

(٢٩) النورسي ــ الشعاعات: ٢٧٨
(٣٠) راجع: النورسي ــ الشعاعات: ٢٢٩، ٢٣٢

في دار الجزاء، ولا يمكن بحال أن يذهب سدى. وفي هذا الصدد يضرب النورسي مثلا بتجربته الشخصية فيما حصل له من مصائب بتعرّضه للسجن والقهر والإهانة والاعتداء على ممتلكاته وبالأخص منها مؤلفاته، ويقول في ذلك:" أتحمّل كلّ هذا الحزن والأسى بذلك الإيمان بالآخرة، رغم أنني ما كنت أتحمّل أية إهانة وتحكّم من أيّ أحد مهما كان .. إن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسلية وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم"[(٣١)]، ومثل هذا يحصل بالنسبة لكلّ مكروب، وكلّ مضطهد ومظلوم، وكلّ مصاب بإحدى مصائب الدنيا، فهؤلاء جميعا " ما إن يمدّهم الإيمان بالآخرة بالعزاء والسلوان إلا وينشرحون فورا ويتنفّسون الصعداء لما يزيل عنهم من الضيق واليأس والقلق والاضطراب"[(٣٢)].

ثانيا . دليل المنفعة الاجتماعية

كما يكون للإيمان بالآخرة منفعة للفرد مثلما وصفنا بعضا منها، فإنه تحصل منه أيضا منفعة اجتماعية عظيمة تتعلّق بالروابط بين أفراد المجتمع، والروابط بين هيئاته ومنظّماته، وذلك ما استثمره أيضا النورسي في الاستدلال على عقيدة البعث على نفس المنهج الذي استثمر به ما يحصل للفرد من المنافع، وجماع تلك المنفعة الاجتماعية تتمثّل في أنّ الإيمان باليوم الآخر بما يتضمنه من إيمان بالحساب والثواب والعقاب من شأنه أن يرشّد تصرّفات المؤمن مع غيره من أفراد المجتمع، كما يرشّد تصرّفات الجماعات إزاء بعضهم بعضا، إذ جميع تلك التصرّفات سوف تكون معروضة على ميزان العدالة الأخروية، وسوف تنتهي إلى ثواب أو عقاب.

---

(٣١) نفس المصدر: ٢٨٢

(٣٢) نفس المصدر: ٢٨١

وأوّل ما يثمره الإيمان بالمعاد من منفعة اجتماعية هو ما يتمثّل في ترشيد العلاقات الأسرية، فهذه العلاقات كثيرا ما تتعرّض إلى توتّرات شديدة بسبب التنازع على المكاسب الدنيوية، ورغبة كلّ طرف في الاستئثار بالمنافع على حساب الأطراف الأخرى، وذلك واقع مشهود عبر الزمن، فإذا ما استنار أفراد الأسرة بنور الإيمان بالمعاد والحساب فإنّ ذلك ما إن يحلّ بالبيت الأسري "حتى ينوّر أرجاءه مباشرة ويستضيئ؛ لأنّ علاقة القربى والرأفة والمحبّة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتدّ إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم عندئذ كلّ فرد باحترام خالص تجاه الآخرين "(٣٣).

وعلى نفس هذا النحو يفعل الإيمان بالآخرة فعله في العلاقات الاجتماعية العامّة، سواء تلك العلاقات بين أبناء المدينة الواحدة، أو العلاقات بين أبناء البلد بأكمله، أو العلاقات بين الإنسانية جمعاء، " فإن كلّ مدينة هي بحدّ ذاتها بيت واسع لسكنتها، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطرا على أفراد هذه العائلة الكبيرة، فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلّف والرياء والرشوة والخداع بدلا من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية"(٣٤).

والبلاد بأكملها ليست إلاّ بيتا واسعا جدا، والوطن بأكمله هو بيت عائلة الأمّة، فإذا ما شاع فيها الإيمان بالآخرة، فإنّ ذلك الإيمان سيفعل فعله الذي فعله في العلاقات الأسرية، وإلاّ طغت الأنانية التي تزن الأشياء بميزان دنيوي قصير، فتكون معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم

---

(٣٣) نفس المصدر :٢٨٣، وراجع أيضا: ٢٢٩

(٣٤) نفس المصدر :٢٨٣

النظام والأمن والإنسانية، وحينئذ تتسمّم الحياة الاجتماعية، فيتّصف الأطفال بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، وتصبح حياة الجماعة حياة مضطربة بائرة، ولو وُزنت الأشياء بميزان أخروي طويل لكان لهذه العلاقات الاجتماعية شأن آخر من الاستقرار والإثمار(٣٥).

يبدو أنّ النورسي كان على قدر من الوعي بالمزاج الثقافي والفلسفي السائد على عهده، وهو ذلك المزاج المتأثّر بالفلسفة النفعية الغربية التي شكّلت كثيرا من العقول على أن تتعامل مع الأفكار في سياق امتحانها بميزان الحقّ، واتّخاذ موقف القَبول منها أو الرفض بما تثمره تلك الأفكار في الواقع من منفعة للإنسان، حلاّ لمشاكله النفسية والاجتماعية، فاستثمر إذن هذا المزاج الثقافي الفلسفي، وأفسح المجال في استدلاله على عقيدة البعث للأدلّة المثبتة للمنفعة الدنيوية، كيما تكون مدخلا يدخل منه الإيمان بهذه العقيدة إلى غير المؤمنين، ويدخل منه المزيد من اليقين إلى المؤمنين بها.

وهكذا يبدو أنّ النورسي رحمه الله قد اجتهد اجتهادا واسعا ليجعل من عقيدة البعث عقيدة راسخة بما استجمع فيها من أدلّة متعدّدة متنوّعة، تخاطب في الإنسان كيانه أجمع فيما بُني عليه من قوى الاقتناع عقلا وحسّا وعواطف وغرائز، ليجد كلّ مخاطَب فيها طِلبته، ويدخل إلى الإيمان من الباب الذي يناسبه، إنّه كان ينتهج في التبشير بهذه العقيدة منهجا دعويا يخاطب فيه عموم الناس، ولم يكن يقتصر على الأسلوب التعليمي الضيّق الذي لا يُخاطَب فيه إلاّ فئة من الناس مخصوصة.

ولا شكّ أنّ هذا المنهج الذي ارتآه النورسي في الاستدلال يستوجب على الدارس من العدل ما يجعله لا يقتصر في التقييم على القياس بمقاييس العقل

(٣٥) راجع في ذلك: نفس المصدر: ٢٨٩

المجرّد الصارم في موازينه المنطقية، إذ هو قد وسّع الاستدلال ليشمل مناطق القوى الروحية أيضا، وإلا فإننا قد نجد في استدلالات النورسي ما يستحقّ التعقيب والمراجعة، وكفى هذا المنهج حكمة أن يجد فيه كلّ مسلم طلبته مهما كان حظّه من العلوم العقلية والمنطقية، وليس الأمر كذلك في الكثير إن لم يكن في الأكثر مما أُلّف في العقائد الإسلامية.

والله ولي التوفيق



ثبت المراجع

ـ الإيجي (عبد الرحمن بن أحمد، عضد الدين، ت٧٥٦ هـ)

١ ـ المواقف، ط بولاق، القاهرة ١٩١٣

ـ التفتازاني (مسعود بن عمر، سعد الدين، ت ٧٩٣ هـ)

٢ ـ شرح المقاصد، ط منشورات الشريف الرضي، ١٣٧٠)

ـ الجرجاني (علي بن محمد الشريف، ت ٨١٦ هـ)

٣ ـ شرح المواقف (ط بولاق، القاهرة ١٩١٣) ـ رؤوف شلبي

٤ ـ منهج القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية (ط منشورات المكتبة العصرية، بيروت (د.ت)

ـ القدسي (محمد بن محمد بن أبي شريف، ت ٩٠٦ هـ)

٥ ـ المسامرة بشرح المسايرة (ط مطبعة السعادة، القاهرة (د.ت) ـ عمار جيدل

٦ ـ حقيقة مقاصد رسائل النور (ط دار النيل، مصر ٢٠٠٥)

ـ مجموعة من المؤلفين

٧ ـ العلم يدعو للإيمان ، ترجمة: محمود الفلكي (ط دار القلم، بيروت ١٩٨٦.

ـ النجار (عبد المجيد)

٩ ـ الإيمان بالله وأثره في الحياة، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧

ـ النورسي (بديع الزمان سعيد)

ـ الكلمات، الشعاعات، المكتوبات، اللمعات (ضمن كليات رسائل النور، قرص مدمج)

ذكرى الدار

أ.د. محمد زكي محمد خضر
الجامعة الأردنية

مقدمة

هذا البحث هو إجابة على سؤالين هما: لماذا اهتم النورسي رحمه الله في رسائل النور بهذا القدر من ذكر الآخرة ؟ ولماذا كان لهذا الذكر ذلك التأثير على طلبة رسائل النور؟

نحاول إستشراف الإجابة على ذلك من خلال تفحص تفسير ثلاث آيات هي الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾

فالآيات تشير إلى كل من سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب عليهم السلام ولعل من البديهي أن يتحقق ما في هذه الآيات ذلك على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يتحقق في من تخلق بأخلاق هذه الآيات. ولعل النورسي رحمه الله أدرك ذلك فحاول أن يعطي هذه الآيات

حقها بأن يتخلق بأخلاق هذه الآيات ومن ثم نرجو أن يلحق الله بأولئك المرسلين من سار على هداهم .

ولغرض تبيان تفاصيل ذلك نعرض تفسيرًا مفصلاً لهذه الآيات.

القراءات القرآنية المتواترة الواردة في هذه الآيات

وردت كلمة عبادنا في بعض القراءات المتواترة بصيغة عبدنا وهي تشير إلى إبراهيم عليه السلام ولذلك إحتمالان : إما عليه لوحده وذلك لتبيان مزيد شرفه وإبراهيم عطف بيان وقيل هي بدل وقيل نصبت بإضمار أعنى. أما الباقيان (إسحاق ويعقوب) عطف على عبدنا. وإما الإحتمال الثاني على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع.[١] وعلى هذه الصيغة كذلك فإن إسحاق ويعقوب هم من نسله فناب عنهم في الحكم.

وقرأ الجمهور أولى الأيدى بإثبات الياء فى الأيدى وقرأ ابن مسعود والأعمش والحسن وعيسى الأيد بغير ياء فقيل معناها معنى القراءة الأولى وإنما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها.[٢] وتقرأ أولي الأيد بغير ياء في الوصل والوقف وقد يحتمل أن يكون ذلك من التأييد ويحتمل أن يكون بمعنى الأيدي ولكنه أسقط منه الياء كما قيل يوم ينادي المناد بحذف الياء.[٣] وكذلك الجوار المنشآت في البحر كالأعلام[٤] ويجوز أن يكون حذف الياء تخفيفًا.[٥]

---

(١) تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣) الطبري في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٤) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٥) القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

وقراءة العامة بخالصة منونة وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم وقرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى الدار بالإضافة ، فمن نوّن خالصة فإن ذكرى الدار بدل منها والتقدير إنا أخلصناهم بأن يذكروا الدار الآخرة ويتأهبوا لها ويُرَغِبوا الناس فيها. ويجوز أن يكون خالصة مصدر لخلص وذكرى في موضع رفع بأنها فاعله.[٦]

معنى قوله تعالى : "أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ"

أولي الأيدي يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والقوة فيما أمر الله وطاعته ونصر الدين[٧] . وأهل التفسير يقولون إنها القوة فى الدين وقوم يقولون الأيدى جمع يد وهى النعمة أى هم أصحاب النعم أى الذين أنعم الله عز وجل عليهم ، وقيل هم أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرًا. واختار هذا ابن جرير.[٨] كما قيل أنهم أولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبّر بالايدي عن الاعمال لأن اكثرها تباشر بها.[٩] وذكر الأيدي مثل على ذلك ، وذلك لأن باليد البطش وبالبطش تعرف قوة القوي فلذلك قيل للقوي ذو يد.[١٠]

والأبصار أي البصيرة النافذة والعقل والفقه في الدين[١١] أي يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى[١٢] وعبّر بالابصار عن المعارف لأنها اقوى

---

(٦) القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٧) تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٨) فتح القدير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٩) تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٠) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١١) تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٢) الثعالبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما.[١٣] وعنى بالبصر بصر القلب وبه تنال معرفة الأشياء.[١٤]

مما سبق يتبين أن وصف الله عز وجل لعباده الذين اصطفاهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم محمد صلى الله عليهم جميعًا ومن سار على نهجهم من عباده الصالحين أنهم مجاهدون يأخذون بالعزائم بقوة غير متراخين ولا متواكلين فهم أقوياء في العبادة والعمل الصالح وفعل ما أمر الله ونصرة الدين وهم ذوو فضل وعون وإحسان لخلق الله وهم يدعون إلى الله على بصيرة وعلم وفقه في الدين وينظرون بنور الله. هذه صفات أولئك ولا يلحق بهم من غيرهم إلا من اقتفى أثرهم في فعل ذلك.

معنى قوله تعالى: "أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ"

قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم غيرها. وكذا قال السدي ذكرهم للأخرة وعملهم لها. وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها. وكذا قال عطاء الخراساني وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها.[١٥] ومن أضاف خالصة إلى الدار فهي مصدر بمعنى الإخلاص والذكرى مفعول به أضيف إليه المصدر أي بإخلاصهم ذكرى الدار. ويجوز أن يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص أي بأن خلصت لهم.[١٦]

---

(١٣) تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٤) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٥) تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٦) القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

وقيل معناه إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار، أي أنهم كانوا يُذكِّرون الناس الدار الآخرة ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة هو ذِكر[١٧] قال ابن زيد في قوله "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ" قال بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به وأعطيناهم إياه.[١٨] وعن مجاهد رضي الله عنه "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ": قال بذكر الآخرة وليس لهم همّ ولا ذكر غيرها.[١٩] قال أبو جعفر والمعنى على هذا القول أنهم يذكرون الآخرة ويُرغبون فيها ويزهدون في الدنيا(٦).[٢٠] وقيل إنا أخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل أي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمى وقوله تعالى " ذِكْرَى الدَّارِ" بيان للخالصة بعد إبهامها للتفخيم أي تذكر للدار الاخرة دائما، فإن خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها. وذلك لأن مطمح انظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك إلا في الاخرة.[٢١] قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة [٢٢] وقال مجاهد معنى الآية استصفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها[٢٣] إنا أخلصناهم أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين فأفردناهم بمفردة من خصال الخير. وقرأ نافع بخالصةِ ذكرى الدار

---

(١٧) الطبري في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٨) الطبري في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(١٩) الدر المنثور في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٠) معاني القرآن في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢١) تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٢) البغوي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٣) فتح القدير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

فأضاف خالصة إلى ذكرى الدار. قال أبو علي تحتمل قراءة مَن نوّن وجهين أحدهما أن تكون ذكرى بدلاً من خالصة والتقدير أخلصناهم بذكر الدار والثاني أن يكون المعنى أخلصناهم بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة والزهد في الدنيا ومن أضاف فالمعنى أخلصناهم باخلاصهم ذكرى الدار بالخوف منها.[٢٤]

مما تقدم يتبين أن الله قد اختصهم واصطفاهم وشرّفهم عليهم الصلاة والسلام بشرف عظيم هو تذكرهم للآخرة وتذكيرهم الناس بها وقد تلبسوا بذكر الآخرة هذا فأخذ عليهم حياتهم فنزع الله عنهم حب الدنيا فزهدوا فيها وأعرضوا عن مفاتنها وأحبوا الآخرة وتفرغوا لها بل واستعملوا ما في الدنيا للعمل للآخرة. قال تعالى :" تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " (القصص:٨٣)

معنى قوله تعالى: "ذِكْرَى الدَّارِ"

قال السدي ذكرهم للأخرة وعملهم لها. وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة.[٢٥] وذكرى الدار تذكير الدار الآخرة[٢٦] بذكر الآخرة أي يذكرون الآخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا[٢٧] وقرئ بإضافة خالصة إلى ذكرى أي بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراها بهم بذكر آخر اصلاً أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذِكْرَى الدَّارِ الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم [٢٨] وقال قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل

(٢٤) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٥) تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٦) القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٧) القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٢٨) تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة وقيل معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. قال ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلاً عن الخالصة[٢٩] والذكرى بمعنى التذكر أي خلص لهم تذكر الدار وهو أنهم يذكرون التأهب لها ويزهدون فى الدنيا وذلك من شأن الأنبياء. وأما من أضاف فالمعنى أخلصنا لهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل والذكرى على هذا المعنى الذكر[٣٠] أنهم يدعون الناس إلى الآخرة وإلى عبادة الله تعالى[٣١] وتعريف الدار للعهد أي الدار الأخرة وفيه إشعار بأنها الدار في الحقيقة وإنما الدنيا مجاز أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة جليلة الشأن لا شوب فيها هي تذكرهم دائما الدار الآخرة ، فإن خلوصهم في الطاعة هو بسبب تذكرهم إياها وذلك لأن مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون ويذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك إلا في الآخرة.[٣٢]

معنى قوله تعالي: "الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ"

وقوله تعالى "وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ" أي لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون[٣٣] لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خيِّر أو خير مخفف منه كأموات في جمع ميّت وميت[٣٤] والأخيار جمع خير.[٣٥] قوله تعالى

(٢٩) البغوي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣٠) فتح القدير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣١) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣٢) الشعاعات للنورسي صفحة ٢٦٢- ٢٩٣
(٣٣) تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣٤) الثعالبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص

"وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ" أي من الذين اتخذهم الله صفوة فصفاهم من الأدناس. "الأَخْيَارِ" الذين اختارهم[٣٦] المختارين من بين أبناء جنسهم. وفيه إعلال معروف. وعندنا يجوز فيه أن يكون من صلة الخبر وإن يكون من صلة محذوف دل عليه لمن المصطفين أي وإنهم مصطفون عندنا. والظاهر أن الجملة عطف على ما قبلها وتأكيدها لمزيد الإعتناء بكونهم عنده تعالى من المصطفين من الناس الأخيار الفاضلين عليهم في الخير وهو جمع خير مقابل شر الذي هو أفعل تفضيل في الأصل.[٣٧]

وهكذا فقد وصف الله تعالى إبراهيم واسحاق ويعقوب بأنهم من الذين اصطفاهم ممن هم على شاكلتهم ومن خير الناس. وهذه إشارة واضحة للدعوة بالسير على نهجهم والتأسي بهم ومن ثم نيل ما نالوا من مكانة.

الآخرة في القرآن الكريم

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من ذكر الآخرة بشكل من الأشكال فقد وردت ذكرالآخرة في القرآن الكريم نحو ١١٥ مرة وذكر اليوم الآخرويوم الدين نحو ٤٠ مرة وورد ذكر الجنة نحو ١٢٨ مرة وكلمة جهنم ٧٧ مرة والقيامة ٧٠ مرة والحشر ٣٩ مرة وورد ذكر الآخرة بمقدماتها كالواقعة وتكوير الشمس وانفطار السماء وانشقاقها وغير ذلك من أوصافها بتفصيل كبير وبوصف دقيق. لذلك فلا عجب أن يكون الإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخرهي أركان الدين الأساسية.

---

(٣٥) الواحدي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣٦) زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
(٣٧) الشعاعات للنورسي صفحة ٢٦٢- ٢٩٣

ذكرى الدار الآخرة عند النورسي

ذكر الأخرة عند النورسي يرد في صفحات رسائل النور بشكل دائم سواء ظهر بشكل واضح مباشر أم بشكل غير مباشر. وقد سلك النورسي في التعامل مع الآخرة مسالك متنوعة وحاول تقريبها للأذهان بوسائل مختلفة. وبالأخص من هذه الوسائل وسيلتان: أولاهما الوسائل النقلية والشرعية وثانيهما الوسائل العقلية المنطقية.

يقول النورسي: نسأل الله سبحانه وتعالى عن "الآخرة" فيخاطبنا - جل وعلا- بجميع أوامره وبجميع رسله الكرام وبجميع اسمائه الحسنى وبجميع صفاته الجليلة قائلاً لنا : الآخرة لا ريب فيها ، وأنتم مساقون إليها. فهو يشير إلى أن الإيمان بالآخرة مرتبط بالإيمان بالله وبكتبه وبرسله فهو يقول: لقد ورد ذكر الآخرة وما يتعلق بها بما يقرب من ثلث آيات القرآن الكريم وورد ذكرها في آلاف الأحاديث النبوية الشريفة.

وإن أسماء الله الحسنى: الحكيم و الحكم والعدل والعادل و الأول والآخر والظاهر والباطن والسميع والمجيب والرحيم والمحيي والمميت والحي والقيوم والقدير والعليم والرحمن والكريم والجميل والحق والحفيظ تشير إلى ضرورة وجود الآخرة فأسماء الله الحسنى : تشير إلى ذلك.

كما أن كلمة (الله أكبر) تجيب عن سؤالنا حول الآخرة إجابة قصيرة وقوية في ذات الوقت ، وإن جملة (الحمد لله) هي الأخرى تذكر بالحشر وتستدعيه إذ تقول لنا "لا يتم معناي دون الآخرة" لأن معناي يفيد : "كل حمد أو شكر يصدر من أي حامد ويقع على أي محمود كان ، ابتداء من الأزل الى الأبد ، هو خاص به سبحانه" ولأن السعادة الأبدية هي أصل جميع النعم وذروتها ، وهي تحيل النعم نعمًا حقيقية لا تزول ولا تحول وهي التي تنقذ جميع ذوي الشعور من

مصائب العدم وتخلصهم منها ، لذا فهي وحدها يمكن أن تقابل معناي الكلي.

أما كلمة "سبحان الله" فإنها تعني: تنزيه الله سبحانه وتقديسه من كل شريك وتقصير ونقص وظلم وعجز وقسوة وحاجة وحيلة، وكل ما يخالف كماله وجماله وجلاله. وهذا المعنى يذكر بالسعادة الأبدية ويدل على الآخرة التي هي محور عظمته سبحانه وجلاله وكماله ويشير أيضًا إلى ما في تلك الدار الآخرة من جنة نعيم ويدل عليها.

فسلطنة ربوبية الله عز وعلا وعظمتها إذًا ، وأغلب أسماء الله الحسنى وجميع دلائل وحجج وجوب وجوده سبحانه وتعالى ، تشهد جميعًا وتدل على (الآخرة) وتقتضيها.

ليس هناك سلطان عظيم دون أن يكون له ثواب للمطيعين وعقاب للعاصين كما أن النبتة تنمو وتكبر وتزهر وتثمر وتيبس وتموت ثم تبعث مرة أخرى والأرض تخبر بإمارات لا حد لها عن مجيئ ربيع خالد وصبح سرمدي بعد شتاء الدنيا الفانية المظلم.. تخبر عنه بحتمية مجيئ الصبح لهذا الليل وبقطعية مجيئ الربيع بعد هذا الشتاء.. فما أن يحل الربيع الزاهي حتى ترى الرحمة تزين الأشجار والنباتات المثمرة وتلبسها ثيابًا خضرًا ..فالذي له الرحمة الواسعة وله الرافة العامة والكرم السابغ ، لا ريب أنه يفني ولن يعدم عباده المؤمنين المحببين لديه ، اؤلئك الذين رباهم ومن عليه .. بل سينهي وظيفتهم في الحياة الدنيا ليهيأهم لرحمات أوسع وأعظم. وبهذا يجيبنا اسم الله "الرحمن" و"الكريم" من الأسماء الحسنى عن سؤالنا حول الآخرة قائلين لنا "الجنة حق".

وترى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به وتنسقه بموازين دقيقة حساسة.. فضلاً عن أن تهب لكل ذي حياة حق الحياة، فتيسر له سبل الحياة وتنصب له موازين عدالة فائقة فجزاء الحسنة حسنة مثلها

وجزاء السيئة سيئة مثلها... وتلك العدالة السرمدية لن تتحقق تحققًا كليًا إلا بحياة أخرى خالدة.. فلابد إذن أن تكون هناك حياة أخرى خالدة كي تستكمل الحكمة والعدالة حقيقتهما. وبهذا يجيبنا إسم الله "الحكيم" و"الحكم" و"العدل" و"العادل" من الأسماء الحسنى عن سؤالنا حول الآخرة.[٣٨]

ثمرات الإيمان بالآخرة عند النورسي

الثمرة الأولى: حدثت خيالي.. أي الأمرين تفضل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي إلى العدم أم وجودًا باقيًا مع حياة إعتيادية شاقة؟ فرأيته يرغب في الثانية ويضجر من الأولى..فكم يكون الإيمان بالآخرة إذا كنزًا عظيمًا كافيًا ووافيًا لهذا الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي.

الثمرة الثانية: إن ما يقلق الإنسان دومًا هو تفكيره في مصيره وكيفية دخوله القبر .. فتوهم أن الآلاف بل الملايين من إخوانه البشر ينتهون إلى العدم.. وحينما يتلوى الإنسان من ذلك العذاب يأتي الإيمان بالآخرة فاتحًا بصيرته مزيلاً الغشاوة عن عينيه قائلاً له انظر فينظر بنور الإيمان فإذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة.

الثمرة الثالثة : إن مقام الإنسان الراقي وتفوقه على سائر الأحياء وامتيازه عليهم إنما هو لسجاياه السامية .. فالإنسان المنحصر في الحاضر فقط المنسلخ عن الماضي والمبتوت الصلة بالمستقبل يولي المحبة لأبيه وأخيه وزوجته، ويقوم بخدمتهم على وفق مقاييس ضيقة فلا يرقى أبدًا إلى مرتبة الصدق في الوفاء ولا إلى مكانة الإخلاص في الصداقة ولا إلى درجة الود المصفى من

---

(٣٨) الشعاعات للنورسي صفحة ٢٦٢- ٢٩٣ والكلمات للنورسي صفحة ١٠ و ٢٨

الشوائب في المحبة.. ولكن ما أن يأتي " الأيمان بالآخرة" إلى هذا الإنسان لينقذه ويمده ويغشيه حتى يحول ذلك الزمن الضيق إلى زمان فسيح يستوعب الماضي والمستقبل معًا.. وعندئذ يقوم هذا الإنسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الأبوة الممتدة إلى الأبد ..

الثمرة الرابعة: إن الأطفال ... لا يمكنهم أن يعيشوا عيشة انسان سوي ينطوي على نوازع إنسانية إلا بالأيمان بالآخرة. إذ لولا هذا الأيمان لأضطروا أن يقضوا حياة ملؤها الوقاحة والإضطراب.. والشيوخ لا يرون السلوان حيال انطفاء حياتهم قريبًا ودخولهم تحت التراب .. إلا بالأيمان بالآخرة ... لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيرًا فإن لكم شبابًا خالدًا وهو أمامكم وسيأتي حتمًا...وكذا الشباب...فإذا ما فقدوا الأيمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم فإن أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر.. فهو يخاطب نفسه : على الرغم من أن شرطة الحكومة وعيونها لا يمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم فإن ملائكة السلطان الأعظم ذي الجلال الذي يمثل سجن جهنم .. يسجلون عليّ سيئاتي...وكذا المرضى والمظلومون .. فإن لم يعنهم الأيمان بالآخرة وإن لم يتسلوا به فإن الموت الذي يجدونه أمامهم دائمًا بما عندهم من مرض .. والإهانة التي يرونها من الظلمة دون أن يتمكنوا من الإقتصاص منهم .. واليأس الأليم النابع مما أصاب أموالهم وأولادهم ... كل ذلك يصيّر الدنيا سجنًا كبيرًا .. ولكن ما أن يمدهم الأيمان بالآخرة بالعزاء والسلوان إلا وينشرحون فورًا ويتنفسون الصعداء..[٣٩]

---

(٣٩) الشعاعات للنورسي صفحة ٢٦٢– ٢٩٣

الخلاصة

لقد تنبه النورسي رحمه الله إلى أهمية تذكر الآخرة وتأثير ذلك على الإيمان. ولذلك تذكرها في دقائق حياته بصدق وامتزجت بدمه ولحمه فسال ذكرها بين ثنايا قلمه حين كتب رسائله وانتشرت بين ثناياها فكان أن حصل على ثمراتها هو ومن استجاب لرسائله ، لأنها تؤدي إلى اصطفاء من تذكرها من قبل الله تعالى ومن اصطفاه الله أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة كما ذكر الله تعالى عن سيدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب. ويجدر بمن يسلك طريق الدعوة إلى الله أن لا تشغله مشاغل الدنيا عن تذكر الآخرة ، فذلك هو صمام الأمان أن لا يزيغ الدعاة عن الصراط المستقيم.

المراجع

١- تفسير ابن كثير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٢- القرطبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٣- الطبري في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٤- الدر المنثور في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٥- تفسير الصنعاني في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٦- معاني القرآن في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٧- الثعالبي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٨- تفسير أبي السعود في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
٩- الحجة في القراءات في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٠- الواحدي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١١- البغوي في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٢- فتح القدير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٣- زاد المسير في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٤- أحكام القرآن في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٥- حجة القراءات في تفسير الآيات ٤٥-٤٧ من سورة ص
١٦- الشعاعات للنورسي صفحة ٢٦٢- ٢٩٣
١٧- الكلمات للنورسي صفحة ١٠ و ٢٨

عقيدة الآخرة

أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية

أ.د عمار جيدل
جامعة الجزائر

شاع بين الناس أن الاهتمام بالآخرة ميل عن الدنيا، حتى غدا عند بعض المنتسبين لخط الإيمان أن قراءة القرآن نفسها دليل ميل عن الاهتمام بالدنيا لصالح الاهتمام بالآخرة، تلك حال أمتنا مشرقا ومغربا، وقد وجد بديع الزمان النورسي هذا التصور شائعا منتشرا، فعمل على تجاوزه، والتنبيه إلى أهمية الآخرة في الفلاح في الآخرة والنجاح في الدنيا، فانتهى إلى نتيجة صريحة واضحة أكد فيها أن:

"**عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية**"[1]

ولاشك أن حياة الإنسان الاجتماعية و الفردية تستغرق الدنيا والآخرة، فليست قاصرة على الآخرة بل تشملها والدنيا، حتى غدا الاهتمام بصلاح الآخرة عين الاهتمام بصلاح الدنيا في فكر الأستاذ بديع الزمان النورسي، وقد جعلها الأستاذ من البداهة والوضوح ما يمنع الشبهة عنها ويدفع عنها الريب. اتسمت

---

(١) انظر الكلمات ١٠٤، الشعاعات ٢٢٨

رسائل النور بالبساطة والوضوح، وقد ظهرت تلك الميزة فيما كتبه أيضا عن الآخرة، وتحقيقا لهذا المسلك تبنى التركيز على ضرب الأمثلة، وفي ذلك يقول: "إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كنايةً. فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادق"(٢)

ويعتمد في بيان حقيقة الآخرة سرد القصص الهادفة، ومخاطبة النفس طريقا لمخاطبة الآخرين، فينال القارئ والمتسمع معرفة وخبرة مستمدة من مزاولة يدفعك إلى النسج على منوالها، إنه حقيق بأن يسمى بمسلك الترقي من التحصيل إلى المزاولة، تحصيل المعرفة بحقيقية الإيمان بالآخرة ومزاولة ما انتهى إليه النورسي من نتائج وثمار جناها من التفكر الإيماني الجامع بين المعارف الإيمانية، إنها ترقية تساعدك على أن تكون سلطان نفسك فتنظر ببصرك وبصيرتك للترقي إراديا بتوفيق من الله.

نستشف تجربة النورسي في الترقي من المعرفة إلى المزاولة بقصد السنج على منواله للترقي الذاتي من المعرفة نفسها إلى مزاولة مقاصدها الاجتماعية والعمل على تحقيقها والتحقق بها، يستفاد هذا المعنى من قوله رحمه الله: "حتى يمكنني القول أنه: "لولا الإيمان بالآخرة الذي أمدني وإخواني في مصيبتنا الرهيبة ودخولنا السجن هذا – دون ذنب اقترفناه – لكان تحمّل مرارة يوم واحد من أيام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة إلى ترك الحياة ونبذها. ولكن شكراً لله – بلا عد و لا حد – أن جعلني أتحمل آلام كثير من

---

(٢) الكلمات ٤٧

إخواني الذين هم أحب إلي من نفسي وأتحمل ضياع آلاف من رسائل النور التي هي أعزّ من عيوني، وأتحمل فقدان كثير من مجلداتي الزاهية الثمينة جداً.. **فأتحمل كل هذا الحزن و الأسى بذلك " الإيمان بالآخرة" رغم أنني ما كنت أتحمل أية إهانة وتحكّم من احدٍ مهما كان، فاني اقسم لكم - لتطمئنوا - أن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسلية، وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم في هذا الامتحان إلى حدّ بتّ أعدّ نفسي في مدرسة كلها خير وجمال**. وحقٌ أن تطلق عليها "المدرسة اليوسفية" كما ذكرته في مستهل هذه الرسالة، فلولا المرض الذي كان ينتابني أحيانا، ولولا الحدة الحاصلة من الكهولة لكنت أسعى بجد أكثر لأتلقى دروسي في هذه المدرسة مع ما أحمله من اطمئنان وسكينة قلب.. على كل حال فقد خرجنا عن الصدد أرجو العفو عن هذا الاستطراد."[٣]

ترى محاولات التربية عل الترقي من المعرفة إلى المزاولة في مجموع رسائل النور، وقد تجلى الاهتمام بها في عرض مسألة الآخرة وأبعادها الاجتماعية، فيتوزع الاهتمام بها على مجموع رسائل النور[٤]، فلا يكاد يخلو جزء من تناول المسألة بأساليب مختلفة، وقد نجد أحيانا النص الواحد مكررا بكلماته وحروفه[٥].

عمد النورسي إلى تبني هذا الأسلوب لغرض وظيفي مفاده، التيسير على قارئ الرسائل، فيكتشف الحديث عن الآخرة في كل الأجزاء، فتغني مطالعة بعض الرسائل عن مطالعة بعضها آخر في أحيان كثيرة.

---

(٣) الشعاعات ٢٨١

(٤) عرضت في مجموع الرسائل منها على سبيل المثال لا الحصر، الكلمات، المكتوبات، الشعاعات،اللمعات، المثنوي العربي النوري، صيقل الإسلام، وقد عرضت بأساليب متباينة تتشابه إلى حد كبير

(٥) قارن بين الكلمة العاشرة ١٠٤ وما بعدها من الكلمات ،و الشعاعات ٢٢٨-٢٣٩

و لخص بيان المسألة في نقطتين[٦]:

أولاهما: نتيجة جامعة من بين النتائج الحياتية و الفوائد الروحية، وهي ضرورية للحياة الإنسانية ولاسيما الاجتماعية: بين من عنوانه المختار أن الإيمان بالحياة الآخرة لا ينفصل عن الحياة الإنسانية ولا سيما في شقها الاجتماعي، بل تعد أظهر مظاهرها. وقد ركز الأستاذ على بيان أهمية الإيمان بالآخرة للمجتمع والحياة الفردية والاجتماعية، فيذكر غير ما مرة أن الدنيا مزرعة الآخرة، فيحصد في آخرته بقدر قدم في دنياه[٧]، دنياه التي تشمل عناصر الحياة كلها.

عرض الأستاذ فكرة أهمية الآخرة بالتوقف عند مكونات المجتمع، فعرض أهميتها بالنسبة للشباب والمراهقين النصف الأول من المجتمع[٨]، كما سلك المسلك نفسه في إثبات أهمية الإيمان للشيوخ النصف الثاني من المجتمع[٩]،

(٦) انظر الكلمات ١٠٢ و ما بعدها.و الشعاعات ٢٢٩،و ما بعدها

(٧) انظر الشعاعات ٢٨٩، الملاحق ٤١١

(٨) ذكر وفق أساس آخر أن الشباب يمثلون ثلث البشرية، قال رحمه الله: "_وكذا" الشباب" الذين يمثلون ثلث البشرية، قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة. فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان، وهم مغلوبون على أمر حواسهم ونوازعهم، فإذا ما فقد هؤلاء الشباب "الإيمان بالآخرة" ولم يتذكروا عذاب جهنم، فان أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر، إذ قد يدمر احدهم سعادة بيت آمن هنئ لأجل لذة طارئة، ومن ثم يذوق وبال أمره عذابا لسنين عديدة في مثل هذه السجون فيتحول إلى ما يشبه الحيوان الكاسر" الشعاعات ٢٨١

(٩) ذكر وفق أساس آخر أنهم يمثلون الربع، قال رحمه الله: " وكذا" الشيوخ" الذين يمثلون ربع البشرية، فإنهم لا يرون السلوان حيال انطفاء حياتهم قريبا، ودخولهم تحت التراب، وقد أوصدت الدنيا الجميلة الحلوة أبوابها في وجوههم إلا بـــ"الإيمان بالآخرة". إذ لولا هذا الإيمان لتجرع أولئك الآباء المحترمون الرحماء، وتلك الأمهات الفدائيات الشفيقات الويل تلو الويل، ولباتوا في حالة نفسية تعسة جدا، وفي قلق قلبي عنيف ولأصبحت الدنيا تضيق عليهم كالسجن، ولغدت الحياة نفسها عذابا مقيما لا يطاق. بينما الإيمان بالآخرة يهتف بهم قائلاً: "لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيرا، فان لكم شبابا خالدا وهو أمامكم وسيأتي حتما. وان حياة

بحسب تعبير العلامة النورسي، فالإيمان بالآخرة يعطي معنى للحياة بالنسبة للنصف الأول (الشباب و المراهقون)، كما تعين النصف الثاني(الشيوخ)[١٠] على

ساطعة بهيجة، وعمرا مديدا أبدياً في انتظاركم، وستلتقون أولادكم و أقاربكم الذين فقدتموهم، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها.." وهكذا يمنح "الإيمان بالآخرة" سلواناً وانشراحاً لهم، بحيث لو حمل احدهم أثقال مائة شيخوخة لتحملها صابرا في انتظار ما سيعقبها من حياة أخروية سعيدة." **الشعاعات** ٢٧٩-٢٨٠

(١٠) أورد في تأسيس آخر لمسألة الآخرة وأبعادها الاجتماعية حديثا عن أبعاد أخرى تتجلى في السلوان الذي تمنحه عقيدة الآخرة للمرضى والمساجين،يؤكد هذا المعنى قوله: "_وكذلك "المرضى والمظلومون وأمثالنا من ذوي المصائب والفقراء والمساجين" الذين حوكموا بعقوبات مشددة، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية، فان لم يُعنهمْ "الإيمان بالآخرة" وان لم يتسلوا به فان الموت الذي يجدونه أمامهم دائما بما عندهم من مرض، وأن الإهانة التي يرونها من الظلمة – دون أن يتمكنوا من الاقتصاص منهم و لا من إنقاذ شرفهم وكرامتهم من بين مخالبهم – وان اليأس الأليم النابع مما أصاب أموالهم وأولادهم من الضياع في الكوارث، وان الضيق الشديد الناشئ من آلام السجن وعذابه لسنوات عدة نتيجة لذة طارئة لا تستغرق دقائق أو ساعات.. كل ذلك يصيّر الدنيا – بلا ريب – سجنا كبيراً لهؤلاء المنكوبين ويجعل الحياة نفسها عذابا أليما لهم ! و لكن ما أن يَمدّهم الإيمان بالآخرة بالعزاء والسلوان إلا وينشرحون فورا، ويتنفسون الصعداء، لما يزيل عنهم من الضيق واليأس والقلق والاضطراب وسَورة الثأر إزالة كلية أو جزئية كلٌ حسب درجات إيمانه.

حتى يمكنني القول انه :لولا الإيمان بالآخرة الذي أمدني وإخواني في مصيبتنا الرهيبة ودخولنا السجن هذا - دون ذنب اقترفناه - لكان تحمّل مرارة يوم واحد من أيام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة إلى ترك الحياة ونبذها .ولكن شكراً لله - بلا عد و لا حد - أن جعلني أتحمل آلام كثير من إخواني الذين هم أحب إلي من نفسي وأتحمل ضياع آلاف من رسائل النور التي هي أعزّ من عيوني، وأتحمل فقدان كثير من مجلداتي الزاهية الثمينة جداً ..فأتحمل كل هذا الحزن و الأسى بذلك" الإيمان بالآخرة" رغم أنني ما كنت أتحمل أية إهانة وتحكّم من احد مهما كان، فاني اقسم لكم – لتطمئنوا – أن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلداً وعزاء وتسلية، وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم في هذا الامتحان إلى حدّ بتّ أعدّ نفسي في مدرسة كلها خير وجمال. وحقٌ أن تطلق عليها "المدرسة اليوسفية" كما ذكرته في مستهل هذه الرسالة، فلولا المرض الذي كان ينتابني أحيانا، ولولا الحدة الحاصلة من الكهولة لكنت أسعى بجد أكثر لأتلقى دروسي في هذه المدرسة مع ما أحمله من اطمئنان وسكينة قلب.. على كل حال فقد خرجنا عن الصدد أرجو العفو عن هذا الاستطراد." **الشعاعات** ٢٨١-٢٨٢

تحمل أعباء الدنيا، ولا يتوقف أثرها عند هذين العاملين، بل تتعداه إلى تهدئة فورة وطيش الشباب و المراهقين، وبذلك يكون الإيمان بالآخرة سبب بعث الدفء في الحياة العائلية بصفة عامة، سواء في الأسرة الصغيرة (العائلة) أو الأسرة الكبيرة (المجتمع) أو الأسرة الأكبر (الإنسانية)، وبهذا يكون الإيمان بالآخرة ضرورة إجتماعية وفردية، يحتاجها المسلم في نفسه ومجتمعه كما تحتاج الأسرة الإنسانية أن يكون المسلم مستحضرا لها، لأنه لا يخدمها إلا بقدر استحضار هذا الإيمان في سعيه اليومي.

ثانيتهما: خصصها لبيان أنموذج من الأدلة على إثبات الآخرة: ركز فيه على بيان مجمل الأدلة التي يستفاد منها إثبات هذه العقيدة، بل عدّ الأدلة على سائر أركان الإيمان أدلة على إثبات الإيمان بالآخرة.

لا تركن النفوس إلى قبول فكرة ما لم تتحد فيها الأدلة المؤكدة للضرورة الاجتماعية والفردية مع الأدلة المؤسسة والمثبتة للإيمان بالآخرة، فوحدة كلمة الشهود في الدلالة على المراد تيسر استيعاب القضايا المعروضة، فتتأكد الضرورة الاجتماعية والفردية بالضرورة العلمية والمنطقية، وهو أسلوب يسهل مأمورية التعلم ثم الالتزام فالتبليغ من جهة والتمحيص من جهة أخرى، إنه أسلوب يخاطب العقل والقلب ويخاطب في الإنسان شقه الاجتماعي والفردي. خطاب يستغرق حاضره (الدنيا) ومستقبله القريب والبعيد (الآخرة)، ومن لا مستقبل له في الآخرة فلا مستقبل له، إذ لا يجدي نفعا مستقبل آني يستغرق إن طال سويعات، وتضييع مستقبلا آجلا يستغرق الوقت كله، فإما خلود في الجنة أو خلود في النار.

النقطة الأولى: نتيجة جامعة من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية

اشتهر الأستاذ بضرب الأمثلة في سيقا البيان، وقد ذكر بهذا الصدد أربعة أدلة

فيها الكفاية في الدلالة على المراد، وجعلها نماذج قياسية من بين مئات الأدلة التي يستشف منها أن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته، فهي شبيهة بأصول الأدلة في الإيمان بالآخرة.

الدليل الأول: عقيدة الآخرة تعطي معنى لحياة الأطفال وتسعفهم في تحمل أعباء الدنيا

لا يمكن للأطفال (نصف البشرية) أن يتحمّلوا حالات الموت والوفاة وما شابهها من الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعة إلا بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من "الإيمان بالجنة"، فالإيمان بالآخرة والجنة يساعد الأطفال على امتصاص تلك الآلام و يحولها إلى سلوان يجتث أصول الآلام ويعوضها بآمال تجعل الكون فسيحا.

يفتح الإيمان باب الأمل المشرق أمام طبائع الأطفال الرقيقة ويمكنهم من المقاومة والصمود، ويتمكنون بالإيمان من العيش بهناء وفرح وسرور. فيجاوز الطفل المؤمن بالإيمان بالآخرة والجنة آلاما لا حصر لها، فيقول مخاطبا نفسه: إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل واهنأ منّا.

وتخيل مجتمع الأطفال فاقدا لهذه المعاني، حينها يصبح الأطفال عرضة لتحطيم نفسياتهم فتصبح نفوسهم مهيأة للمساهمة في تدمير الحياة في نفوسهم ثم في الآخرين ولا سيما أقرب الناس إليهم وعلى رأسهم أولياؤه، يؤكد هذا المعنى قول الأستاذ رحمه الله: " لولا الإيمان بالجنة عند الأطفال لهدم الموتُ الذي يصيب أطفالا أمثاله – وكذلك الكبار – تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغَصها فتبكي

عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة".

ويؤكد المعاني المشار إليها في قوله : "إن"الأطفال" الذين يمثلون ربع البشرية، لا يمكنهم أن يعيشوا عيشة إنسان سوي ينطوي على نوازع إنسانية إلا بالإيمان بالآخرة. إذ لولا هذا الإيمان لاضطروا أن يقضوا حياة ملؤها الوقاحة والاضطراب والهموم الأليمة. فلا يهنأون بألعابهم ولا يتسلّون بلُعبهم، لان الموت الذي يصيب من حولهم من الأطفال يؤثر بالغ التأثير في نفس كل طفل، وفي شعوره المرهف الرقيق، وفي قلبه الذي سينطوي في المستقبل على آمال ورغبات كثيرة، وفي روحه التي لا تستطيع الثبات فتصاب بالقلق والحيرة، حتى تصبح حياته وعقله، وسيلتَي عذاب له، فلا يجدي ما يتستر به من لهو ولعب نفعا قبل إن يجد لتساؤله وحيرته جوابا..

إلى أن يقول: " إرشاد "الإيمان بالآخرة" يجعله يحاور نفسه على النحو الآتي: "إن صديقي - أو أخي - الذي توفي قد أصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو أكثر منا أنساً وانطلاقاً وتجوالا. و أن والدتي - وان توفيت - إلا أنها مضت إلى الرحمة الإلهية الواسعة، وستضمني أيضا إلى صدرها الحنون في الجنة، فأرى تلك الوالدة الشفيقة". وبهذا يمكنه أن يعيش هادئاً مطمئناً عيشا يليق بالإنسان."[(١١)]

الدليل الثاني:تعين الشيوخ على تحمل متاعب الدنيا

يتحمل الشيوخ (نصف البشرية ويصبرون بفعل الإيمان بالآخرة رغم أزوف أيامهم ودنو آجالهم وفق سنة الله في الخلق، فالإيمان بالآخرة وهم على شفير القبر يجدد حياتهم، ذلك أنهم لا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة

(١١) الشعاعات ٢٨٠

حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في الإيمان بالآخرة.

إن الأمل في الحياة الآخرة طارد لليأس، إذ لولا إيمانهم بالآخرة لشعر هؤلاء باضطرابات نفسية وقلق قاتل، عوض الرأفة والشفقة والاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولانقلبت الحياة عندهم إلى ألم ملازم وعذاب دائم، فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة.

قال رحمه الله مخاطبا الشيوخ: " لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيرا، فان لكم شبابا خالدا وهو أمامكم وسيأتي حتما. وان حياة ساطعة بهيجة، وعمرا مديدا أبدياً في انتظاركم، وستلتقون أولادكم وأقاربكم الذين فقدتموهم، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها.." وهكذا يمنح "الإيمان بالآخرة" سلواناً وانشراحاً لهم، بحيث لو حمل احدهم أثقال مائة شيخوخة لتحملها صابرا في انتظار ما سيعقبها من حياة أخروية سعيدة."(١٢)

الدليل الثالث:الإيمان بالآخرة مهدئ فورة الشباب والمراهقين

الشباب والمراهقين محور الحياة الاجتماعية و فورة المشاعر ميزتهم، ولا يهدّئ تلك المشاعر، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمّن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم.

إن لإيمان بالآخرة وبالتالي الخوف من عذاب جهنم يعدل كيميائية نفوس

---

(١٢) الشعاعات ٢٨٠

المراهقين والشباب، فيمنعهم الإيمان من الطيش ويساعدهم عمليا على التحول عن الثمالة بأهوائهم الدنيا،فيصرفهم الإيمان بالآخرة عن نار جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث "الحُكُم للغالب"، وبهذا يكون الإيمان بالآخرة عاملا فاعلا في تحويل الشاب والمراهق من حياة حيوانية سافلة إلى حياة إنسانية سامية، فيكون الإيمان عاملا أساسيا في تهدئة روعهم وأنسنة تصرفاتهم ومساعدتهم على استثمار عنفوان الشباب فيما ينفعهم وينفع مجتمعهم.

الدليل الرابع:الإيمان بالآخرة باعث دفء في الحياة العائلية

المجتمع الإسلامي هو المجتمع القائم على الأسرة بوصفها وحدته الرئيسة، وتعد الحياة العائلية مركز تجمّع الحياة الدنيوية ومحورها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين.

يمثل البيت بالنسبة للفرد عالمَه ودنياه الخاصة. وأساس سعادة روح الحياة العائلية الاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل الى حد التضحية والإيثار. وينال هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة الاحترام الخالص، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوّةٍ محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقية، وزوجية محترمة و صداقةٍ وفيّة نزيهة.

تلك الصلات التي تدفع الزوجُ إلى القول مخاطبا نفسه: "إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلأصبر إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزاً، إذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة"، ومرد فاعلية هذه المعاني ترجع أساسا إلى الإيمان بحياة أبدية أخرى

مكنت الشيخ الزوج من أن يكون حباً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين.

إن الدنيا وإن عاش فيها المرء بصحة وعافية فإنها لا تعدوا أن تكون سويعات مهما طال أمدها، فهل يعقل أن تكون صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين طريقا لفراق أبدي دائم، إن مفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند، لا يمكنها أن تعطي إلا رحمة مجازية، واحتراماً مصطنعاً، وعطفاً حيواني المشاعر، فضلاً عن تدخُل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذٍ تلك الجنة الدنيوية الى جحيم لا يطاق.

ويقطع هذا الأمر ويدفع بربط الهمة بالسعادة الأبدية واللقاء الدائم، ولا طريق لتعلق القلب به إلا إذا ارتبط قلب الإنسان بالإيمان بالآخرة، فالإيمان بالآخرة أساس سعادة العلاقات الأسرية والمجتمعية، يا من تطلب اللقاء مع من تحب في الدنيا فيلكن اجتماعكم على الطاعة والتعلق بالإيمان بالآخرة ففيها ما يسلي القلب ويدفع للبذل والعطاء المستمرين لأجل من تحب وسبيلا معبدة لاجتماعكم الأبدي لا رفاق بعده في الجنة النعيم.

الدليل المجمل:

يرى الأستاذ أن الأدلة على أهمية الإيمان بالآخرة اجتماعيا وفرديا لا تكاد تحصى عدا، بل إن النتيجة الواحدة للإيمان بالحشر تتجلى فيها و بها مئات النتائج التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للإنسان، وتعود إليها، والتي لها مئات الأوجه والفوائد.

اعتبر الأستاذ الأدلة الأربعة السابقة الذكر، أساس إدراك كثير من الأدلة الأخرى بمجموع تجلياتها الممكن اكتشافها، وبهذا يُدرك أن وقوع حقيقة الحشر

وتحققها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الإنسان السامية وحاجاته الكلية. بل عدها النورسي أظهر دلالة من حاجة المعدة الى الأطعمة والأغذية، وأوضح شهادةً منها. ويمكن ان يقدّر مدى تحققها تحققاً أعمق وأكثر إذا ما سلبت الإنسانية من هذه الحقيقة، الحشر، حيث تصبح ماهيتها التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم.

وتؤكد الأدلة التفصيلة والمجملة على أهمية الإيمان بالآخرة في حياة الأفراد والمجتمعات،لهذا لفت الأستاذ إلى أهمية الإيمان بالآخرة أنظار علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه، إنها وسيلة فعالة في ملأ الفراغ الذي يتركه إهمال الإيمان الآخرة، إنه دواء وضمادة الجروح الغائرة العميقة التي يتركها البعد عن هذه العقيدة.

النقطة الثانية:براهين إثبات الإيمان الآخرة

رسائل النور غنية بذكر الأدلة على إثبات الإيمان بالآخرة، اكتفى الأستاذ في بعض السياقات بخلاصة ناشئة من شهادة سائر أركان الإيمان، ويمكن تلخيص عنوانها في"اتحاد كلمة الشهود على إثبات الإيمان بالآخرة"، وقد عرضها النورسي في قالب اتسم بالوضوح والبساطة، وعرضه وفق الأسلوب الآتي:

تستشف حقيقة الإيمان بالآخرة:

- جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- جميع دلائل نبوته وجميع البراهين الدالة على صدقه.
- تشهد بمجموعها معاً،تدل عليها وتثبتها.
- شهادة "الكتب المنزلة" التي رقّت الشهادة الصادرة من "الرسل الكرام"
- جميع معجزاته وحججه الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام

ذلك أن دعوته صلى الله عليه وسلم طوال حياته المباركة قد انصبّت بعد

التوحيد على الحشر. إن الإيمان بالآخرة تدل عليها – مجموع تلك الأدلة وغيرها، وتحمل الآخرين على التصديق بها،واتحاد كلمة الشهادات على تنوع أزمنتها وتعدد صورها ووجوهها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك الحقيقة نفسها، وأكدتها إلى درجة البداهة والضرورة التي لا ينكرها إلا مكابر.

عرض النورسي مجمل تلك الأدلة على النحو الآتي:

١ – شهادة القرآن الكريم:

يشهد القرآن الكريم - ذو البيان المعجز - بجميع معجزاته وحججه وحقائقه - التي تثبت أحقيته - على حدوث الحشر ويثبته، حيث ان ثُلث القرآن بأكمله، وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية على الحشر. أي أن القرآن الكريم ينبئ عن الحقيقة نفسِها بآلاف من آياته الكريمة صراحة أو إشارة ويثبتها بوضوح، ويظهرها بجلاء. فمنها النماذج الآتية من آي القرآن العظيم: ﴿يا ايها الناسُ اتقوا ربَّكم ان زلزلة الساعة شيءٌ عظيم﴾ ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾...وغيرها كثير.

فيثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها في مفتتح ما يقارب أربعين سورة أن الحشر لا ريب فيه، وأنه حَدثٌ في غاية الأهمية في الكون، وان حدوثه ضروري جداً ولابد منه، ويبين بالآيات الأخرى دلائل متنوعة مقنعة على تلك الحقيقة.

تُرى ان كان كتاب تثمر إشارة واحدةٌ لآيةٍ من آياتِه تلك الحقائق العلمية والكونية المعروفة بالعلوم الإسلامية، فكيف إذن بشهادة آلاف من آياته ودلائله التي تبين الإيمان بالحشر كالشمس ساطعة؟ ألا يكون جحود بهذا الإيمان كإنكار الشمس بل كإنكار الكائنات قاطبة؟! ألا يكون ذلك باطلاً ومحالاً في مائة محال؟!

تُرى هل يمكن ان يوصَم آلاف الوعد والوعيد لكلام سلطان عزيز عظيم بالكذب أو أنها بلا حقيقة، في حين قد يخوض الجيش غمار الحرب لئلا تُكذَّب إشارة صادرة من سلطان.

لذلك فان كثيراً من آيات القرآن الكريم تُلفت نظر الإنسان إلى " النشأة الأولى" الحكيمة كمَثَل قياسي "للنشأة الأخرى" في الحشر والقيامة، وذلك كي تستبعد إنكارها من ذهن الإنسان فتقول ﴿قل يُحييها الذي أنشأَها أولَ مرّة﴾ أي أن الذي أنشأكم – ولم تكونوا شيئاً يذكر – على هذه الصورة الحكيمة هو الذي يحييكم في الآخرة.

وتقول: ﴿وهوَ الذي يبدأ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهوَ أهون عليه... ﴾ (الروم:٢٧) أي أن إعادتكم وإحياءكم في الآخرة هي أسهل من خلقكم في الدنيا، إذ كما أن الجنود إذا ما انتشروا وتفرّقوا للاستراحة، يمكن إرجاعهم إلى أماكنهم تحت راية الفرقة بنفخة من البوق العسكري، فجمعهم هكذا من الاستراحة في مكان معين أسهل بكثير من تكوين فرقة جديدة من الجنود، كذلك فان الذرات الأساس التي استأنست وارتبط بعضها بالبعض الآخر بامتزاجها في جسم معين عندما ينفخ اسرافيل عليه السّلام في صُورِهِ نفخة واحدة تهبّ قائلة: لبيّك لأمر الخالق العظيم، وتجتمع. فاجتماعها بعضها مع البعض الآخر مرة أخرى لا ريب أسهل وأهون – عقلاً – من اتحاد تلك الذرات أول مرّةً."[١٣]

٢ – شهادة الذين تربوا في كنف الإيمان بالآخرة:

دام حكم وهيمنة السلطان المعنوي العظيم ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع، فأثمرت تربيته ثمارا يانعة تدل بنفسها على الإيمان باليوم الآخر، وخاصة عم كثرة أعداد المنتسبين إلى هذا الخط والثابتين عليه، فترى في الكون ما لا تعد

(١٣) الكلمات ٦٢٠

من الأرواح والعقول والقلوب والنفوس، التي كان الإيمان بالآخرة سببا في تزكّيتها ودورانها مع الحق والحقيقة حيث دارا، و كثرة تلك الأعداد عبر تاريخ أمتنا يغني عن في الدلالة على فعالية الإيمان بالآخرة في حياة الإنسان، وحقيقة هذا منزلتها من الوضوح فيها إشارة واضحة لإثبات حقيقة الحشر،علماً أن فيه آلاف الصراحة الواضحة المثبتة! أليس الذي لا يدرك هذه الحقيقة الواضحة أحمق جاهل؟ ألا يكون من العدالة المحضة ان تكون النار مثواه؟

٣ – شهادة الكتب السماوية المنزلة:

حكمت الصحف السماوية والكتب المقدسة بإثبات حقيقة الإيمان باليوم الآخر، رغم تفاوت تواريخها وعصورها ومعطياتها الاجتماعية، وصدّقت بآلاف من الدلائل دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر مع أن بيانها لها مختصر وموجز، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها، تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها، وهيمن على المستقبل كله، بيّنها بجلاء وأفاض في إيضاحها.

إن الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية، وان المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الأنبياء جميعهم، تثبت بدورها أهم ما يدعون إليه، وهو تحقق الآخرة وتدل عليها. كما ان اغلب الأدلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والإلوهية وأعظم مظهر لهما، وهي شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح أبوابها.

٤- الآخرة محور سلطان الألوهيته:

ما دام الله موجوداً، وهو واحد، أزلي أبدي، فلابد ان محور سلطان إلوهيته وهو الآخرة، موجود أيضا.. وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات

ولا سيما في الأحياء وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة، فلابد أن هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أيّ ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب، وتبرئ الحكمة من العبث، وتصون الرأفة من الغدر. أي أن تلك الدار موجودة قطعاً ولابد من الدخول فيها.

وما دامت هذه الأنواع من الإنعام والإحسان واللطف والكرم والعناية والرحمة مشاهدة وظاهرة أمام العقول التي لم تنطفئ، وأمام القلوب التي لم تمت، وتدلّنا على وجوب وجود رب رحمن رحيم وراء الحجاب، فلابد من حياة باقية خالدة، لتنقذ الإنعامَ من الاستهزاء أي يأخذ الأنعام مداه، وتصون الإحسان من الخداع ليستوفي حقيقته، وتنقذ العناية من العبث لتستكمل تحققها، وتنجي الرحمة.

٥ — الآخرة حقيقة ثابتة يدل عليها الإجماع:

بيّن النورسي في رسالة "الآية الكبرى"(١٤) بثلاثة وثلاثين إجماعاً عظيماً، كل إجماع منه كالجبل الأشم في قوة حجّته، وأكدت تلك الأدلة في صورتها الجزئية وفي إطارها الكلي بأن هذا الكون لم يصدر إلا من يد واحدٍ أحد، وليس ملكاً إلا لواحد أحد.

فاتحدت كلمة الشهادات على إثبات التوحيد – بتلك البراهين والمراتب بداهة، إنه محور الكمال الإلهي وقطبه. وبيّن أن بالوحدة والأحذية يتحول جميعُ الكون بمثابة جنودٍ مستنفرين لذلك الواحد الأحد، وموظفين مسخّرين له. وما مجيء الآخرة ووجودها تتحقق إلا مظهرا من مظاهر كمالاته التي تصون من السقوط في يوم تسود فيه عدالته المطلقة، وتنجو من الظلم، وتُنزّه حكمته العامة وتبرأ من العبث والسفاهة، وتأخذ رحمتُه الواسعة مداها، وتُنقذ من التعذيب

---

(١٤) الشعاع السابع من الشعاعات

المشين. وتبدو عزته وقدرته المطلقتان وتُنقَذان من العجز الذليل. وتتقدّس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزّهة جليلة.

لهذا انتهى الأستاذ إلى أن القيامة قائمة لا ريب في ذلك ولاشك، وأن الحشر والنشور حادث لا محالة، وان أبواب دار الثواب والعقاب ستُفتح، وفي التصديق بتحقق هذا الوعد والوعيد تتحقق مجموعة من القضايا التي يصعب تصديقها بغير إثبات حقيقة الآخرة:

- **تتحقق أهمية الأرض ومركزيتها:**

الإيمان بالآخرة يعطي الأرض أهمية فتكون مسكن البشر يتبادلون منافعها ويتعاونون من أجل خير الإنسانية، وإذا تحول سكان الأرض عن تلك العقيدة تحولت إلى ساحة هرج ومرج وتقاتل لا يعلم مداه إلا الله.

- **أهمية الإنسانية ومكانتها:**

الإيمان بالآخرة يدفع الملتزم بمقتضياته به إلى البذل المستمر من أجل صالح الإنسانية، ذلك أن لتلك العقيدة اثر جلي على نظرته للبشر قاطبة، فهم جميعا من أب واحد وتناسلوا بطريقة واحدة ومصيرهم واحد، وفي ذلك أظهر دليل على نبذ التكبر، لهذا فالبشرية بما فيها غير المؤمنين بهذه العقيدة في حاجة إلى عدم السعي إلى اجتثاثها من قلوب المؤمنين بها، ذلك أن نفعها يعود على الأسرة الإنسانية جميعها بما فيها أولئك الذين لا يؤمنون بها، ذلك أن البشر حين يلتزمون بمقتضياتها ينظرون بعين الرحمة إلى البشر جميعا بما فيهم المخالفين في تلك العقيدة، فهي إذن ضرورية حتى بالنسبة لغير المؤمنين بها، من حيث كونها ضرورية في تلطيف الأجواء ودفع البشر إلى المؤمنين إلى نفع الشبر جميعا.

- **تتقرر عدالة رب الأرض والإنسان وحكمته ورحمته وسلطانه:**

لو لم يكن الإيمان بالآخرة حقيقة ضرورية لكان فاعل الخير أقل شأنا من فاعل الشر، ولكان في عدم ثبوت الإيمان بالآخرة أكبر محرض على فعل الشر والتحريض على الرذيلة بجميع أشكالها، الإيمان به العقيدة يشحذ الهمم ويقوي العزائم على البذل والعطاء المستمرين من أجل نجاة الإنسان ومن ثم نجاة الإنسانية، ومربط فعالية البذل وحضوره المستمر في حياة الفرد الإيمان بعدالة رب الأرض والإنسان وحكمته ورحمته وسلطانه وذلك بما أعده الله للطائعين من نعيم مقيم وما أعده للعصاة من عذاب عظيم.

- **نجاة الأولياء والأحباء الحقيقيون والمشتاقون الى الرب الباقي من الفناء والإعدام الأبدي:**

يعد الإيمان بالآخرة محرك الدفع إلى النسج وفق مسالك الأولياء والصالحين، ذلك أن التسليم العقلي والقلبي بنيلهم المراتب السامية في الآخرة، يدفع الراغبين في نيل تلك الرتب إلى النسج على منوالهم والحذو حذوهم، وفي ذلك أظهر مشجع على الطاعة بجميع تجلياتها الفردية والاجتماعية والإنسانية، كما أننا بهذا ندفع أنفسنا وغيرنا إلى التحرر من الفناء المتعلق بعوالم الدنيا والتعلق بالبقاء الدائم المحرر من الإعدام الأبدي، ذلك أن من اختار غير هذا المسلك فقد اختار رتبة الإعدام أحسن منها بمراحل، ذلك أنه اختار البقاء في العذاب الأبدي الدائم، والبقاء في العذاب أسوأ من الإعدام فهو منزلة أعظم من الخلود في العذاب، وتتأكد تلك الحقيقة وتثبت في القلب بملاحظة أن أعظم الأولياء والأحباء وأعزّهم ثوابَ عملهم، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضي دائمين، فالكيس من سعى إلى نيل تلك الرتب بالعمل وفق مقتضيات الإيمان بالآخرة وجاهد نفسه ورفض الخضوع لشهواتها ونزواته التي تعد طريقا مهيأة لنيل رتبة الفناء المطلق أحسن منها.

- **كمال السلطان المطلق السرمدي وتنزه قدرته من العجز:**

عقيدة الإيمان بالآخرة تدل بنفسها على تقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتقصير، وتتنزّه قدرتُه من العجز، وتبرأ حكمتُه من السفاهة، وتتعالى عدالته عن الظلم، وتعطي الحياة معنى يدفع الناس إلى الالتزام بأهداب الدين وتمثل أحكامه، وهي أيسر طريقة لاستيعاب نظام الكون القائم على العدالة المنظورة والموافقة للعادلة المسطورة.

٦- **الإيمان بالله لا ينفك عن الإيمان بالآخرة:**

يستشف من الأدلة الجزئية المندرجة في الدليل الآنف الذكر أنه ما دام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً، وقد أكدت سائر أركان الإيمان ثبوت الإيمان بالآخرة بجميع دلائلها وتشهد عليه، فكانت أدلة سائر أركان الإيمان دليلا على الإيمان بالآخرة، فلا تعزب عن الدلالة عليها الإيمان بالملائكة والقدر خيره وشره وأنه من الله تعالى، وتظهر أميته أيضا في جعل الإيمان بالآخرة مرتبطا ارتباطا وثيقا من جهة فعالية بالإيمان بالله.

٧- **الإيمان بالملائكة طريق الإيمان باليوم الآخر:**

جميع الدلائل والمشاهدات والمكالمات الدالة على وجود الملائكة ووظائف عبوديتهم، هي بدورها دلائل على وجود عالم الأرواح وعالم الغيب وعالم البقاء وعالم الآخرة ودار السعادة والجنة والنار اللتين ستعمران بالجن والإنس، لأن الملائكة يمكنهم - بإذن إلهي - أن يشاهدوا هذه العوالم ويدخلوها، لذا فالملائكة المقربون يخبرون بالاتفاق - كجبريل عليه السلام الذي قابل البشر - بوجود تلك العوالم المذكورة وتجوالهم فيها. فكما أننا نعلم بداهة وجود قارة أرض لم رنها من كلام القادمين منها، كذلك يكون الإيمان بديهيا بما أخبرت به الملائكة - وهو بقوة مائة تواتر - عن وجود عالم البقاء ودار الآخرة والجنة والنار... وهكذا نؤمن ونصدق.

٨ – أدلة إثبات القدر أدلة لإثبات الإيمان باليوم الآخر:

تثبت دلائل "الإيمان بالقدر" [(١٥)] الحشر ونشر الصحف وموازنة الإعمال عند الميزان الأكبر، ذلك لأن ما نراه أمام أعيننا من تدوين مقدّرات كل شئ على ألواح النظام والميزان، وكتابة أحداث الحياة ووقائعها لكل ذي حياة في قواه الحافظة، وفي حبوبه ونواه، وفي سائر الألواح المثالية. وتثبيت دفاتر الأعمال لكل ذي روح ولا سيما الإنسان، وإقرارها في ألواح محفوظة.. كل هذا القدر من القَدَر المحيط، ومن التقدير الحكيم، ومن التدوين الدقيق، ومن الكتابة الأمينة، لا يمكن أن يكون إلا لأجل محكمة كبرى، ولنيل ثواب وعقاب دائمين. وإلا فلا يبقى مغزى ولا فائدة أبداً، لذلك التدوين المحيط والكتابة التي تسجل وتحفظ أدق الأمور. فيقع إذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة. أي إن لم يحدث الحشر فان جميع معاني كتاب الكون الحقة التي كتبت بقلم القَدَر سوف تمسخ وتفسد! وهذا لا يمكن ان يكون مطلقاً، وليس له احتمال أبدا، بل هو محال في محال. كإنكار هذا الكون، بل هو هذيان ليس اِلاّ.

٩- شهادة أركان الإيمان على إثبات الآخرة:

و ينتهي الأستاذ إلى نتيجة مفادها أن جميع دلائل أركان الإيمان الخمسة هي بدورها دلائل على الحشر ووجوده، وعلى النشور وحدوثه، وعلى وجود الدار الآخرة وانفتاح أبوابها. بل تستدعيه وتشهد عليه، لذا فانه من الوفاق الكامل والانسجام التام ان يبحث ثلث القرآن الكريم المعجز البيان بكامله عن الحشر لما له من الأسس والبراهين التي لا تتزعزع، ويجعله أساسا وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الأساس.

---

(١٥) انظر رسالة القدر الكلمة٢٦

الخاتمة:

يعد الاهتمام بالإيمان بالآخرة دعوة صريحة لإصلاح الدنيا، ذلك أن للإيمان بالآخرة في نيل الفلاح في الآخرة والنجاح في الدنيا،لهذا انتهى الأستاذ بديع الزمان النورسي إلى أن " **عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية** "، حياة اجتماعية وفردية تستغرق الدنيا والآخرة، فكان البذل من أجل صلاح الآخرة عين البذل منت أجل صلاح الدنيا في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ومادام الفلاح والآخرة والنجاح في دنيا مطلب كل عاقل جعلت رسائل النور إثبات عقيدة الآخرة وتثبيتها في القلوب والعقول مقصدا رئيسا من مقاصدها، عرضته وفق ما يلبي حاجات المتلقين، فالتزمت بضرب الأمثلة وسرد القصص الخيالية ومخاطبة النفس للترقي بها من معرفة عقدية الإيمان بالآخرة إلى الالتزام بمقتضياتها، وفي ذلك أيسر طريق تربوي يساعد على الترقي من تحصيل المعرفة بعقيدة الآخرة إلى استحضار تلك العقدية حين التنقل بين شعاب الحياة، ولاشك أن الترقي لا يتوقف عند المعرفة بوجوه ضرورة عقيدة الإيمان بالآخرة اجتماعيا وفرديا بل تتجاوزها إلى كونها مما دلت الإجماعات التي لا حصر لها على ثبوتها، فيكون شاهد الأدلة مقويا للعزيمة وشاحذا للهمم ودافع لنشر هذه العقيدة بين الخلق.

مقاصد الإيمان بالآخرة

مناهج في الاستدلال، ومعالم في السلوك
في فكر بديع الزمان النورسي

د. خالد الصمدي
رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية
المدرسة العليا للأساتذة بتطوان – المملكة المغربية

تقديم :

باسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن سؤالات الحياة والكون والمصير شاخصة في ذهن كل إنسان مهما كان دينه إلا من تجاهل، فتراه حين يصغي إلى ضميره وعقله ينطلق فكره في البحث عن الجواب دون كابح إلا أن يلجمه بغرور، والمتفكر واصل إلى الرحمن، والجاهل والمتجاهل ماض في فلاة شاسعة لا يحدها نظر، يورثه ذلك ضيما وحسرة فيجد صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء،

ومعرفة الله غاية الحياة ولذتها، به تنتظم، ومنه تستمد حقيقتها، وإليه تصير، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١)

وإن الإنسان (الخليفة) يعيش تناقضات شتى مردها الأساس تلكم التغيرات والتحولات التي تمس مفاهيمه لقضايا الكون والحياة والمصير، وإن تشكل هذه المفاهيم يخضع بالضرورة لمؤثرات الزمان والمكان بل ويخضع لسلطان السياسة الاقتصادية والاجتماعية والثقافة المهيمنة على العالم اليوم. فروح الفلسفة المادية التي يرسخها " أهل الدنيا " كما يسميهم بديع الزمان، وغفلتهم عن الآخرة، تدفع البشرية إلى آن تتعثر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أوحال ملوثة منتنة "(٢)

ومرد ذلك ليس تغيرا في جوهر الفطرة الإسلامية وكينونتها، فهي بطبيعتها لا تقبل ذلك لأنها من روح القرءان، والقرءان كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يرسخ منهج التوازن والوسطية بين الدنيا والآخرة .

ولكن الإشكال يكمن في ما أحاط هذا اللب من قشور حجبت النور وغيرت المفاهيم، فصار المنكر معروفا والمعروف منكرا، فما قام الناس بعدها بالقسط ولا الميزان.

إن الصراع اليوم الذي يوشك أن يصل بالعالم إلى حافة الانهيار، هو ذاك الاتصال والانفصال بين القيم الدنيوية العاجلة التي يرسخها الإيمان بالمادة، والقيم الروحية الآجلة، التي يرسخها الإيمان بالآخرة، والتوازن والاتصال بينهما يدعمه نور القرءان، والتطرف والانفصال بينهما مرفوض ومناف للفطرة،

---

(١) الملك الآية ١

(٢) المكتوبات ص٥٩

والسعي إلى تعزيز هذا الاتصال هو سر تجديد الدين عبر مسيرة الإنسانية على لسان جميع الأنبياء والرسل إلى الرسالة الخاتمة، وعبر مسيرة رحلات الإصلاح والتجديد الديني في هذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي مسيرة تتطلب الصبر والجلد ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (٣)

وإن الناظر في رسائل النور يدرك بالنظر والمعايشة والمكابدة تجليات هذا التدافع بين صفاء نور القرءان وغشاوة "المدنية الفاسقة "، وليس من مهمتنا في هذا البحث أن نكشف تجليات وآثار ذلك ، فهو متيسر لكل قارئ لرسائل النور، ولكن قصدنا أعمق من ذلك، إنه كشف مقاصد الإيمان بالآخرة في فكر بديع الزمان، ورصد منهجه العملي في تثبيت هذا الإيمان عقلا أولا ثم سلوكا وتمثلا من ناحية ثانية، لأننا أحوج ما نكون في عالم اليوم إلى الإيمان بالآخرة، وتجديد الإيمان بالآخرة، ونحن أحوج أكثر من ذلك إلى منهج نظري وعملي نترسمه في الدعوة إلى ذلك، حتى نقنع الحائر السائل، ونرشد به سلوك السالك السائر.

فما هي إذن المقاصد العامة للإيمان بالآخرة في فكر النورسي؟ وما هي الدلائل التي استخدمها بديع الزمان لترسيخها في القناعات والأفهام؟ وماهي المعالم التي رسمها للسالكين لتحقيق تلكم المقاصد بما يضمن الاستمرار والوصول إلى المراد؟ وكيف يمكن أن نستثمر كل ذلك في بناء مشروع الأمة من أجل تغيير حضاري فاعل ومؤثر يحقق للإنسان سعادة الدارين .؟

١ - مقاصد الإيمان بالآخرة في فكر بديع الزمان:

من أركان الإيمان، الاعتقاد بقيام الساعة والحشر والنشر والجزاء والحساب والجنة والنار وغير ذلك من مما يدخل ضمن الغيبيات التي مدح الله المومنين بها بقوله في فواتح سورة البقرة ﴿ الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.

(٣) البلد ٤

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)

إلا أن الناظر في كتابات المفكرين المسلمين، وخاصة في مجال الإلهيات والغيبيات، غالبا ما يغرقون في حمأة علم الكلام بمباحثه النظرية الفلسفية المتعلقة بالذات والصفات الإلهية، والوعد والوعيد، ومصير مرتكب الكبيرة، مما يحرم عامة الناس من معرفة المقاصد الجليلة الصافية والواضحة للإيمان، وأثرها في تحقيق سعادة الدارين،

فليس الإيمان بالغيب اعتقادا مجردا يتعلق بالآخرة ولا صلة له بواقع الناس في معاشهم، ولكن للإيمان تجليات إيجابية في علاقة الإنسان بنفسه وبمحيطه وكذا ببيئته تماما كما هو الشأن بالنسبة لعلاقته بخالقه، فهو إيمان يمتزج بالسلوك ليقوم الإنسان بمهمة الاستخلاف التي أناطها الله به، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٥) وقال تعالى ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ (٦)

وقد نبه كثير من العلماء إلى أهمية البحث في مقاصد الإيمان الدنيوية والأخروية فأخذنا نقرأ عناوين من قبيل " الإيمان وأثره في التنمية البشرية" و"الإيمان والتوجيه الإيجابي لطاقة الإنسان" وغيرها من العناوين التي تنبئ بتأسيس خطاب جديد وقراءة جديدة لمباحث العقيدة ، وبهذا النفس التجديدي المعاصر تتبعنا مقاصد الإيمان بالآخرة في رسائل النور فخلصنا إلى منظومة متكاملة من المقاصد تشمل المجال النفسي والوجداني، والمجال الاجتماعي،

---

(٤) البقرة الآيات ١- ٤

(٥) الذاريات ٥٦

(٦) هود ٦١

والمجال الفكري والعقلي، وغيرها من المجالات التي سعينا إلى تصنيفها من خلال قراءة متأنية في الرسائل، مما يكشف عن رؤية جديدة لدى بديع الزمان في ترسيخ قضايا العقيدة في النفوس، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظرف الزماني والمكاني الذي عاش فيه الرجل، والسياقات الفكرية التي كانت رائجة في العالم الإسلامي عامة وبلده خاصة ويمكننا رصد هذه المقاصد في التالي:

أ- المقاصد الفكرية والعقلية :

- **فهم الكون وفهم ذات الإنسان:**

إن الإيمان بالآخرة يجعل من الإنسان كائنا قادرا على فهم الكون وألغازه، وحين يفهم الإنسان الكون وسننه، يفهم نفسه أولا، ثم موقعه من هذا الكون ثانيا، فيتحرر من عقدة الخوف، ثم يصوغ في ضوء كل ذلك مشاريع الإعمار وقد فهم أن الكون خلق لخدمته، وخلق هو للعبادة قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾[٧] وهذه هي حقيقة الحرية والتحرر التي تطلق طاقات الإنسان للإبداع، وفي هذا يقول بديع الزمان في الكلمة السابعة بعنوان "آمنت بالله وباليوم الآخر"

(أن الإيمان بالله وباليوم الآخر، أثمن مفتاحين يحلاّن لروح البشر طلسم الكون ولغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء.. و أن توكّل الإنسان على خالقه صابراً، والرجاء من رزّاقه شاكراً، أنفع علاجين ناجعين.. وإن الإنصات إلى القرآن الكريم، والانقياد لحكمه، وأداء الصلوات وترك الكبائر، أغلى زاد للآخرة، واسطع نور للقبر، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود.)[٨]

ويقول في حق من فهم حق الفهم مهمة الاستخلاف فأدوا واجبهم من خلال

---

(٧) الجاثية ١٣
(٨) الكلمات ص ٢٦

أعمال الطاعات (وهكذا بمثل هذه الوظائف المتنوعة للعبودية، أدوا فريضة عمرهم ومهمة حياتهم في هذا المسجد الأكبر المسمى بدار الدنيا، حتى اتخذوا صورة أحسن تقويم، واعتلوا مرتبةً تفوق جميع المخلوقات قاطبة، إذ أصبحوا خلفاء أمناء في الأرض، بما أودع فيهم من الإيمان والأمانة..

وبعد انتهاء مدة الامتحان والخروج من قبضة الاختبار، يدعوهم ربهم الكريم إلى السعادة الأبدية والنعيم المقيم ثواباً لإيمانهم، ويرزقهم الدخول إلى دار السلام جزاء إسلامهم، ويكرمهم - وقد أكرمهم - بنعمٍ لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت على قلب بشر، إذ المشاهد المشتاق لجمال سرمدي والعاشق الذي يعكسه كالمرآة، لابد أن يظل باقياً ويمضي إلى الأبد.

هذه هي عقبى تلاميذ القرآن.. اللّهمّ اجعلنا منهم!.)[٩]

إن الإنسان بهذا التصور العقلي الواضح عن الكون والنفس والمصير كما رسمه بديع الزمان يجعله سلطان الكون المستحق للتكريم الإلهي الذي قال فيه تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[١٠] وتلك النتيجة الطبيعية للإيمان وعكس ذلك ينزل بالإنسان إلى مرتبة سحيقة من الحيوانية، وفي ذلك يقول بديع الزمان (إن الايمانَ يجعل الإنسان إنسانا حقاً، بل يجعله سلطاناً لذا كانت وظيفتُه الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفرُ يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز)[١١] ويقول في موضع آخر (نعم إن السموَّ والرقي الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب والسرِ والروح والعقل، وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما

(٩) الكلمات ص ١٣٦
(١٠) الإسراء ٧٠
(١١) الكلمات ٣٥٤

يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية. أما ما يتوهمه أهلُ الضلالة من الانغماس في تفا هات الحياة والتلذّذِ بملذاتها الهابطة، والانكباب على جزئيات لذاتها الفانية دون الالتفات إلى جمال الكليات ولذائذها الباقية الخالدة مسخّرين القلب والعقل وسائر اللطائف الإنسانية تحت إمرةِ النفس الأمارة بالسوء وتسييرها جميعاً لخدمتها، فان هذا لا يعني رقياً قط، بل هو سقوط وهبوط وانحطاط.) (١٢)

- **إعطاء معنى آخر للحياة والموت :**

قال تعالى في شأن الكفار والمنافقين ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣) ويقول في آية أخرى متحديا هؤلاء ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١٤)

إن هذا النوع من الحرص على الحياة والفرار من الموت مرده بالأساس إلى عدم الإيمان بالآخرة، أو الإيمان بها وعدم العمل لها، فتجد العصاة يخافون الموت لما بعد الموت إن كانوا يؤمنون بالبعث بسبب سوء العمل، وتجد الملحدين يخشون من فقد اللذة العاجلة وانقضائها، وكلا التصورين مشعر بالقنوط والضيم واليأس. والحرص على اللذة بأحد الصورتين مفقد لمذاقها أصلا.

إن الإيمان بالآخرة يشعر الإنسان أنه خلق ليبقى لا ليفنى، وما الموت إلا

(١٢) الكلمات ٣٦٣
(١٣) البقرة ٩٦
(١٤) الجمعة ٧

انتقال من عالم المادة إلى عالم الملكوت، من عالم التكليف إلى عالم الجزاء الأوفى، مما يشعر بالطمأنينة ويعطي معنى جميلا للحياة، وذلك مصداق قوله تعالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٥]

إن هذه المعاني الرقيقة السامية يركز عليها بديع الزمان ويبرزها كمقصد من مقاصد الإيمان بالآخرة، لينبه الناس أولا إلى قطعية الإيمان بها، ثم ليبين لهم حقيقة الموت باعتبارها استمرارا للحياة، يقول بديع الزمان (إن ما يقلق الإنسان دوما وينغّص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبته وأقاربه .فتوهم الإنسان المسكين - الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز - وتصوّره من أن آلافا بل ملايين الملايين من إخوانه البشر ينتهون إلى العدم بالموت - ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء وراءه - سيذيقه هذا التصور ألما شديدا ينبئ بآلام جهنم. وحينما يتلوى هذا الإنسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير، يأتي الإيمان بالآخرة فاتحا بصيرته، مزيلا الغشاوة عن عينيه، قائلا له: انظر.. فينظر بنور الإيمان، فإذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم جميعا من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم.)[١٦]

ب - المقاصد النفسية والوجدانية :

ليس من نافلة القول أن نذكر بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي

(١٥) آل عمران ١٦٩

(١٦) الشعاعات الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٧٨

يقول فيه " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا لمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك إلا لمؤمن" (١٧) والخير في كلا الأمرين لا يشعر به إلا من آمن إيمانا راسخا بقضاء الله خيره وشره، ولا شك أن مثل هذا الإيمان يشعر الإنسان بدعم نفسي ووجداني كبير يأخذ بيده في سبر أغوار الحياة بمفاتنها ومباهجها وآفاتها وخطوبها، ينظر إلى كل ذلك من باب الابتلاء والاختبار، ثم يسعى إلى إرضاء الخالق في خلقه بما شرع لخلقه من ضوابط في السلوك تؤدي إلى الفوز في الآخرة .

ولذلك نجد المؤمن بالآخرة يتمتع بسعة النفس وبعد الرؤية وتفاؤل في التحليل ومن ثم اطمئنان في القلب، وتجد في المقابل صدر الكافر ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، متشائما حائرا خائفا مضطربا يخشى فوات لذة الدنيا الفانية لأنه لا يؤمن بلذة الآخرة الباقية .

إن هذه الصورة الرائعة لنفسية المؤمن يبسطها بديع الزمن كمقصد هام من مقاصد الإيمان بالآخرة في غير ما موضع من الرسائل، غرضه من ذلك تحفيز الناس إلى القراءة المتأنية والفاحصة والمستكشفة لخفايا رسالة القرآن، فيقول مثلا في الكلمة العاشرة " إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ"الإيمان بالآخرة". ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. وإلا

(١٧) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق

فلولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات - الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة - ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجناً مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس"(١٨)

وهذا الاطمئنان النفسي والوجداني يؤدي إلى تقوية الرجاء وشد العزم على العمل ولو في آخر العمر ويطلق القوى الكامنة لدى الإنسان من أجل الإنتاج الدائم لتحقيق سعادة الدارين، ويفتح أبواب الأمل مشرعة حال الضيق والشدة، وهو بالضبط ما عاشه بديع الزمان في غير ما محنة حيث يقول " لقد بحثتُ من خلال تلك الحسرات الغائرة عن باب رجاء، وعن نافذة نور، أسلّى بها نفسي. فإذا بنور الإيمان بالآخرة يغيثني ويمدّني بنور باهر. انه منحني نوراً لاينطفئ ابداً، ورجاءً لا يخيب مطلقاً." (١٩)

ويقول " كما أن الإيمان نور وهو قوة أيضا. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائناتِ ويتخلصَ من ضيق الحوادثِ، مستنداً إلى قوةِ إيمانه فَيبحرُ متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: توكلت على الله، ويسلم أعباءه الثقيلةَ أمانةً إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولةٍ وراحةٍ حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفعَ طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية."(٢٠)

---

(١٨) الكلمات ص: ١٠٥
(١٩) اللمعات : اللمعة السادسة والعشرون – ص: ٣٤٧
(٢٠) الكلمات الكلمة الثالثة والعشرون – ص: ٣٥٢

ج - **المقاصد الاجتماعية :**

بنفس الخبير الاجتماعي يرصد بديع الزمان المقاصد الاجتماعية للإيمان بالآخرة، سواء في سلوك المؤمن داخل أسرته أو في محيطه الاجتماعي، أو حتى في تصرفه مع الكائنات الطبيعية الموضوعة تحت تصرفه طبقا لمبدأي التسخير والاستخلاف، فبالإيمان بالآخرة يصبح الإنسان إيجابيا في محيطه، مسهما في تنميته، ليس من باب تحقيق النفع المادي العاجل، وإنما بمقصد أسمى وأعمق وهو تحقيق ثواب الآجلة .

- **توجيه سلوك الأطفال والشباب :**

وفي هذا السياق يتحدث بديع الزمان عن سلوك الأجيال الاجتماعية (طفل / شاب/ شيخ) في محيطها، وكيف يؤثر فيها الإيمان بالآخرة فيدفعها إلى السلوك الإيجابي، (فالأطفال الذين يمثلون ربع البشرية، لايمكنهم أن يعيشوا عيشة إنسان سوي ينطوي على نوازع إنسانية إلا بالإيمان بالآخرة. إذ لولا هذا الإيمان لاضطروا إلى أن يقضوا حياة ملئها الوقاحة والاضطراب والهموم الأليمة. فلا يهنأون بألعابهم ولا يتسلون بلعبهم، لأن الموت الذي يصيب من حولهم من الأطفال يؤثر بالغ التأثير في نفس كل طفل، وفي شعوره المرهف الرقيق، وفي قلبه الذي سينطوي في المستقبل على آمال ورغبات كثيرة، وفي روحه التي لا تستطيع الثبات فتصاب بالقلق والحيرة، حتى تصبح حياته وعقله وسيلتي عذاب له، فلا يجد ما يتستر به من لهو ولعب نفعا قبل أن يجد لتساؤله وحيرته جوابا..)[٢١]

وفي سبره لغور نفسية الشباب وبيان أثر الإيمان بالآخرة في توجيه سلوكهم في محيطهم الاجتماعي يقول بديع الزمان " الشباب الذين يمثلون ثلث البشرية،

---

(٢١) الشعاعات : الشعاع الحادي عشر ص: ٢٨٠

قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة. فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان، وهم مغلوبون على أمر حواسهم ونوازعهم، فإذا ما فقد هؤلاء الشباب الإيمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم، فان أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر، إذ قد يدمر أحدهم سعادة بيت آمن هانئ لأجل لذة طارئة، ومن ثم يذوق وبال أمره عذابا لسنين عديدة في مثل هذه السجون فيتحول إلى ما يشبه الحيوان الكاسر. "[٢٢]

- **ضمان الاستقرار داخل الأسرة :**

إن الناظر في القرآن الكريم وخاصة في النصوص الناظمة لقضايا الأسرة يجدها تختتم بقوله تعالى (إن الله كان عليكم رقيبا / إن الله كان على كل شيء شهيدا / إن الله كان عليا كبيرا) وغير ذلك من العبارات الدالة على الرقابة الإلهية لسلوك الأزواج داخل الأسرة، والتي لا يضبطها إلا الشعور بهذه الرقابة التي ستنتهي لا محالة بالجزاء الأخروي ثوابا كان أو عقابا، ومن أجل إبراز مقاصد الإيمان بالآخرة وإقناع الناس بها، أبرز بديع الزمان أثر ذلك في نظام الأسرة وحل خلافاتها وضمان المودة والسكينة فيها، " فبيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة بل جنته المصغرة، فان لم يكن الإيمان بالآخرة حاكما ومهيمنا في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطرابا أليما، وعذابا شديدا في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق " [٢٣]

ولكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء، لان علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن

(٢٢) الشعاعات : الشعاع الحادي عشر ص: ٢٨١
(٢٣) الشعاعات الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٨٢

زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم - عندئذ - كلُ فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدي صداقة وفية، صارفاً النظر عن التقصيرات. فتتعالى الأخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت."(٢٤)

- **ضمان انتظام السلوك الاجتماعي بالأخلاق :**

ونجاة المجتمع من الانحرافات لا يكون إلا من ثمرات الإيمان بالآخرة، وحيث يغيب هذا المبدأ يحضر الاضطراب، وكما يقال(إذا غاب موسى حضر السامري)، ولن تكفي كل قوانين الدنيا في ضمان الأمن والسلام والانتظام ما لم تكن هناك قوة داخلية كامنة رادعة للإنسان عن الظلم وحاجزة له عن حقوق الناس، وفي ذلك يقول بديع الزمان " وهكذا فان كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها. فان لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي. وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها، وحينئذ تتسمم حياة تلك المدينة، فيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسُكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين." (٢٥)

وقد اقتنع العالم اليوم أن القانون والإجراءات القانونية قاصرة عن ضمان

---

(٢٤) الشعاعات الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٨

(٢٥) الشعاعات الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٨٣

تنظيم المجتمع، وأنه لا بد من الحافز الأخلاقي والتربوي وأسمى درجاته الوازع الأخلاقي المستند إلى الإيمان بالخالق، ولذلك نبه بديع الزمان تلاميذ القرآن ومن خلالهم العالمين من رواد المدرسة النورسية إلى أهمية الإيمان بالآخرة في تنظيم المجتمع ونفي غلواء الفساد عنه .

د - أثر هذه المقاصد في بناء الحضارة الإنسانية :

ومن رقي المجتمعات تنشأ المدنية والحضارة ، وقد "افتتن الناس بمدنية زائفة ظاهرة المحاسن خربة الباطن وخدمتها للبشرية خدمة جذابة تتمثل في تشجيع الهوى وإثارة النفس الأمارة وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها فإذا نتيجتها إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درجة الحيوانية الكلبية . وبهذا تكون سببا لمسخ الإنسان معنويا "[٢٦] ولتصحيح هذا المفهوم فصل الإمام سعيد بين "المدنية السفيهة" و"المدنية التي في الشريعة "وجعل مقياس هذه المفاصلة طبيعة القيم السائدة في كل مدنية والتي تستند في الأولى إلى الإيمان المطلق بالمادة، وتستند في الثانية إلى الإيمان بالآخرة، ثم قال معرفا **المدنية التي في الشريعة "** قلت أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة وتضع أسسا إيجابية بناءة مكان الأسس النخرة الفاسدة السلبية .[٢٧]

وبالمقابل يزحف على العالم اليوم ما أسماه النورسي **بالمدنية الدنيوية** الظالمة التي أبرزت لدى الإنسان رياء مدهشا يتعذر الخلاص منه، وجعلت منه ذلك الكائن الظالم الذي لا يعطي للأشياء قيمتها إلا بمقدار خدمة نفسه وينظر إلى ثمرتها بمقياس نفعها له[٢٨]

---

(٢٦) صيقل الإسلام ص ٣٥٧
(٢٧) صقيل الإسلام ص ٣٥٩
(٢٨) ملحق قسطموني الملاحق ص ١٢٤

إن بديع الزمان ينطق بلسان الحال اليوم مع فارق بسيط في الوسائل والطرق والمخططات التي يراد بها رسم مستقبل هذا العالم بشكل نمطي يجعل من الأنانية نسيجا ماديا نفعيا يحكم القانون والاقتصاد والاجتماع وغيرها من أنماط الحياة .في غفلة تامة عن الآخرة .

في حين "أن مدنية الشريعة تسمو بالإنسان إلى درجة التضحية بالمادة في سبيل سعادة الروح، لأن الأولى لا تكون شاملة أبدا، في حين تستغرق الثانية البشرية كلها إن هي استجابت لنداء الفطرة " لأن السعادة لا تكون سعادة إلا عندما تصبح عامة للكل أو للأكثرية، بيد أن سعادة المدنية المادية هي لأقل القليل من الناس، لأجل كل هذا ما يرضى القرءان الكريم بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أ ولا تعم الغالبية العظمى "[٢٩]

ويستعرض بديع الزمان في حواراته مع نفسه حين كان يعيش قلقا واضطرابا من جراء اليأس الذي تولد لديه من حوادث الدهر، حواراته لترسيخ مفهوم مدنية الشريعة لدى الناس ونبذ المدنية المادية الخالية من الإيمان بالآخرة " فسأله سائل لم ترفض الشريعة هذه المدنية. قال الإمام سعيد : لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية، فنقطة استنادها هي القوة وهذه شأنها الاعتداء، وهدفها وقصدها المنفعة وهذه شأنها التزاحم، ودستورها في الحياة الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع، والرابطة التي تجمع المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنموا على حساب الأخرى، وهذه شأنها التصادم كما نراه، وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية، وبهذا تكون سببا لمسخ الإنسان

---

(٢٩) صيقل الإسلام ص ٣٥٨

معنويا .. قالوا فما هي المدنية في الشريعة؟ قلت أن المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، هي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسسا إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية، نعم، إن نقطة استنادها هي الحق بدلا من القوة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، وهدفها الفضيلة بدلا من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب، وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بين المجموعات البشرية: هي الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية، وهذه شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب، ودستورها في الحياة التعاون بدل الصراع والجدال والتعاون من شأنه التساند والاتحاد وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكما على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات فهي إذ تحدد الهوى وتحد من النزاعات النفسانية تطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي"[٣٠]

إن قراءة في هذا التقابل بين قيم المدنية المادية ومدنية الشريعة كما استعرضهما النورسي تجعل من السهل التأكيد على أن الأمة ينبغي أن تقوي قيمها الإيجابية والتي منبعها الإيمان بالآخرة، حتى تكون قادرة على التدافع والنهوض من كبوتها، إلا أن الصعب كل الصعب في اعتقادي - رغم وعي الناس بأهمية هذه النظرة الحضارية العميقة - هو بناء منهج لهذا التدافع يرشد الطاقات ويستثمرها في الاتجاه الإيجابي ويستجمع قوى العالم الإسلامي ويوظفها في اتجاه التغيير الحضاري القائم على استيعاب شروط الحياة المعاصرة وأدواتها واصطباغها بصبغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾[٣١]

---

(٣٠) صيقل الإسلام ص ٣٥٨_٣٥٩
(٣١) البقرة ١٣٨

■ **تدافع المدنية المادية ومدنية الشريعة**

وإن المطلع على رسائل النور يجعله يقف أمام رؤية متكاملة لتدافع "مدنية الشريعة "، و"المدنية المادية" بتعبير الأستاذ، رؤية تؤمن بضرورة سيادة الأولى لكونها قائمة على التوازن بين القيم المادية والروحية، وانحسار الثانية لقيامها على المصلحة والقيم المادية الصرفة، علما بأن بديع الزمان - انطلاقا من منهج القرءان – لا ينفي عن الحضارة المادية بعض الجوانب الإيجابية النابعة من التجربة الإنسانية في سياسة الحياة، وهكذا نجد النورسي يوازن بين القوتين المتدافعتين انطلاقا من طبيعة القيم التي تحملها كل قوة، وطبيعة المرجعية التي تستند إليها، فالأولى تستند لحكم القرءان، والثانية لحكم الفلسفة، والتدافع قائم بينهما كسنة إلهية إلى أن تقوم الساعة .

يقول بديع الزمان "أما ما تعطيه حكمة الفلسفة وحكمة القرءان من تربية للمجتمع الإنساني فهي: أن حكمه الفلسفة ترى" القوة "نقطة استناد في الحياة الاجتماعية وتهدف إلى " المنفعة " في كل شيء وتتخذ الصراع دستورا للحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، وأما ثمارها فهي إشباع الرغبات والأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن القوة هو"الاعتداء"وشأن المنفعة هو"التزاحم" إذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن" الصراع "هو النزاع والجدال، وشأن العنصرية هو "الاعتداء" إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى . ومن هنا نلمس لما ذا سلبت سعادة البشرية من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة .

أما حكمة القرءان الكريم فهي تقبل الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من" القوة " وتجعل رضى الله سبحانه ونيل الفضائل هو الغاية بدلا من

"المنفعة" وتتخذ دستور "التعاون"أساسا في الحياة بدلا من دستور الصراع، وتلتزم برابطة الدين والصنف[٣٢] والوطن لربط فئات الجماعات بدلا من العنصرية والقومية السلبية، وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمارة، ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية. إن شأن الحق هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند، وشأن الدين هو الأخوة والتكاثف، وشأن إلجام النفس وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو سعادة الدارين "[٣٣]

والخلاصة أن بديع الزمان أبدع بنفس الفقيه وعالم النفس وعالم الاجتماع في بيان مقاصد الإيمان بالآخرة وأثرها في حياة الناس في الدارين من خلال رصد قيم مدنية الشريعة، وهو بذلك يقدم للناس بعدا عقائديا بصيغ متعددة تخاطب في الناس مصلحتهم الدنيوية والأخروية، وهو ما لا يجعل من مباحث العقيدة إطارا نظريا مغرقا في الفلسفة وبعيدا عن واقع الناس، وحري برجال التربية والتعليم أن يسلكوا هذا المسلك في تدريسهم لقضايا العقيدة فهذا هو الأسلوب الحقيقي للإقناع، وتلكم هي المنهجية المثلى في الحوار والجدال حتى مع المخالفين لعقيدة الإسلام .

وإذا كان بديع الزمان قد صاغ هذه المقاصد نظريا، فإنه رسم للناس منهجا عمليا للإيمان بالآخرة والثبات عليه، فما هي معالم هذا المنهاج ؟ وكيف يحقق الوسطية في الاعتقاد تحقيقا لسعادة الدارين ؟

---

(٣٢) المقصود بالصنف الارتباط الموجود ضمن الصنف الواحد من الناس ، المنسجمين في الميول والأفكار والأذواق والطبائع كأرباب الحرف والمهن (من كلام المترجم)

(٣٣) الكلمات ص ١٤٥

٢- الاستدلال بالحجة والبرهان منهج لبناء الإيمان بالآخرة في فكر بديع الزمان

إن الإيمان بالآخرة في نظر بديع الزمان ليس حالة عاطفية تظهر وتخبو، ولكنها مسيرة مستمرة من التفكر والتأمل والسلوك، لا بد وأن تبنى على الإقناع والاقتناع بالحجة والبرهان، ولذلك نجد الرجل قد خصص الرسالة العاشرة لسرد أدلة وجود ووجوب الإيمان بالآخرة، وناقش وناظر، واستخدم أساليب المناطقة في الاستدلال بالشاهد على الغائب، ، يعرض الدلائل القرآنية العقلية، يقارن بالواقع من خلال أمثلة محسوسة، ومن ثم يستنتج بطريقة المقابلة بين حال المؤمن بالحشر والكافر به، ليلفت نظر الغافلين من المؤمنين إلى استلهام مقاصد هذا الإيمان في حياتهم، ويقنع غير المؤمنين بأهمية الإيمان بالآخرة في إنقاذهم من ظلمة الوحشة وقلق الضمير ،

ا - استخدم أساليب المناطقة في الاستدلال بالشاهد على الغائب:

وهو أسلوب مفيد في مجادلة الجاحدين، ممن لا زال عندهم استعداد وصحوة ضمير للبحث عن الحق، والناظر المتأمل في منهج القرآن الكريم يجده في غير ما آية يستخدم دليل قياس الشاهد على الغائب في خطاب المشركين والجاحدين، ومنه قوله تعالى " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ وقوله تعالى " أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾بل إن الله تعالى ذكر منكري البعث والجزاء حين قالوا " من يحيي العظام وهي رميم ﴾ بقوله تعالى "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السماوات والأرض

بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ وقد كان هذا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدلالة على وجود الخالق حين قال " تأملوا في خلق الله ولا تأملوا في ذاته "

وقد استلهم بديع الزمان هذا المنهج حين عرض نماذج من عالم الشهادة وربط بينها وبين عالم الغيب، وألف رسالة خاصة في الإيمان بالآخرة، وكلمات خاصة في الحشر عرض فيها عشرات الأدلة، فالمنطق العقلي يفرض أنه " ما دامت في الدنيا حياة، فلابد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر، ولا يسيئون استعمال حياتهم، يكونون أهلا لحياة باقية، في دار باقية وفي جنة باقية، "[٣٤]

وهكذا فإن " إنشاء جميع الأشجار والأوراق التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية، دفعة واحدة في غضون بضعة أيام في الربيع، وبشكل كامل، وبالهيئة نفسها التي كانت عليها في الربيع السابق.. وكذلك إيجاد جميع أزهار الأشجار وثمارها وأوراقها بسرعة خاطفة، كما كانت في الربيع الماضي.. وكذلك تنبّه البُذيرات والنوى والبذور وهي لا تحصى ولا تعد والتي هي منشأ ذلك الربيع في آن واحد معاً وانكشافها وإحياؤها.. وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للأشجار، وامتثالها فوراً لأمر البعث بعد الموت وكذلك إحياء أفراد أنواع.

وكذا، فان تجليات جميع الأسماء الحسنى لخالق الكون المتجلّية في أرجاء العالم كله، تقتضي بالبداهة وجود عالم آخر خالد، وتدل دلالة واضحة على وجود الآخرة." [٣٥]

---

(٣٤) الكلمات، الكلمة العاشرة – ص: ١١٧
(٣٥) الكلمات، الكلمة العاشرة – ص: ١٢٢

عرض الدلائل القرآنية النقلية والعقلية في إثبات الحشر :

ومن آمن برسالة القرآن لكنه غفل عن تدبر أسراره ودلائله احتاج إلى تذكير، قال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(٣٦) كما أن هذا النوع من التذكير يفيد الباحثين من العلماء عن حقائق العلم في القرآن الكريم خاصة في إشارات الإعجاز، والتي تثبت الإيمان في النفوس .

"فالقرآن الكريم - ذو البيان المعجز - يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه - التي تثبت أحقيته - على حدوث الحشر ويثبته، حيث إن ثلث القرآن بأكمله، وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية على الحشر. أي أن القرآن الكريم ينبئ عن الحقيقة نفسِها بآلاف من آياته الكريمة صراحة أو إشارة ويثبتها بوضوح، ويظهرها بجلاء. فمثلاً:

قوله تعالى ﴿ إذا الشمس كورت﴾ (٣٧) وقوله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربَّكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (٣٨) وقوله تعالى ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(٣٩) وقوله تعالى ﴿إذا السماءانفطرت﴾(٤٠) وقوله تعالى﴿إذا السماء انشقت﴾ (٤١) وقوله تعالى ﴿عمّ يتساءلون﴾(٤٢) وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ (٤٣)

فيثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها في مفتتح ما يقارب أربعين سورة

---

(٣٦) الغاشية ٢١
(٣٧) التكوير الآية ١
(٣٨) الحج الآية ١
(٣٩) الزلزلة ١
(٤٠) الانفطار الآية ١
(٤١) الانشقاق الآية ١
(٤٢) النبأ الآية ١
(٤٣) الغاشية الآية ١

أن الحشر لا ريب فيه، وأنه حَدث في غاية الأهمية في الكون، وان حدوثه ضروري جداً ولابد منه، ويبين بالآيات الأخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة." (٤٤)

إن هذه الدلائل التي خاطب بها بديع الزمان المومنين على سبيل التثبيت وترسيخ الإيمان، والجاحدين على سبيل الحجاج والإقناع حتى يسلك الجميع "سبيل الرشاد" بالمفهوم القرآني، يثمر في الختام أفواجا من السالكين، وهنا يشعر بديع الزمان أن مهمته لم تصل إلى نهايتها بل إن هؤلاء السالكين يحتاجون إلى منهج للرعاية والتوجيه وهم في طريقهم إلى الله، منهج يحصنهم من الانحراف والنكوص، كما يحصنهم من الغلو الذي يخرج الإيمان بالآخرة عن مقصده، وقد استطعنا بحمد الله أن نتلمس معالم هذا المنهج في الرسائل ونقدمه للقارئ ملخصا مركزا في ما يلي .

المجاهدة، والمعادلة : منهج للثبات على الإيمان بالآخرة في فكر بديع الزمان

فقد قدر لبديع الزمان أن يعيش حياة وضع فيها مبادئه على محك التجربة، وقد صاغ من ذلك رؤية واضحة في النفس الإنسانية، وأساليب خلق التحول فيها بدأ بصياغة التصورات والمفاهيم، ثم تحويلها إلى سلوك عن طريق المجاهدة المستمرة، والمعادلة في التمثل الوسطي وفقا للمنهج القرآني، فالطريق إلى الآخرة مليء بالأشواك والمثبطات، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) (٤٥)

١- المجاهدة :

ويجد قارئ رسائل النور التأسيسات النظرية للمجاهدة في المكتوب التاسع

(٤٤) لكلمات ، الكلمة العاشرة – ص: ١٠٧

(٤٥) رواه مسلم من حديث أنس بن مالك باب الجنة وصفة أهلها ونعيمها

والعشرين، وخاصة في القسم التاسع الذي يتناول فيه طريق الولاية، كما يجد التجليات التطبيقية لذلك في حياة بديع الزمان كلها من النشأة إلى الوفاة، وسنقارب من خلال النصوص ثلاث نقط أساسية تعطينا صورة إجمالية عن المجاهدة في فكر النورسي، علما بأن دراسات وأبحاث قد رصدت المسألة في تفاصيلها يمكن الرجوع إليها [٤٦]

ويمكننا أن نحدد هذه النقط الثلاث في :

- طريقة المجاهدة
- وسائل المجاهدة
- مقاصد المجاهدة

طريقة المجاهدة :

يقر بديع الزمان " أن سلوك طريق الولاية مع سهولته ذو مصاعب ومع قصره فهو طويل جدا، ومع نفاسته وعلوه فهو محفوف بالمخاطر، ومع سعته فهو ضيق جدا، ولأجل هذه الأسرار الدقيقة، قد يغرق السالكون في هذه السبيل، وقد يتعثرون ويتأذون، بل وقد ينكصون على أعقابهم ويضلون الآخرين، فعلى سبيل المثال هناك "السير الأنفسي" و"السير الآفاقي" وهما مشربان ومنهجان في الطريقة .

---

(٤٦) - انظر على سبيل المثال: النورسي في رحاب القرآن وجهاده المعنوي في ثنايا رحلة العمر للدكتور عشراتي سليمان

وانظر كتاب: دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة لخديجة النبراوي

وكتاب: النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبد الحميد

وكتاب: بديع الزمان النورسي فكره ودعوته أعمال الندوة الدراسية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومركز بحوث رسائل النور

فالسير الأنفسي: يبدأ من النفس، ويصرف صاحب هذا السير نظره إلى الخارج، ويحدق في القلب مخترقا أنانيته، ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلا إلى الحقيقة، ومن هنا ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعا، لأن الحقيقة شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر من الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية تسير وفق هذا السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها وترك الهوى وإماتة النفس "[٤٧]

وقد نبه بديع الزمان إلى بعض مخاطر هذا المسلك على أهميته والتي تظهر حين " بعجز صاحبه عن قتل النفس الأمارة بالسوء " ولم يتمكن من تحطيم الأنانية بترك الهوى، فإنه يسقط من مقام الشكر إلى موقع الفخر، ومنه يتردى إلى الغرور "[٤٨]

ولذلك كانت هذه الطريقة المحفوفة بالمخاطر أدعى لبذل الجهد في قهر قوى الشر في النفس بقوة الإخلاص والتجرد

" أما المنهج الثاني وهو **السير الآفاقي** : فيبدأ من الآفاق ويشاهد صاحب هذا المنهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة، ثم ينفذ إلى دائرة النفس فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله "[٤٩]

ولم يعلق بديع الزمان على هذا المسلك الثاني بالتنبيه إلى بعض مزالقه كما فعل في المسلك الأول، والعلة في ذلك أن المسلك الثاني مسلك قرآني في

---

(٤٧) المكتوبات ص ٥٧٥

(٤٨) المكتوبات ص ٥٧٦

(٤٩) المكتوبات ص ٥٧٦

النظر إلى خلق الله تعالى وآياته في الآفاق، واعتبار النفس آية من هذه الآيات، فينظر إليها الإنسان نظرة الجزء في إطار الكل ، والنتيجة أنه مهما وصلت النفس إلى درجة من الترويض على الطاعات واجتناب المعاصي فإنما ذلك من تسبيح الكون العظيم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾ (٥٠) فيستصغر الإنسان عبادته وشكره أمام عبادة وشكر هذا الكون الهائل الخاضع الذليل للخالق سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٥١)

وسائل المجاهدة

وتتمحور حول الذكر بمفهومه الواسع، الذي يعني الشعور بأنس الواحد في شتى الأحوال والتقلبات والمواقف، شعورا يكسب الإنسان حلاوة العبودية بحلاوة الإيمان " وأساس العبودية وسرها هو التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والفقر والاستغناء عن الناس وبهذا فقط يمكن الوصول إلى كمال تلك الحقيقة، حقيقة العبودية "(٥٢)

وذكر الله تعالى في كل الأحوال، يدفع الإنسان إلى أن يجعل عاداته اليومية بحكم العبادات ،وأعماله الدنيوية بمثابة أعمال أخروية في استغلال رأس مال عمره من الحياة بدقائقها، وجعلها بذورا تتفتح عن زهرات الحياة الأخروية وسنابلها، وذلك بدوام الذكر القلبي والتأمل العقلي مع الحضور القلبي الدائم والاطمئنان ودوام شحذ الإرادة والنية الصافية والعزيمة الصادقة التي تلقنها الطريقة "(٥٣)

---

(٥٠) الإسراء ٤٤
(٥١) فصلت ٥٣
(٥٢) المكتوبات ٥٩٠
(٥٣) المكتوبات ص ٥٩٠

مقاصد وثمرات المجاهدة :

وهكذا يتجلى الذكر بمفهومه الواسع باللسان وبالقلب وبالتأمل واستحضار الخالق في العادات اليومية وسيلة للترقي بالمجاهدة في سلم الولاية التي لخص النورسي مقاصدها وثمراتها في تسع:

- ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة اليقين.
- تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بانسياق لطائفه جميعا إلى ما خلقت لأجله.
- التخلص من وحدة الانفراد والوحشة في السير والسلوك والشعور بالأنس المعنوي في الدنيا والبرزخ .
- خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه في حياته الدنيا .
- الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية، فتكون مثار اشتياق وحب لا مثار تعب وتكليف .
- نيل مقام التوكل ودرجة الرضى ومرتبة التسليم .
- نجاة الإنسان من الشرك الخفي والرياء والتصنع وأمثالهما من الرذائل وذلك بالإخلاص.
- جعل الإنسان عاداته اليومية بحكم العبادات .
- الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل .

وهكذا "يطير الإنسان بجناحي الإيمان والعمل بالشريعة إلى المقامات العليا والتطلع من هذه الدنيا إلى السعادة الأبدية بل الدخول فيها "[(٥٤)]

---

(٥٤) المكتوبات ص ٥٩٢ / ٥٩٣

٢- المعادلة

لقد عايش الإمام بديع الزمان زمانه واقترب من الناس وخبر أحوالهم، وعلم أن الطريقة مسلك وسط، تطير بجناحي الإيمان والشريعة، والمعادلة والموازنة بينهما أمر مطلوب ومرغوب، ولن يصل السالك طريق الآخرة إلا بذلك، وتتجلى دعوة النورسي إلى المعادلة من أجل تمثل القيم الإسلامية الحقيقية بالوسائل الشرعية الحقيقية في :

١- الدعوة إلى التزام الوحي والشريعة كمقياس لتحقيق المعادلة :

يقول بديع الزمان.". إن اتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الرعاية من بين جميع الطرق بل أنوعها وأغناها، والاتباع يعني، تحرى المسلم السنة السنية وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله والاستشهاد بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله لذلك فإن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح" (٥٥).

٢- انتقاد تصرفات السالكين المخلة بالمعادلة بين الطريقة والشريعة .

إن خبرة الإمام بأحوال السالكين ومعرفته العميقة بأحكام الشرع ومقاصده مكنه من أن يضع موازين بالقسط للنظر في أحوال الناس وتصرفاتهم بما يوافق الشريعة وتحقق مقاصد الطريقة، فانتقد كثيرا من تصرفات السالكين الذين يعتبرون أن الشريعة قشر ظاهري وأن الولاية أرفع مقاما من النبوة، وأن أذواق حلقات الذكر أرقى وأحلى مما يحصل عليه الإنسان من أداء الفرائض والسنن.

يقول بديع الزمان " ليس صحيحا ما يتصوره قسم من المتصوفة من أن الشريعة قشر ظاهري وحقيقتها هي لبها ونتيجتها وغايتها "(٥٦) ومن اعتقد أن

---

(٥٥) المكتوبات ٥٨١

(٥٦) المكتوبات ص٤٨٤

الشريعة قشر ظاهري فإن المنهج يختل لديه في ترتيب الأعمال التي تقرب الإنسان أكثر إلى الله تعالى فتصبح الفرائض والسنن في مرتبة أقل من النوافل، ولذلك " ينبغي أن لا تتحول الطريقة والحقيقة من كونهما وسيلتين إلى غايتين بحد ذاتهما (تستحوذان على قلب السالك وفكره ووجدانه)، فإذا أصبحت الطريقة والحقيقة – مقصودتين بالذات، فإن الأعمال الشرعية المحكمة وآداب السنة السنية، تنحسر حتى تأخذ الدرجة الثانية من الاهتمام لدى السالك وتصبح صورية شكلية بانشغال القلب بالتوجه إلى آداب الطريقة ورسومها، أي أن المرء عندئذ يفكر بحلقة الذكر أكثر من تفكيره بالصلاة، وينجذب إلى أوراده أكثر مما ينجذب إلى الفرائض، ويلزم نفسه بتجنب مخالفة آداب الطريقة أكثر من التزامه بتجنب الكبائر، والحال أن أداء الفريضة واحدة التزاما بالأوامر الشرعية لا يمكن أن توازيها أوراد الطريقة أو تحل محلها "(٥٧)

وعدم المعادلة بين الطريقة والشريعة مسلك إلى الانزلاق عن الطريق المستقيم المحقق لمقاصد الإيمان بالآخرة، وقد نبه بديع الزمان إلى بعض صوره من خلال أحوال السالكين "المنجذبين لنشوة الأذواق البراقة للطريقة فلا يبالون بالحقائق الشرعية التي هي أرقى من مستوى مذاقهم، ويعتبرها أحدهم غير ذات مذاق لعجزه عن بلوغها، فيؤديها بصورة شكلية، وهكذا يبلغ به الأمر تدريجيا إلى أن يظن أن الشريعة قشر ظاهري، وأن ما وجده من الحقيقة هو الأساس والغاية والقصد، فيقول حسبي ما وجدته، فيقوم بأفعال مخالفة لما يأمر به الشرع، فللذين لم ينقدوا شعورهم وعقولهم من هذا القسم مسؤولون عن أعمالهم ويدانون بل يهلكون حتى يكون قسم منهم موضع هزئ وسخرية من الشيطان. (٥٨)

---

(٥٧) المكتوبات ص ٥٨٤

(٥٨) المكتوبات ٥٨٦

وخلاصة الكلام أن السالك ينبغي أن يضبط الطريقة بالشريعة ،فتحصل لديه المعادلة بينهما في ترسيخ القيم في النفس وتنميتها في تصرفاته وسلوكه بميزان الشرع، وما سوى ذلك هو خروج عن الطريقة والشريعة معا، وتلك علامة الهلاك والخسران.

٣- المعادلة بين تصفية النفس والفاعلية في المحيط :

والقصد أن ترسيخ مقاصد الإيمان بالآخرة في النفس بالمجاهدة، لا يجد معناه إلا في السعي إلى ترسيخ ذلك في المجتمع، لأن تحصين المجتمع دعم لتحصين النفس، وقد كان منهج بديع الزمان مبني على التوازن في تمثل القيم بين الحاجة إلى تصفية النفس وصقلها ، والحاجة إلى جعلها فاعلة في محيطها تؤدي رسالتها وتستفيد مما حولها، لأن الفاعلية هي من شأن اللطيف، والانفعالية من شأن المادي، ولا تدرك الفاعلية إلا بالمعادلة، فالصفاء لا يرادف الانعزال، والتفاعل لا يرادف الانسلاخ، والمعادلة بينهما مقصودة لبناء الإنسان والمجتمع، وهكذا كانت رسالة بديع الزمان سواء في مرحلة " سعيد القديم " الذي خاض معارك ميدانية سياسية اجتماعية وصبر على أذى الناس فيها، أو في مرحلة "سعيد الجديد " التي خاض فيها معارك فكرية ووجدانية، وكان الغاية والقصد في المرحلتين إيجاد منهاج لإصلاح المجتمع والرقي بالأمة إلى مستوى الشهود، وقراءة في السيرة الذاتية للرجل كفيلة ببيان ذلك .

ولذلك أكد بديع الزمان على ضرورة التزام منهج الشريعة في إصلاح النفس وفق رسالة الوحي، وبيانها من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم القائل "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم" (٥٩) وتلك فلسفة القرءان في إصلاح المجتمع وهي عماد

(٥٩) رواه الإمام أحمد في المسند

رسائل النور ولذلك نجد في الرسائل إلى جانب مصطلحات التزكية والطهارة والتحلية المرتبطة بالنفس، مصطلحات التضحية والصبر والحكمة والجهاد المرتبطة بالمجتمع.

لقد سأل بديع الزمان تلاميذه ذات يوم قائلا : هل" الكلمات " المؤلفة كافية ؟ وهل فيها نقص؟وأعني بهذا السؤال. هل إنتهت مهمتي لكي أنسى الدنيا قطعا كليا وألقي بنفسي في أحضان غربة نورانية لذيذة حقيقية باطمئنان القلب ؟ فأجابه الطالب الأول المستوعب لمقاصد رسائل النور قائلا: ها أنا أدرج البراهين التي تمكنت من التفكير فيها والتي تدل على عدم انتهاء مهمتكم .

أولا إن واجب العلماء هو الصدع بالحق،وعدم السكوت عنه عند انتشار البدع ،وقد ورد الزجر عن السكوت عن الحق في الحديث الشريف، وثانيا أنتم مكلفون باتباع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فضرورة أداء هذه المهمة مستمرة مدى الحياة ..."[٦٠]

٤- المعادلة بين قوى الإنسان وقدراته وطاقاته:

فالله تعالى هو خالق هذا القوى في نفس الإنسان وهي فطرة فيه، وهي أدوات مسخرة له كي يعملها في الطاعة بالقسط، وما كان خالقها ليطلب من الإنسان سحقها وبترها، ولكنه أرسل الرسل والرسالات لتدل الإنسان على سبل تهذيبها واستثمارها في النفع.

يقول بديع الزمان " اعلم أن الصراط المستقيم هو العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة التي هي أواسط للمراتب الثلاث. توضيحه أن الله عز وجل لما أسكن الروح في البدن المتحول المحتاج المعروض للمهالك أودع لإدامتها فيه قوى ثلاثة.

---

(٦٠) السيرة الذاتية ص ٢٤٤

إحداها: القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع

وثانيها: القوة الغضبية السبعية الدافعة للمضرات والمخربات .

ثالثها: القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضرر .

لكنه تعالى - بحكمته المقتضية لتكامل البشر بسر المسابقة – لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سائر الحيوانات وإن حددها بالشريعة، لأنها تنتهي عن الإفراط والتفريط وتأمر بالوسط، يصدع عن هذا قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[٦١] وبعدم التحديد الفطري تحصل مراتب ثلاث : مرتبة النقصان وهي التفريط، والزيادة وهي الإفراط، والوسط وهي العدل "[٦٢].

ونتيجة ذلك في تدافع الخير والشر يتمثل في أن "تفريط القوة الشهوية الخمودة وعدم الاشتياق إلى شيء، وإفراطها بأن يشتهي ما صادف حل أو حرم، ووسطها العفة بأن يرغب في الحلال ويهرب عن الحرام، وقس على هذا الأصل كل فرع من فروعاته من الأكل والشرب وأمثالها ."[٦٣]

الخاتمة :

وخاتمة القول أن بديع الزمان جعل من الإيمان بالآخرة مفتاح الخير ومغلاق الشر في الدنيا والآخرة، إلا أن الرجل لم يتناول الموضوع بأسلوب التذكير، بل تعداه إلى التفكير، فأبرز مقاصد هذا الإيمان في حكم العالم بقيم مدنية الشريعة، كما وضح أثره في تغيير مفاهيم الإنسان وتصحيح تصوراته للكون والحياة والمصير، والاحتكام إليه أيضا في تحديد مصير الإنسان بعد البعث والحساب.

(٦١) هود ١١٢
(٦٢) إشارات الإعجاز ص ٣٢
(٦٣) إشارات الإعجاز ص ٣٣

ولم يكتف بديع الزمان بهذا الإطار النظري، بل رسم منه معالم في السلوك التطبيقي العملي المحصن بالقرآن والسنة، الممزوج بتجاربه الذاتية الثرة الغنية في سبر أغوار الواقع وآثار كل ذلك في المسار والمسير .

وبالله التوفيق

عقيدة الآخرة في رسائل النور

بين مقدماتها المعرفية وآثارها الاجتماعية والتربوية

د. محمود أبو الهدى الحسيني
طبيب وباحث في العلوم الإنسانية
حلب - سورية

أولا- تمهيد:

وجد الإنسان ذاته على أرض شاسعة ممتدة، و من حوله كونٌ كبير وفضاءٌ رحبٌ لا يعلم غايته ومداه، ووجد في ذاته تلك نفسًا فوضوية تشتهي كلَّ لذيذ، وتطلب كل متعةٍ عاجلةٍ، وأحسَّ إلى جانبِ هذه النفسِ المجنونة الجشعةِ بروحٍ قلقةٍ حائرةٍ غريبةٍ عن كلِّ ما تراه حولها من المتع المحسوسة والكثائف المتبرجة، فهي الكائنُ اللطيفُ المشتاقُ إلى جنسِه، المريدُ لأسبابِ أنسِه، وبين تلك النفسِ وهذه الروحِ رأى فيه قلبًا متقلبا، يوافقُ النفسَ تارةً ويوافقُ الروحَ تارةً أخرى، مرةً يضطربُ باضطرابِ النفسِ ويثورُ بثورتها، ومرةً يسكُنُ بسكونِ الروحِ ويطمئنُّ.

ورأى في ذلك القلب عَقلا متسائِلا، يطرحُ بين السؤالِ والسؤال ألفَ سؤال،

لماذا وُجدتُ؟ ولماذا وُجِدَ غيري على غير ما وجدتُ عليه؟ وكيف أنفعُ ذاتي؟ وما هي نتيجةُ اختياري نفعَ ذاتي ونفعَ غيري؟ وما هو مآلُ من اختارَ ضرري وضررَ غيري؟ وهل ينتهي أمرُ الجميعِ بدخولهمْ حُفرةَ التراب؟

ويبقى طِلَّسْمُ الكون ولُغزُه بابًا مغلقًا أمامَ الروحِ والعقلِ والقلبِ، حتى يتسلَّمَ هذا الإنسانُ المسكينُ المبتلى بعجزِه وفقرِه مِفتاحَ البابِ من رُسُلِ الله وأنبيائهم، ومن سَيّدِهِمْ وإمامهمْ محمَّدٍ ﷺ ، ويدرك أن هذا المفتاح اسمه (الإيمان بالله واليوم الآخر).

فتكون معرفتُه هذه منطلقَ تربيتِه، وتصبحُ تربيته هذه ناظِمَ حياتِه، وموجِّهَ سلوكِه الإنسانيّ.

ومن عُظماءِ من تنبه إلى المضمون المتقدم ذكره ونبه عليه الأستاذُ البديعُ السعيدُ: (بديع الزمان سعيد النورسي) الذي بيَّنَ مقدماتِ تلك المعرفة، ونتائجَها، وآثارها التربوية والاجتماعية في الإنسان.[1]

ثانيا- البحث:

مصادر المعرفة عند العقلاء استدلالاتُ العقول، وخبرُ الرسولِ المؤيدِ بالمعجزة، ويُنتج هذا الاستدلالُ معرفةً شعورية ملازمةً للإنسان، وحالا يتناسبُ مع تلك المعرفة، فتتولدُ لديه عن كل ذلك نتيجةٌ تربويةٌ على المستوى النفسيّ، وعلى مستوى السلوكِ العمليّ.

يفصِّلُ الأستاذ النورسي ذلك في رسائل النور ويبيّنُ أبعادَه المعرفية والتربوية.

1- البعد المعرفي للإيمان بالآخرة في رسائل النور :

---

(١) راجع الكلمات للأستاذ النورسي – الكلمة السابعة (ص٢٦- ٢٨).

"**من لا يخلقُ كُلَّ شيء لا يقدر على خلق شيء، ومن يخلقُ شيئًا واحدًا يقدر على أن يخلق كل شيء**"(٢)، "والذي يخلق اليومَ هو قادر على خلقِ يومِ القيامة ... والذي أظهرَ عوالم الماضي يقدرُ على أن يُظهرَ عوالمَ أخرى في المستقبل"(٣).

من هذا المنطلق يقرأ الأستاذ قدرة الله تعالى على خلق الآخرة، ثم يرى أن "عظمةَ سلطانِ هذا الخالق الأزلي، وسرمديةَ حاكميتهِ لا تَحصرُهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكفيهما عمرُ الإنسانِ القصير جدًا، ولا عمرُ هذه الأرض المؤقتة الفانية"(٤)، ويوصِلُ القارئَ والمتأملَ في رسائل النور إلى حقيقة الاعتقادِ بالآخرة، ويشرحُ له ماهيَّتها في المنظور الإيماني، وصلةَ حصولها بفقد الإنسان المستقيم، وغياب أنوار الرسالة.

1- A- الأدلة على الآخرة:

يطوف الأستاذ بالباحثين عن الحقيقة في أفلاك الأدلة المتنوعة على وجود الآخرة، فيذكر منها:

1- A- 1: الأدلة من خلال تبدل الطبيعة المحسوس:

يرى الأستاذ أنواعًا كثيرة منظورة بالحِسّ من القيامة في الطبيعةِ وبدنِ الإنسان، ويستدلُّ بها على القيامةِ الكبرى والحشرِ الأعظم.

فالبشر يشاهدون بأعينهم "أنَّ يدًا غيبية تنشئ وتديرُ في كل ربيع جيشًا مهيبًا مركَّبًا من أربعمائة ألفٍ من مختلف الأنواع من الأحياء، ثم في موسم الخريف - الذي هو نموذج القيامة تُعفي ثلاثمائة ألفٍ من مجموع الأربعمائة ألف نوعٍ

---

(٢) الكلمات – من الكلمة العاشرة – ص: ٨٣
(٣) الكلمات – من الكلمة العاشرة – ص: ٨٣
(٤) الكلمات – من الكلمة العاشرة – ص: ١١٢

من وظائفها، بصور الوفاة وباسم الموت"[٥] ثم يبيّنُ الأستاذ أن هذا الذي يحصل هو نموذجٌ للحشر الأعظم المنتظَر في الآخرة.

ويقرّبُ المتأملَ من مشهدِ حشرِ الأجسادِ يوم القيامة مع كونِ أجزاءِ تلك الأجسادِ المتنوعةِ قد اختلطَ بعضُها ببعضٍ في ترابِ الدنيا، حين يحكي مصيرَ "غَرْفَة يأخذُها إنسانٌ بقبضتِه مِن أشتاتِ بذورِ الأزهارِ والأشجارِ المختلفة في الأجناس والأنواع، ثم يدفُنُها معًا في ظُلُماتِ تُرابٍ محدود، ثم يسقيها بالماء الذي لا يُفَرّق بين الأشياءِ المروية"[٦] ويقولُ بعد ذلك للمتأمل فيها:

"انظر إليها عند الحشر السنوي وقد حُشر بنفخِ الرعد في الصُور في الربيع، حتى ترى تلك البذور كيف تمايزت فصارَ بعضُها شجرةَ تينٍ تَنشُر وتنثر نِعمَ ربها، وبعضُها أزاهيرَ تضحَكُ في وجهِ الإنسان وتتودّدُ له، وبعضُها فواكِهَ تدعو البشر إلى تناولها"[٧] فقد امتثلت كلُّها أوامرَ فاطرها التكوينية بلا خطأ، فما ترى فيها غَلَطًا ولا قُصورًا.

فيصلُ بالمتأملِ إلى النتيجةِ التي مَفادُها أن "هذا الفعلَ لا يفعلُه إلا من يقتدرُ على إقامةِ القيامة"[٨].

ويتحدث عن الأشجارِ العاريةِ في الشتاءِ كالجثثِ المنتصبةِ والهياكلِ العظمية، وعن نُشورها وامتثالها لأمرِ البعث بعدَ الموت.

وكيف يحصلُ مع هذا إحياءُ أفرادٍ من أنواعِ الحيواناتِ الدقيقةِ التي لا حصر لها، وحشرُ أممِ الحشراتِ ولا سيَّما الذباب (الذي يُذَكِّرُ بالوضوءِ والنظافةِ لقيامه

---

(٥) من الشعاع السابع – ص: ٢١٧

(٦) اختصار من المثنوي العربي النوري – ص: ٢٦٥

(٧) من المثنوي العربي النوري – ص: ٢٦٥ بتصرف واختصار.

(٨) من المثنوي العربي النوري – ص: ٢٦٥.

بتنظيف يديه وعيونه وجناحيه باستمرار) ويرى أن حشرَ هذه الحشرات في كل ربيعٍ وفي بضعة أيام، يعطي آلاف الأمثلةِ على إنشاءِ الأجسادِ البشريةِ يومَ القيامة[٩].

ويتحدثُ عن تبدُّل ذراتِ الجسد البشري خلال حياته في بضع سنين، ويرى فيه نموذجَ قيامةٍ وحشرٍ تدريجيين[١٠] .

ويرى أن تبديل الصيف إلى شتاءٍ، والشتاء إلى صيفٍ خلال سَاعة، هو من شُؤونِ القُدرة المتجلّية التي تشِير إلى تبديل الدنيا إلى آخرة[١١].

ويتحدثُ عن السحابِ" المنفوشِ كالعِهْنِ، الذي يظهر باديًا في السماء ويختفي ، فيخط في السماءِ لوحةَ المحو والإثبات، ويُظْهِرُ صورةً مصغرة للحشر والقيامة[١٢].

ويقارنُ بين الساعة الزمنية الأسبوعية بدواليبها المعدنية، والساعةِ الكبرى التي دَواليبُها الأفلاكُ فيراها وهي تعدُّ السنينَ وعمرَ البشرِ وزمنَ الدنيا، ثم يبينُ أن حركة تلك الساعة تشير إلى قُربِ تولُّدِ صُبح الحشر[١٣].

ويرى في كل حركة منها قيامةً نوعيةً مكررةً في الأزمنة كاليوم والسنة.[١٤]

1- A- 2: الأدلة من خلال مفهوم الحكمة الإلهية:

يستمدُّ الأستاذ هذا النوع من الأدلة من خلال استقراءٍ في عالم حكمة الحق

(٩) الكلمات– من الكلمة العاشرة – ص: ١٢٢ باختصار.
(١٠) الكلمات– من الكلمة التاسعة والعشرون – ص: ٦١٥ باختصار.
(١١) الشعاعات– الشعاع الثالث – ص: ٥١ باختصار
(١٢) الشعاعات– الشعاع السابع – ص: ١٤٤ باختصار.
(١٣) من إشارات الإعجاز – ص: ٦٣.
(١٤) انظر صيقل الإسلام/محاكمات – ص: ١٥٩

تعالى الذي لا يجد فيه إلا الانتظامَ والتناسق والجمال، ويبين بعد ذلك أن "الرب سبحانه ما دامَ يُجري الأمور وَفقَ حكمته، وقد أبدع نظام الكون المنسّقِ الموزون، فإن هذا لا يتناسب مع عدم بعث الظالمين العتاة يوم القيامة مع المظلومين البائسين"[١٥] فحكمته تعالى تقتضي أن يقف الطرفانِ أمام المحكمة الإلهية التي لا تدع مظلوما من غير أن تأخذ له مظلمته من ظالمه.

"ولو لم تكن القيامة حاصلةً لظلَّ الإنسانُ المرتكبُ للظلم في الدنيا دون جزاءٍ مع إنكاره وكفره وعصيانه، ولقضى الظالم القاسي حياته براحةٍ، والمظلومُ البائسُ بشظفٍ من العيش"[١٦]دون أن يحصل في الخاتمة بينهما قصاص.

فيُثبِتُ الأستاذُ مما تقدم أن القيامة لا بد ستقوم.

1- A- 3: الأدلة من خلال مفهوم خلافة الإنسان في الكون:

وينطلقُ الأستاذ بهذه الأدلة من استقراءٍ نظري وخبرٍ قرآني، يفيدانِ خصوصيةَ الإنسان في هذا الكون الكبير بين كل المخلوقات، وانفرادَه بمقام المحبة والمحبوبية لمولاه " فالربُّ سبحانه يحبّ الإنسان، ويحبّب نفسه إليه" [١٧] وقد "وهب الإنسان مقامًا ساميًا وسخر له الكون الكبير وجعله مسكنًا ومهدًا له، ثم نصبه خليفة في الأرض، وحمّله الأمانة الكبرى التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، وفضّله على سائر المخلوقات، وشرّفه بكلامه الرباني وبخطابه السُبحاني، ووعده في جميع كتبه المنزلة- انه سيخلّده بالسعادة الأبدية والبقاء الأخروي"[١٨] ومع ذلك "أولاه الأهمية القصوى، بجعله أجمعَ ثمرةٍ في

(١٥) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ١١٢ بتصرف واختصار.
(١٦) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ١١٢ بتصرف واختصار.
(١٧) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ١١٢
(١٨) الشعاعات- من الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٦٦، باختصار.

شجرة الكائنات، وألطفَها وأشدَّها رقةً ودلالًا، وأكثرَها مستجابًا للدعاء"[١٩]

أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم والعليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للإنسان أن لا يأتي بالقيامة؟[٢٠] وأن لا "يفتحَ لهذا الإنسان أبوابَ السعادة الدائمة، بإحداثِ الحشر والقيامة"[٢١]، حتى يرى ثوابَ عمله، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلتِ الكائنات في امتنان ورضا دائمين[٢٢].

1- A- 4: الأدلة من خلال المشاهدة الحسية النبوية للآخرة:

وذلك أن الرسولَ الصادقَ المؤيدَ بالمعجزات، الذي لا يستطيعُ العقلُ إنكارَ نبوته ورسالته، وأمامه ما لا يحصى من الأدلة على ذلك، قد " شاهد ببصره بعين اليقين أعظم حقائق الإيمان، وهو الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، ودخل الجنة وشاهد السعادة الأبدية حين عرج بجسمه وحواسه ولطائفه يوم الإسراء والمعراج"[٢٣] ثم أخبر عما شاهده مفصَّلا، فكيف لا تكون مشاهدتُه الحسية دليلًا على الآخرة؟

1- A- 5: الأدلة من خلال الخبر القرآني:

وما أكثر ذلك في رسائل النور، وصاحبُها هو في الأصل تلميذُ القرآن، فهو يستمدُّ أكثر الأدلة من ذلك المعين العذب.

ولو تأملنا على سبيل المثال ما كتبه من الدليل على الآخرة في شرحه لسورة النبأ لكفى.

---

(١٩) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ٨٥
(٢٠) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ٨٥
(٢١) الشعاعات- من الشعاع الحادي عشر – ص: ٢٦٦، باختصار وتصرف.
(٢٢) الكلمات- من الكلمة العاشرة – ص: ١١٣
(٢٣) المكتوبات-المكتوب الرابع والعشرين – ص: ٣٩٥ باختصار وبعض تصرف.

يقولُ الأستاذ: "تقول السورة في مستهلِّها إثباتًا ليوم القيامة: لقد جعلنا الأرض لكم مهدًا قد بسط بَسْطًا جميلًا زاهيًا.. والجبالَ أعمدةً وأوتادًا مليئةً بالخزائنِ لمساكنكم وحياتكم .. وخلقناكمْ أزواجا تتحابّونَ فيما بينكم ويأنسُ بعضُكم ببعض .. وجعلنا الليل ساترًا لكم لتخلدوا إلى الراحة .. والنهارَ ميدانًا لمعيشتكم .. والشمسَ مصباحًا مُضيئًا ومُدَفِّئًا لكم .. وأنزلنا من السُحُبِ لكم ماءً باعثًا على الحياة يجري مجرى العيون .. وننشئُ بسهولةٍ من ماء بسيط أشياءَ شتى من مُزهرٍ ومُثمرٍ يحمل أرزاقكم .. فإذًا يومُ الفصل - وهو يوم القيامة - ينتظركم".[٢٤]

ويظهر من هذا اعتماده في بعض أدلته على النص القرآني صِرْفًا من غير مزج.

1- B - ماهية الآخرة في المنظور المعرفي:

وهو في هذا المقام لا يسلكُ سبيل الأدلة، لكنَّه يعبرُ عن الشعورِ الإيمانيّ المجرد، ويصوِّرُ ما في البواطنِ المؤمنةِ من التصورات عن ماهية الآخرة، ومن ذلك:

1- B- 1: تصوير ماهية الموت:

الموتُ في نظر الأستاذِ حبلٌ هو مِشنقةُ إعدامٍ للمجرم تخلص العالم من شروره، وهو أرجوحةُ مُتعةٍ للمحسنِ يركبها فيرى كُلَّ البدائعِ الجميلةِ وهو راكبٌ فيها، ويأنس بالصور الأنيقة الجاذبة[٢٥].

والموتُ في تصورٍ آخَرٍ أَسَدٌ مُتَوحِّشٌ مفترسٌ ينتظرُ المجرم ليلتهمه، لكنه

---

(٢٤) من الكلمة الخامسة والعشرون - ص: ٤٣٢

(٢٥) انظر الكلمات - الكلمة السابعة ص٢٩.

للمؤمن المحسنِ أسدٌ أعدَّهُ سيده ليكون مطيةَ كرامةٍ توصله إلى محلِّ كرامته ومنزلِ سروره، فلا يليق بهذا المؤمن أن يركب حصانًا، لكن يليقُ الأسدُ حصانًا له أو بُراقًا(٢٦).

وهذا الموتُ هو لأهلِ الضلالِ فِراقٌ للأحبةِ أليم ، وخروجٌ من الجنّةِ الدنيوية إلى السجنِ الانفراديّ في القبر، وهو لأهل الهداية والقرآن رحلةٌ إلى ملاقاةِ الأحبة ومنازل السعادة الأبدية.

إنه" ليس كما يتراءى للغافلين ظلماتِ أوهام، ولا هو العالَم المظلم، بل هو مجمعُ الأحباب، وعالمُ اللقاء مع الأحبة والأخلاء، وفي طليعتهم حبيبُ رب العالمين وشفيعنا عنده يوم القيامة عليه أفضل الصلاة والسلام"(٢٧).

والقبر الذي يوضع الميت فيه هو ثعبانٌ يبتلع الظالم ويضغطه ويهضمه، لكنَّ هذا الثعبان يفتحُ فمه للمؤمن الذي يدخل في جوفه، فيصير فمه بابًا يرى من خلاله كُلَّ عوالم الجمال الأخروية والبساتين الفاخرة، فيقضي أجمل وقته فيه مستمتعًا بما يراه، وملتذا بما يجده(٢٨).

ثم إن" الموتَ في نظرِ الأستاذ هو للمؤمنِ إعفاءٌ وإنهاءٌ من كُلفةِ وظيفةِ الحياة ومشقَّتِها.. وهو تسريحٌ من العبودية التي هي تعليمٌ وتدريبٌ في ميدان ابتلاء الدنيا، وهو الفرصةُ لتسلُّمِ الأجرة إزاءَ الخدمة المؤداة، تلك الأجرة التي تُغْدَقُ سخيةً من خزينة فضل الخالق الرحيم".(٢٩)

---

(٢٦) الكلمات- من الكلمة الثامنة – ومن الكلمة السابعة ص٢٩ .
(٢٧) اللمعات – من اللمعة السادسة والعشرين – ص: ٣٤٤ باختصار.
(٢٨) انظر الكلمات – الكلمة الثامنة
(٢٩) اللمعات – من اللمعة الخامسة والعشرون – ص: ٣٢٣

1- B- 2: **تصوير ماهية القيامة:**

صحيحٌ أن القيامة هي في ظاهرها خرابٌ للنظام المعمور، وارتطامٌ للكواكب بعضِها ببعضٍ بعد فسادِ أفلاكها وقوانينِ دورانها، لكنَّ سرَّ حصول ذلك كما يراه الأستاذ يكمنُ في خرابِ البواطنِ المعنويةِ لسكان هذه الكواكب، وحصولِ الفسادِ المعنويّ لأخلاقِ أهلِ الأرض، فغيابُ القرآنِ الموجِّهِ لهم عنهم، ونسيانهم لتذكير الرسول البشير النذير، يجعلهم أسرى نفوسهم وأهوائهم وأوزارهم، وتنتفي بذلك حكمةُ بقاء دار التكليف الدنيوية.

يقول الأستاذ: " فإذا فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا غاب القرآنُ وفارق الكون، جنّ جنونُه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة"(٣٠).

وهكذا تقوم القيامة على رؤوس الكفار وحدهم(٣١).

لأن القيامة لا تنفعل ولا تستجيب إلا لأمر سيد واحد يقول لها: "قومي يا أيتها القيامة(٣٢)"..

ولا تقوم إلا لتحصيل سعادةِ نوع البشر، وفي هذا يقول الأستاذ:

"كما يسمع أدقَّ هواجس سري ويُصلح لي أرقَّ آمال قلبي وميوله.. كذلك يقتدر مع ذلك على ما يتمنّاهُ عقلي وخيالي من تحصيل السعادة الأبدية لنوع البشر بإقامة القيامة"(٣٣)...

---

(٣٠) الكلمات – من الكلمة العاشرة – ص: ١١٩
(٣١) الشعاعات– من الشعاع الخامس – ص: ١١٠/ والمكتوبات – من المكتوب الخامس عشر – ص: ٧٣
(٣٢) من المثنوي العربي النوري – ص: ١٥٦
(٣٣) من المثنوي العربي النوري – ص: ٢١٠

1- B- 3: تصوير ماهية العالم الآخر:

يعاني الإنسان في أحواله من التذبذب بين الأضداد، فتارةً يكون في الحزن وتارةً في السرور، ومرةً في الفقر وأخرى في الغنى، وحينًا في المرض وحينًا في الصحَّة، ولا نهاية في الدنيا لتقلبات الأضداد، ويرى الأستاذ النورسي أن **الآخرة هي المحطة الأخيرة التي تنجو فيها الكائنات من تلك التقلبات**، ويقول:

"ويوم تتوجه إرادته لإظهار تلك الحقائق المذكورة لتنجّي الكائنات من تقلّبات التغيّر والتحول والفناء وتهب لها الخلود، ولتميّز بين تلك الأضداد.... وأسباب التغيّر ومواد الاختلاف، سيقيم سبحانه القيامةَ حتمًا مقضيًا، وسيُصفّي الأمور لإظهار تلك النتائج"(٣٤).

ثم إن الآخرة بنظر الأستاذ **تلبي للإنسان احتياجاته** الروحية التي لا تتناهى، وتُشبع نهمَه لِلَذَّةٍ لا تتناهى، وتلبي آماله التي لا تتناهى، كما أنها أيضًا تظهر استعداده وقابليته للآلام التي لا تتناهى(٣٥).

وكما أنَّ الإنسان بعد موته سيُبعث في العالم الآخر، فإن الدنيا كلَّها – كما يرى الأستاذ- بعد دمارها وموتها ستُبعث (آخرةً) وإن الخالق القدير الذي بناها أول **مرة سيعمّرها بعد هدمها** تعميرًا أجمل من عمارتها الأولى(٣٦).

والآخرةُ في نظر الأستاذ هي انفعال للأسماء الإلهية، وفي هذا يقول:

"الأسماء الإلهية الحسنى :الحكيم، الرحيم، الحفيظ، العادل، واغلب الأسماء الحسنى تقتضي يوم القيامة والسعادة الخالدة"(٣٧).

---

(٣٤) الكلمات – من الكلمة التاسعة والعشرون – ص: ٦٣١
(٣٥) انظر المثنوي العربي النوري – ص: ٢٥٧
(٣٦) انظر الكلمات – الكلمة التاسعة والعشرون – ص: ٦٣٢
(٣٧) الكلمات – من الكلمة التاسعة والعشرون – ص: ٦٢٢

بل إن "حقيقة الحشر والقيامة مظاهرُ لتجلي الاسم الأعظم وبعض الأسماء.... والذي لا يرقى إلى مرتبة الوراثة النبوية ناظرا إلى اسمي "القدير" و"المحيي" وأمثالهما من الأسماء سيضطر إلى التقليد في عقيدة الآخرة.

والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حظيَ بأنوار الاسم الأعظم فأرشد إلى الآخرة[٣٨].

والليلُ يذكّر الأستاذ بالأفعال الجلالية وتجليات الأسماء الجمالية في الآخرة، لأن الآخرة في نظره إما فعلٌ إلهي جلالي أو تجلٍ أسمائيٌ جمالي[٣٩].

2- البعد التربوي للإيمان بالآخرة في رسائل النور:

الإيمان بالآخرة عنصرُ أملٍ في حياة الإنسان، ومن غيره سيقع في اليأس والكآبة والإحباط، والتربيةُ المادية التي تفقد هذا العنصر الإيماني لا تقدر على أداء مهمتها الاجتماعية، بل ستفشل في تحقيق الحد الأدنى من التواصل الأسري والاجتماعي والإنساني.

2- A - صلة عقيدة الآخرة بالحياة الاجتماعية والممارسات التربوية:

يُفَصِّل الأستاذ النورسي رحمه الله في الدور التربوي للإيمان بالآخرة تفصيلا كبيرًا، ومن ذلك:

2- A - 1: أثر الإيمان بالآخرة في تربية الأطفال:

اعتنى الأستاذ بديع الزمان النورسي بتربية الأطفال في رسائله عناية فائقة، وليس هذا بغريبٍ لأن الأطفالَ هم أملُ الأمة وغدُها المنشود الواعد، وحين

---

(٣٨) الكلمات – من الكلمة الرابعة والعشرون ص: ٣٨٥ – ٣٨٦ باختصار وتصرف.

(٣٩) انظر الكلمات – الكلمة التاسعة – ص: ٤٤

يدخل في تربيتهم عنصرُ الإيمان بالآخرة، تتكون شخصياتهم تكوينا متوازنا بين الروح والمادة، وحين يهمش ذلك العنصر الإيماني، يتكون البدن وتزول المعاني والأخلاق، ويتحول الكائن البشري إلى حيوان ينحطُّ في سلوكياته عن رتبة البهائم والأنعام.

يقول الأستاذ بديع الزمان: "تدريسُ الأطفال مجرَّدَ العلومِ المادية، وربطُهم بالمعاني العرقية والقومية بعيدا عن معاني الإيمان بالله واليوم الآخر، يكونُ كمن يخرج قَلبَ طفلٍ ودماغَه ويقدمهما له طعامًا مفيدا لنموِّ جسده، فلو كان الإنسان جسدا حيوانيا وحسب، لا يملك العقل والقلبَ والروح، فلربما يُلهيه في طفولته البريئة ما يوردونه عليه من عناصر التربية الحديثة المادية الأجنبية عن ثقافة الإسلام وحضارته مزينةً باسم التربية القومية"[٤٠].

ويبين الأستاذُ سببَ حاجة الأطفال إلى الإيمان، فهم بتكوينهم يشبهون الكبار في الافتقار الذاتي إلى الله تعالى، والعجزِ الذاتي المختبئ خلف المِنَحِ والمواهبِ الربانية، فماذا يصنعون حينما تنكشفُ حقيقة الأمر في لحظة اضطرارٍ إن لم يكن لديهم الإيمان بالله والآخرة؟

وإذا لم يكن لديهم ملكة الاستعانة بِمَصدر القوة في لحظات الاضطرار، فسيكونون أسرى اليأس وضحايا الغم والهمود.

وهكذا يبين الأستاذ "أنَّ الأطفال طالما أنهم مثل كل الكبار من البشر يحملون عجزًا وفقرًا بشريين لا منتهى لهما، فالواجب في تربيتهم ومن مقتضى الشفقة عليهم وضعُ نقطة استناد قوية لهم في قلوبهم يستندون إليها لإلغاء ذلك العجز والفقر، وتوجيهُهم إلى الاستمداد من مورد لا ينضب، فإذا استندوا إلى

(٤٠) المكتوبات– المكتوب التاسع والعشرين – ص:٥٤٥

معنى قدرة الله تعالى على كلِّ شيء واستمدوا منه، واستندوا إلى معنى ثوابه تعالى في الآخرة للمؤمن المحسن عندها سيثبتون على الحق ويتمثلون حال الصبر والشكر ويعيشون حال التوكل الإيماني في الضراء والسراء وفي كل ما يجابههم من أحوال وأهوال"[٤١].

إن تعليمَ دروس التقدم المادي وحدها، وتدريسَ الفلسفة المادية التي لا نورَ فيها، ستُضعفُ قواهم المعنوية وتطفئ أنوارَ أرواحهم.

كيف سيتحملُ الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، الحالاتِ المؤلمةَ والمفجعة التي تحصل أمامهم ويكون فيها الموت والوفاة لأحبائهم؟

إن ما يُغرس في قلوبهم من " الإيمان بالجنة يفتحُ لهم بابَ الأمل المشرق ويعين طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب، فيحاورُ الطفل المؤمن بالجنة نفسه قائلا: إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي أصبح الآن طيرًا من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منّا"[٤٢]

ولولا هذا الإيمان بالجنة لهدَم الموتُ الذي يصيب أطفالا أمثالهم - و كبارًا - القوةَ المعنوية لهم ولحطَّمَ نفوسهم، ودمّرَ حياتهم ونغَّصها.

وهنا يبرزُ مع المؤسسات التربوية المتعددة دورُ الأمِّ في الأسرة، وشتانَ بين أمٍّ تربي أطفالها على التوازن بين المادة والروح، وأمٍّ علمانية ماديَّةٍ تربي طفلها على مجرد القوانينِ المادية والقومية فهي "تسعى لتنقذه من سجنٍ دنيوي، ولا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الأبدي، وتتصرفُ تصرُّفًا مخالفًا لفطرتها مخالَفَةً كلية، وبدلا من أن تجعل ولدها البريء شفيعًا لها يومَ القيامة تجعله مدعِيًا

(٤١) انظر المكتوبات- المكتوب التاسع والعشرين - ص:٥٤٥
(٤٢) انظر الكلمات- الكلمة العاشرة - ص:١٠٤

عليها، يشكوها هناك قائلا : "لِمَ لمْ تقوّي إيماني حتى سَبَّبْتِ هلاكي هذا؟!"[٤٣].

ويوصي الأستاذ الآباء والأمهات بتحويل المنزل إلى مدرسةٍ تربويةٍ فيقولُ: "اجعلوا بيوتكم مدرسةً نوريةً مصغرة، وموضعَ تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد... على الإيمانِ، فيكونونَ لكم شفعاءَ يوم القيامة، وأبناءَ بررةً في هذه الدنيا"[٤٤]

وينبه الأستاذ إلى أن "التربية الأوروبية التي حلت محل التربية الإسلامية في الوقت الحاضر، تجعل واحدًا أو اثنين من كل عشرة أبناء ، ابنًا بارًا بوالدته.... بينما الثمانية الباقون من العشرة يهملون البر"[٤٥].

بل إن فكرة الزواج أصلا التي هي المقدمة لوجود الطفل لن يدفعها إلى التحقق إلا الإيمان بالآخرة، وكم يهرب الماديون اليوم من الزواج وتبعاته، ويكتفون بتحقيق رغبات نفوسهم وإشباع نزواتها بعيدا عن دائرة المسئولية.

يقول الأستاذ: "ان في فطرة المرأة حب الأولاد وملاطفتهم، والذي يقوّي هذا الميل الفطري ويسوق إلى الزواج هو خدمة الولد لها في الدنيا، وشفاعته لها يوم القيامة، وإرساله الحسنات إليها بعد وفاتها".[٤٦]

2- A - 2: أثر الإيمان بالآخرة في الاستقرار والثبات لدى الكبار:

يصور الأستاذ النورسي الفارق بين كل من الرؤيتين المادية والإيمانية لما يحصل في الدنيا من الشدائد والمحن، فالرؤيةُ الإيمانية التي تعتبر الآخرة وترجوها ترى شدائد الدنيا ومصائبها صغيرةً يستطيع الإنسان أن يتجاوزها وهو ينظر إلى الآخرة.

---

(٤٣) انظر اللمعات – اللمعة الرابعة والعشرين – ص: ٣٠٨
(٤٤) من الملاحق في فقه دعوة النور – ملحق أميرداغ/٢، ص: ٤٠٣
(٤٥) انظر الملاحق في فقه دعوة النور – ملحق أميرداغ/٢، ص: ٣٤٢
(٤٦) الملاحق في فقه دعوة النور – ملحق أميرداغ/٢، ص: ٣٤٢

يقول الأستاذ: "نعم، إن الأضرار الطفيفة المؤقتة للحياة الدنيوية الفانية القصيرة بالنسبة للحياة الأخروية الخالدة إنما هي كلسع الذباب، بينما أضرار الحياة الأخروية هي كلدغ الثعابين"(٤٧).

ويبين سِرَّ تحمل المعمَّرين من الشيوخ لآلام الشيخوخة، وضعفِ بنيتها، وقربِ رحيلها عن الدنيا، فيقول: "إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بالإيمان بالآخرة، ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة"(٤٨).

ونقرأ أروع المواقف المبدئية النموذجية التي يظهر فيها الثبات متألقًا في سلوك الأستاذ النورسي نفسِه وهو يفسر ثباتَه بالإيمان بالآخرة فيقول:

"أيمكن لمن يعتقد بأنه لا يوجد شيء فوق القرآن وفوق الحقائق القرآنية أن يرمي بنفسه إلى الهلاك الأبدي خوفًا من عقوبات فانية؟ وهل يمكن أن يهتم ببعض القيم الفانية؟ وهل يتخلى عن وظيفته في إيفاء الخدمة لله ولرسوله ولدينه؟"(٤٩).

ويبين أنه يملك حياتين: حياةً دنيوية وحياة أخروية، أما أعداؤه فلا يملكون إلا حياة واحدة، ولن يستطيع مقابلته في الميدان من يملكُ حياةً واحدة.

---

(٤٧) الملاحق في فقه دعوة النور – ملحق قسطموني، ص: ١٥٤
(٤٨) من الكلمة العاشرة – ص: ١٠٥
(٤٩) الشعاعات– الشعاع الرابع عشر – ص: ٦١٠

ثم يقول:

"فالتهديد إذن باستلاب هذه الحياة لا قيمة له وليس بشيء عندي.... فلن أُحجمَ عن مقصدي، ولا أرضى بالبقاء تحت وطء منّتها وثقلها"[٥٠]....

وهكذا لا يكون الإيمان الذي هو المفتاح النوراني والقدسي للحياة الأبدية وشمس الحياة الأخروية آلةً بيد الساسة الماديين الذين يسلكون سبيل التلاعب من أجل المصالح العاجلة، ولا يمكن أن يتبعهم في اعوجاجهم أصحابُ هذا الإيمان، مثلما لا يمكن أن يتبع الشمسُ آثارَ القمر[٥١].

ويتعجب الأستاذ من اللاهثين خلف الفتات المادي، المفرِّطين بحياتهم الأخروية، وحالُهم حالُ من قال:

نرقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

يقول الأستاذ مخاطبا لهذا الصنف:

"وتُقبلون على كل مالٍ دون أن تعبئوا أهوَ حلال أم حرام؟ وتضحون في سبيل ذلك بأمور جليلة وأشياء قيّمةٍ تستوجبها الحياة الأخروية[٥٢].

ويعيب الأستاذ على من "يعتقد بنفسه الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر إلا انه يوالى التيارات المناهضة للشريعة والموافقة للأجانب، تحت اسم المدنية" ويصل إلى تقويمه بقوله:

"ولما كان لا يلتزم بقوانين الشريعة الأحمدية التي هي الحق والحقيقة ولا يواليها موالاة حقيقية، فيكون إذن مؤمنًا غير مسلم، وكما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون

---

(٥٠) صيقل الإسلام/المناظرات – ص: ٤٢٢ باختصار.
(٥١) مستفاد من السيرة الذاتية – ص: ٢٥٣
(٥٢) المكتوبات– المكتوب الثاني والعشرون – ص: ٣٥٤

سببًا للنجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام - على علم - لا يصمد ولا منح النجاة.[٥٣]

2- B - الحال الإيماني المتعلق بالآخرة:

التصديق العقلي والأدلة والبراهين إذا لم تتحول إلى شعورٍ ملازم وحالٍ مضيء تبقى كالهياكلِ الجامدة، لهذا قرر أكثر علماء العقائد أن الإيمان تابع للمعرفة وليس هو عينها.

وقد كان الأستاذُ النورسي المظهرَ المتألقَ لهذا الحال، فما كان يفارقه في وقتٍ من الأوقات، حتى في وقت نزهته يعيشُ هذا الحال ويستأنس به، "فبينما كان الأستاذ يسير يومًا على الساحل الهادئ الجميل لبحيرة (اغريدر) ويتأمل مياهها الزرقاء، والسفوح الخضراء للجبال المحيطة بها، ويتذكر مسألة البعث بعد الموت ويوم القيامة والآخرة التي غدت تُصَوَّرُ من قبل الدوائر الملحدة وكأنها خرافة وأسطورة لا سند لها من دليل عقلي أو علمي، بدأ يردد في جيشان روحي كبير قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الروم:٥٠) ورددها زهاء أربعين مرة وهو يذرع الساحل جيئةً وذهابًا في نشوة روحيةٍ عميقةٍ ملأت نفسه بمعاني هذه الآية الكريمة وفاضتْ بها، فأخذ يُملي على أحد طلابه هذه المعاني فكانت رسالة (الحشر) وهي الرسالة الأولى من رسائل النور[٥٤].

بل إن هذا الحال كان يتبعه وهو في النوم، فكان يرى فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت، وأن الكائنات قد بعثت من جديد[٥٥].

---

(٥٣) الملاحق في فقه دعوة النور – ملحق بارلا – ص: ٩١
(٥٤) من السيرة الذاتية – إحسان قاسم– ص: ٢٣٤
(٥٥) انظر السيرة الذاتية –إحسان قاسم – ص: ٤٥

ويخاطب نفسه مذكّرا لها بأنها أسرع زوالا من الكون المحيط بها فيقول:

"اعلم يا أيها السعيد الغافل، تنظر إلى أطرافك الآفاقية فتراها ثابتة مستمرة في الجملة وبالنوع، فتظنُّ نفسك أيضًا ثابتة دائمة حتى لا تندهش إلا من القيامة، كأنك تدوم إلى أن تقوم هي. كلا .. إنك ودنياك في معرض الزوال والفناء في كل آن. فمثلك في هذا الغَلط كمثل مَن في يده مرآة مقابلةٌ لمنزلٍ أو بلدٍ أو حديقةٍ ارتسمتْ هي فيها، ففي أدنى حركة للمرآة وتغيرها يحصل الهرج والمرج في تلك الثلاثة التي اطمأننت بها. وأما بقاؤها في أنفسها فلا يفيدك، إذ ليس لك منها إلا ما تعطيك مرآتُك بمقياسها وميزانها. فتأمل في مرآتِك وإمكانِ موتها وخرابِ ما فيها في كل دقيقة"(٥٦).

وما عليه وهو في هذا الحال إلا أن يُعدَّ " ذخيرة الرحلة الطويلة إلى الآخرة التي هي امتثالُ أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه" (٥٧)، مع المحافظةِ على الصلوات، وترك الكبائر كلها.

ثالثا- الخلاصة:

يتبين من البحث المتقدم أن الإيمان بالآخرة يأخذ حيزًا مهمًا وكبيرًا في رسائل النور وأن الأستاذ النورسي رحمه الله يعتبره جزءًا أساسيًا معرفيًا وتربويًا، وهو يوجب علينا وعلى جميع طلاب النور الاهتمام به وتوظيفه في ساحات الدعوة والتربية كافة.

---

(٥٦) من المثنوي العربي النوري – ص: ٢٦٦
(٥٧) الكلمات – الكلمة السابعة – ص: ٢٩

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

[١] النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي ، *إشارات الإعجاز* ، تحقيق إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١ .

[٢] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *السيرة الذاتية* ، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١ .

[٣] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *الشعاعات* ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١ .

[٤] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *صيقل الإسلام* ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، دار سوزلر للنشر ، استانبول .

[٥] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *الكلمات*، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١.

[٦] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *اللمعات*، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١.

[٧] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *المثنوي العربي النوري* ، تحقيق إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١.

[٨] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *المكتوبات*، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، مطبعة الأوقاف الإسلامية باستانبول سنة ١٣٣٧

[٩] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *الملاحق في فقه دعوة النور - ملحق أميرداغ* ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١.

[١٠] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *الملاحق في فقه دعوة النور - ملحق بارلا* ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١.

[١١] النورسي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، *الملاحق في فقه دعوة النور - ملحق قسطموني* ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، القرص المدمج لكليات رسائل النور الإصدار ١

عقيدة البعث في الشريعة الإسلامية

ورسائل الإمام النورسي

د. محمد بوزغيبة
جامعة الزّيتونة - تونس

*** تقديم:**

إنّ حياة الإنسان بعد موته، هي الخيط الفاصل بين الإيمان والإلحاد، بين التّفسير الدّيني لحقيقة الإنسان الذي يجعل لحياته ومصيره معنى وغاية وهدفا لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وبين التّفسير المادّي للإنسان الذي لا ينظر إلاّ إلى غذاء جسده، والذي ستنتهي مسرحيّة حياته بالموت والفناء.

فالإنسان متكوّن من مادّة وروح، والرّوح من سَنَنِ الله البديع تجعل للإنسان قيمة إلهيّة بما يبثّ من فضيلة ويزرع من خير وينشر من ضِياء، فتتغيّر بذلك نظرته للحياة ويرى بعين البصيرة ما وراء النتائج العاجلة من سلوك النّاس وتصرّفاتهم.

يقول ابن عطاء السكندري في مواعظه: «لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدّنيا قد ظهرت كسفةُ

الفناء عليها». ففي المعتقد الدّيني لا موت إلاّ في هذه الحياة، فمن فارقها انتقل إلى حياة خالدة لا موت فيها.

ولكنّ الفارق كبير والبوْن شاسع بين موت وموت، فموت المؤمن العارف فوز ونجاة، وموت الجاحد الكافر حِرمان وشقاء.

يقول تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٨٩-٩٥].

*** دعوة الأديان إلى الإيمان بالبعث:**

دعت جميع الأديان السّماوية إلى الإيمان بالبعث والنّشور على لسان رُسُلها وأنبيائها.

° فنوح عليه السّلام قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

° وموسى عليه السّلام قال في دعوته: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

° وعيسى عليه السّلام قال وهو في المهد: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

وما ورد على سيّدنا موسى وسيّدنا عيسى هو ما قرّرته الدّيانة اليهوديّة في أصلها الأوّل قبل أن يُصيبها التّحريف من وُجود البعث والنّشور والحساب حقيقة، جاء في الكتاب العزيز فحوى التّوراة في مسألة البعث، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى. وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى. أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى. أَمْ لَمْ

يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى. وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النّجم: ٣٣-٣٨].

ولكن من تتبّع أسفار العهد القديم، يجدها خالية من ذكر اليوم الآخر ونعِيمه وجحيمه. أمّا من تأمّل في الأناجيل سيجد أنّ اليهود حاولوا استدراج المسيح حتّى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر، ولكنّهم أخفقوا في محاولتهم بعد أن بيّن لهم المسيح فساد ويُطلان الأدّلة التّي يعتمدونها في هذه القضيّة، وكان ممّا قال لهم: «عجباً لكم! كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنّكم تقرؤون في كُتبكم أنّ الله قد قال: "أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والله تعالى إله للأحياء أو لا يصحّ أن يكون إلهاً للأموات"، فلمّا سمعوا منه ذلك بهتوا من حجّته» [إنجيل متّى: إصحاح ٢٢].

وقد أوردت الأناجيل أقوالاً للمسيح في التّبشير بملكوت الله وفي الحساب يوم الدّينونة.

° جاء في إنجيل متّى: «أقول لكم إنّ كلّ كلمة باطلة يتكلّم بها النّاس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدّين» [إصحاح: ١٢].

° وجاء في إنجيل يوحنّا: «أنا القيامة والحياة، فمن آمن بي فسيحيي وإنْ مات»[إصحاح: ١٤].

° وجاء في إنجيل مرقس: «وإنْ أعثرتك عينك فأقلعها وألقها عنك، فخير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تُلقى في جهنّم حيث دودها لا يموت والنّار لا تُطفأ»[إصحاح: ٨].

والموت عند المسيحيّة هو موت الرّوح والجسد معاً، موت الروح بسلب حياة الرّحمة الإلهيّة التّي بما يصبح الإنسان فوق الكائن الطّبيعي، وموت الجسم بخروجه عن حالته البيولوجيّة.

فليس للموت إذن مفارقة الرّوح للجسد، ولكنّه الفراق بين الإنسان والربّ، بتخلّي العناية الإلهيّة عنه جزاء ما ارتكب من شُرور واقترف من آثام.

فالمسيحيّة تتّفق مع الإسلام في مبدأ الخلود، ولكنّه يختلف عنها في حقيقته، وفي فكرة العدم بالموت بالنسبة إلى الأشرار، فالكافر كما ورد في القرآن الكريم يتمنّى العدم حتّى لا يرى ما يرى من أهوال، يوم ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]. ولو كان في حالة عدم حقيقيّة لما جاز عقلاً أن يتمنّى ذلك. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧]. فهذا الوعي لا يُتصوّر عندما يكون الإنسان في حالة عدم أو فساد بالموت، وكيف يحسّ المعدوم بمصيره المؤلم وهو في حالة فناء؟

ويبدو أنّ محمّد إقبال تأثّر بمثل هذه الآراء التّي انحدرت من المسيحيّة، قال: «... وليست هناك أعمال تورث اللّذة، وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنّفس البقاء، أو تكتب لها الفناء، فالعمل هو الذي يعدّ النّفس للفناء أو يكفيها لحياة مستقبلة، ومبدأ العمل الذي يكتب للنّفس البقاء هو احترامي للنّفس فيّ وفي غيري من النّاس... إلى أن قال: وعلى هذا فالخلود لا نناله بوصفه حقّاً لنا، وإنّما نبلغه بما نبذل من جُهدٍ شخصيّ، والإنسان مرشّح له لا غير» [1].

ولكن الذي قرّره القرآن أنّ الخلود أمر حتميّ للإنسان، إمّا في النّعيم وإمّا في الجحيم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا

---

(١) تجديد الفكر الدّيني في الإسلام، ص ١٣٧.

دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨].

ويقول إقبال: «على أنّه لا مفرّ للنّفس من أن تكافح كِفاحاً موصولاً حتّى توفّق إلى التّماسك وإلى الفوز بالبعث. فالبعث إذن ليس حادثاً يأتينا من خارج، بل هو كمال لحركة الحياة في داخل النّفس» (٢).

ولعلّ فكرة الخلود التّي يؤمن بها إقبال إنّما تتمثّل في اتّصال الحياة واستمرار الإنسان فيها ليتلقّى على الدّوام نوراً جديداً من ربّه، أمّا أبديّة الجحيم في الآخرة فينفيها إقبال، ويعتبرها حقبة من الزّمن لتقويم النّفس وتزكيتها، لذلك لا يصحّ أن يُطلق عليها وصف الخلود.

قال محمد إقبال: «وعلى هذا فالنّار كما يصوّرها القرآن ليست هاوية من عذاب مقيم يسلّطه إله منتقم، بل هي تجربة للتّقويم، قد تجعل النّفس القاسية المتحجّرة تحسّ مرّة أخرى بنفحات حيّة من رِضوان الله، وليست الجنّة كذلك إجازة أو عطلة، فالحياة واحدة متّصلة، والإنسان يسير دائماً قدماً يتلقّى على الدّوام نوراً جديداً من الحقّ غير المتناهي» (٣).

وهذا الرأي فيما يبدو مخالف لما نعلمه في القرآن من أنّ دار الابتلاء والاختبار والتجربة إنّما هي الدّنيا، أمّا الآخرة فهي دار جزاء فقط، فكيف تكون التجربة للتّقويم ؟

* **إنكار عرب الجزيرة البعث:**

لقد وصف القرآن الكريم نكران عرب الجزيرة عقيدة البعث والنشور عندما قال تعالى على لسان معطّلة العرب مثلما سمّاهم الشّهرستاني في كتابه "الملل

(٢) م.ن، ص ١٣٧-١٣٨.
(٣) إقبال: تجديد الفكر الدّيني في الإسلام، ص ١٣٧-١٣٨.

والنِّحل": ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ونقل الشّهرستاني ما قاله شداد بن الأسود اللّيثي عند رثائه مُشركي قُريش يوم بدر:

يخبرنا الرّسول بأن سنحيا ** فكيف حياة أصداء وهام [٤].

ولقد وردت أقوال فيها سخريّة من البعث منها:

- «أُناس يقضون عيش النّعيم ونحن نُحال إلى الآخرة

فإنْ لم يكن مثلما يزعمون فتلك إذا كرّة خاسرة»

- خُذْ ما تراه ودعْ شيئاً سمعت به.

- لا نبيع ذرّة منقودة بدرّة موعودة.

- حياة ثمّ موت ثم بعث ** حديث خزانة يا أمّ عمرو

ولقد بيّنت السّيرة النبويّة ذهنيّة العرب الوثنيّة في أثر أخرجه الحاكم النيسابوري عن ابن عبّاس، قال: «جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعظم حائل ففتّته وقال في سخرية: يا محمّد ! أَيُبعث هذا بعد ما أَرِمَ؟ قال نعم! يبعث الله هذا ثمّ يميتك ثمّ يحييك ثمّ يدخلك نار جهنّم»، فنزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

لقد اقتضت الحِكمة الأزليّة أن يبتلى الإنسان بزينة الحياة الدُّنيا وبالهوى، فكان بذلك عرضة للفسوق والعصيان، والغفلة والنّسيان والإعراض عن الحقّ،

---

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ٤٣٣/٢.

فأرسل الله إليه رسله وأنزل كتبه، وبيّن له مواقع رِضاه وغضبه، وأنّ النّعيم لا يدرك بالنّعيم، وأنّ أعظم اللّذات محجوب بأنواع المكاره، فلم تقوَ عُقول الكثيرين على إيثار الآجل المنتظر بعد فناء الدُّنيا، على هذا العاجل الملموس، بل إنّ خيالهم لم يتّسع لتصوّر نشر جديد لعد ظلمة القبر وفناء الجسد، وأنّا سنموت كما سننام ونُبعث كما سنستيقظ، ولاسيما العرب الذين لم يكلّفوا قطّ بشريعة، لوجودهم في فترة من الرُّسل بين جدّهم إسماعيل ومحمّد عليهما السّلام (٥).

وبتعاقب الدّهور وتأثير الوراثة، تأصّلت في العرب عقيدة الشِّرك والوثنيّة، حتّى صار من العجب أن يُقال لهم: الله واحد، بدليل قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

* **البعث في القرآن والسُنّة:**

لقد استعمل الكريم في ردّه على مفكّري البعث على اختلاف اتُّجاهاتهم، مختلف البراهين لإقناعهم بأنّ الساعة حقّ وأنّ الله يبعث من في القُبور. وتقوم عقيدة البعث على أصول لا بدّ من اعتبارها في عقيدتنا، وهي:

- **غاية الوجود:**

يوجّه القرآن الكريم الأنظار إلى أنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق هذا الكون باطلاً ولغير هدف، يقول جلّ ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الدّخان: ٣٨-٣٩].

وبيّن سُبحانه أنّه لم يخلق الإنسان عبثاً، قال عزّ جلّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

---

(٥) الآلوسي، محمد شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ص ١٠٩.

وقال أيضاً: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. وقال جلّ شأنه: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النّجم: ٣٩-٤١].

تُبيّن العقيدة الإسلاميّة أنّ الإنسان له حريّة عميقة في كيانه، لكنّها ليست حرّية الفوضى الخلقيّة التّي تنتهي دائماً بتهديم الإنسان وتمزيق علائقه مع الوجود الخارجي من حوله.

فالحقّ الذي خلق الله تعالى به الكون، يتنافى مع الفلسفة الوجوديّة المُلحدة، فليس ثمّة عبث كما يرى "ألبير كامو"، وليس ثمّة لا معقوليّة للحياة والوجود كما يرى "كافكا"، وليس ثمّة حرّية لا أخلاقيّة مُطلقة من كلّ قيد كما يرى "سارتر"، وليس ثمّة تناقضات نفسيّة لا نهاية لها، تنتهي دائماً بالضياع كما يرى "دستوفسكي"، ذلك أنّ الإسلام يستمدّ تجاربه الباطنيّة من خِلال الحقيقة لا الزّيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، ومن المعرفة لا الضياع [٦].

وإنّ ارتباط الوجود الإنساني بمصيره هو النّقطة التّي تفترق فيها الطُّرق بين النّاس، لا في نظرتهم إلى الحياة وفلسفتهم فيها فحسب، بل في أخلاقهم ونمط سلوكهم ومدى إيمانهم.

فالإيمان بمصير الإنسان بعد الموت يجعل لحياته غاية سامية وهدفاً أعلى، والقرآن الكريم حافل بآيات تُقيم الأدّلة على أنّ الكون ليس مُهملاً كما يزعم الملاحدة، بل خلق الخلق بالحقّ، ليكون الابتلاء والاختبار الذي سيعقبه بعث للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [المُلك: ٢].

(٦) خليل، عماد الدّين: في النّقد الإسلامي المعاصر، ص ٤٢.

فالإيمان بالله تعالى يُحقّق المعرفة بالمصدر الأوّل، والإيمان بالبعث يُحقّق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أنم يُحدّد هدفه ويرسم غايته، ويتّخذ من الوسائل والذّرائع ما يُوصله إلى الهدف ويبلغ به الغاية.

ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإنّ حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية، وحينئذٍ يفقد الإنسان سموّه الرّوحي، ويعيش كما تعيش الأنعام، وهذا هو الانحطاط الرّوحي المدمّر لشخصيّة الإنسان والمنافي للحِكمة الإلهيّة العُليا من هذا الوُجود.

- **نهاية العالم:**

تُؤكّد عقيدة البعث على فناء هذه الدّنيا وانتفاء أزليّة هذا الكون، ويؤكّد علماء الفلك حتميّة اختلال الأجرام السماويّة [٧]. ويؤكّد ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ. وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٥].

جاء في كتاب "المعاد" قوله: «إنّ قانون الدّيناميكيّة الحراريّة يثبت أنّ الحرارة ليست دائمة إلى الأبد، وأنّ يوم انتهائها سيأتي حتماً، والكون يتّجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها مَعِين الطّاقة، ويومئذٍ لن تكون هناك عمليات كيميائيّة أو طبيعيّة وذلك بحكم الانتقال الحراريّ المستمرّ من الأجسام الحارّة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوّة ذاتيّة، بحيث تعود الحرارة وترتدّ من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارّة، وعندئذٍ تقف حركة الحياة ويموت الأحياء» [٨].

---

(٧) وحيد الدّين خان: الإسلام يتحدّى، ص ٨٢-٨٣.

(٨) آل ياسين، محمد حسن: المعاد، ص ٥٠.

إنّ السّاعة آتية لا ريب ذلك ولا مفرّ منها، ستأتي حينما تبلغ الأرض زينتها وزُخرفها، ويظنّ الإنسان أنّه قادر على كلّ شيء، بما يملك من زمام الأمور وبما بلغه من علوم، ولا تأتي السّاعة إلاّ بعد فناء الكون.

* **سكرات الموت:**

ليس الموت خِتاماً لمعنى الحياة وابتداء لحالة أخرى لا شعور فيها ولا إحساس معها، إنّما هو مرحلة تحوّل من طوْر إلى آخر، يقول الأديب المصري عبّاس محمود العقّاد:

أراني على الحاليْن روحاً وبُنية

أحسّ بأنّ الموت ليس بمُفقدي

فإنْ كنت ذا جِسم ذوى قبل مصرعي

وإنْ كنت ذا روح فروحي مخلّدي [٩].

إنّ الموتَ هو الفجيعة الكُبرى للجاحدين الذين سيعرفون بعد الموت كلّ شيء وسيُدركون أنّهم كانوا في ضلال بعيد، سيتمّ ذلك بعد فوات الأوان، يقول تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون. وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٣-٣٤].

تثبت العقيدة الإسلاميّة أنّ ما يقع للجسد من فساد لأجهزته وفنائه لا يؤثّر في حقيقة الرّوح ولا في كيان الإنسان المعنويّ، يقول السّهروردي وهو يصف حال الميّت:

قُل لأصحاب رأوْني ميّتاً** فبكوني إذ رأوني حزنا

(٩) العقّاد، محمود عبّاس: بعد الأعاصير، ص ٢٣.

لا تظنّوني بأنّي ميّت ** ليس هذا الميّت والله أنا

أنا عصفور وهذا قفصي ** طرت عنه فتخلّى رهنا

فاخلعوا الأنفس عن أجسادها ** فتروْن الحقّ حقّاً بيّنا

لا تُرعكم سكرة الموت فما ** هي إلاّ بانتقال من هُنا

ولقد عبّر القرآن الكريم عن لحظة الفزع ولحظة خروج الرُّوح من الجسد بسكرة الموت، قال جلّ وعلا: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. وقال صلى الله عليه وسلّم يوم مفارقته الدُّنيا وهو يمسح وجهه بالماء: «لا إله إلاّ الله إنّ للموت سكرات». لقد عاش الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم لحظات النَّزع، فكيف حال العُصاة والملاحدة عند النّزع، لقد وصف القرآن الكريم هذا المشهد بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وإنّ أوّل منازل الآخرة هو القبر، فهو يضيق ويتّسع ويُظلم ويُنوّر بحسب مكانة صاحبه عند ربّه، والأدّلة على ذلك كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلّم فيما رواه البخاري أنّه لمّا مات أبو سلَمة دخل عليه الرّسول صلى الله عليه وسلّم ثمّ قال: «اللّهم اغفر لأبي سلمة وافسح له في قبره ونوّر له فيه». أمّا الدّليل على سؤال الميّت في القبر ما أخرجه مسلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان إذا فرغ من دفن ميّت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التّثبيت فإنّه الآن يُسأل». وما أخرجه البخاري عن حديث البراء بن عازب أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «إنّ هذه الآية ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] نزلت في عذاب القبر».

فالقبر فيه فتنة ووِشحة وابتلاء وسؤال الملكين، والدّليل على وجود عذاب القبر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، قال صلى الله عليه وسلّم: «إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، وإنْ كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإنْ كان من أهل النّار فمن أهل النّار، فيُقال هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة». وممّا يؤكّد هذا الحديث قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «هذه الآية تدلّ على عذاب القبر في الدُّنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة، ويوم تقوم القيامة...»[١٠].

فإنّ وقت الموت أو المرحلة بين الدّنيا والبعث هي حياة البرزخ التّي قال فيها تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

يقول القشيري: «من مات فقد دخل البرزخ، وما بين الموت والبعث فإمّا راحة متّصلة وإمّا آلام وآفات غير منفصلة» [١١].

وإنّ الأرواح متفاوتة في مستقرّها في البرزخ حسب شقاوة صاحبها وسعادته إلى أن يأتي اليوم الآخر، هذا اليوم العظيم الذين اهتمّ به القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، فتناول حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحِساب وجزاء، ثمّ ما يتبعه من حوض وصراط وشفاعة، واعتبره ركناً من أركان الشّريعة الإسلاميّة.

---

(١٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن

(١١) القشيري: لطائف الإشارات، ٢٤٤/٤.

ويتجلّى هذا الاهتمام بكثرة ذكر القرآن الكريم لليوم الآخر، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ولو في إشارة أو تلميح مع تقريبه إلى الأذهان، تارة بضرب الأمثال، وتارة بالحجّة والبرهان، وكثيراً ما نجد القرآن الكريم يتحدّث عن الدّنيا كأنّها ماضٍ كان، وعن الآخرة كأنّها الحاضر الآن منا قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الزُّمر: ٧١].

*** الأدّلة الشرعيّة المثبتة للبعث:**

إنّ الموت في واقعه ليس انعداماً لأجزاء الإنسان، بل تفريقاً لها، وعندما تتعلّق إرادة الله بعودة الأجسام، يجمع هذه الأجزاء المشتّتة ويؤلّفها على حالتها السابقة جسماً وروحاً، وذلك هو المعاد، وما وقع لإبراهيم الخليل عليه السّلام لمّا سأل ربّه بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ ؟ وجواب الله تعالى له خير دليل على إعادة الخلق من جديد، قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بمعنى أن يقطعها إبراهيم عليه السّلام إلى أجزاء صغيرة يختلط بعضها ببعض خلطاً غير قابل للتجزئة والتّمييز ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: «يميّز الله تعالى أجزاء كلّ طير عن صاحبه ويجمع أجزاء كلّ واحد منها مستقلاً عن الباقي، فإذا اكتملت لكلّ طائر هيئته الخاصّة به أوْدع فيه الحياة حتّى يطمئن إبراهيم إلى هذه الحقيقة، ويتحقّق علمه، وينتقل من معالجة الفكر والنّظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة، وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشّبه عن العقل»(١٢).

---

(١٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٩/٣.

وهذا المثل القرآني الدّقيق صريح الدّلالة على أنّ الموت تفريق للأجزاء، وليس انعداماً لها كما يظنّ المفكّرون الذين استعظموا عودة الحياة الإنسانيّة بعد انقطاع الحواس وانفصال الشّعور عن الجسد.

والنّصوص القرآنيّة التّي تُؤكّد إعادة الخلق والبعث والنّشور كثيرة ووفيرة منها قوله تعالى:

■ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

■ ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. َوْخَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

■ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرّوم: ٢٧].

■ ﴿وَيَقُولُ الإنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

■ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحجّ: ٦-٧].

■ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ. عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦٢].

■ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. هذا نوع من قياس الدّلالة وهو الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلّة وملزومها مثلما قال

علماء أصول الفقه. فدلّ سبحانه في هذه الآية عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحقّقوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء واعتبار الشيء بنظيره، والعِلّة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلّة.

والقرآن الكريم إذْ يدعم عقيدة البعث بمختلف الوسائل والطُّرق، فليس ذلك فقط على قرارٍ ألزم الله به نفسه، وإنّما على أحد مستلزمات العدل الإلهي والحكمة السّامية، حتّى لا تكون حياة الإنسان بلا غاية ولا هدف، إنّ حاجة الإنسانيّة ملحّة إلى الآخرة لضمان الخلود وإقامة العدل وتنظيم الحياة [١٣].

وهكذا، فإنّ الإيمان بالبعث كالإيمان بالله كلاهما لا يقبل شكّاً ولا تردّداً، لأنّ الفِطرة السليمة تنساق إلى هذا الإيمان.

فالإيمان بالله يعترف بالمصدر الأوّل للوجود، والإيمان بالبعث يعترف بمصير الإنسان فيه، ومن حُرم هذه المعرفة أضحت حياته كحياة الأنعام تقوده الأهواء وتُسيّره الغرائز. والله تعالى لم يخلق الإنسان بيديه، ولم ينفخ فيه من روحه ولم يأمر ملائكته بالسّجود إليه، ولم يحمّله الأمانة ولم يجعل له الخلافة، ولم يسخّر له ما في السّموات والأرض إلاّ لِيجعل من وجوده غاية سامية تتّفق مع حِكمته العُليا وعدله المُطلق، حتّى لا تذهب جهود هذا الإنسان سدى مِصداقاً لقوله جلّ ثناؤه:﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

* **الإمام النّورسي ورسائل البعث:**

عاش الإمام بديع الزّمان النورسي في زمن الحروب والفِتن، وآل على نفسه

---

(١٣) نقرة، التهامي: عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٤٠.

دعوة المسلمين إلى التمسّك بدينهم، واقتناعاً منه بأنّ الدّعوة المحمّدية لم ترَ النّور إلاّ بعد أن غرست أركان العقيدة في نفوس المسلمين الأوّلين، أهتمّ النّورسي بالعقيدة في رسائله وتناول البعث والنّشور بالدّرس ليقوّي إيمان أتباعه ويذكّرهم بعاقبة أمرهم ليصمدوا ويصبروا ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرّقوا.

فالرّجل قد لاقى الويْلات وذاق معاناة السّفر والحرب والأسر، ومنذ سنة ١٩١٨ وبعد عودته من الأسر قام باستراحة قصيرة راجع فيها نفسه وكأنّنا به يستشعر مآل الأوضاع نتيجة لالتصاقه الطويل بواقعه السّياسي والاجتماعي، لذلك نجده بسبب هذا الاستشعار المتولّد عن الواقع المتأزّم، يعيش مرحلة يأس ابتداء بنجاته من مآسي الحرب والحفاوة التّي قُوبل بها وسُكناه في أرقى أماكن استانبول. يقول بديع الزّمان النورسي عن هذه المرحلة: «كانت وسائل النّشر مفتوحة أمامي في دار الحِكمة الإسلاميّة... وبينما كنت أحسّ بأنّي أسعد إنسان في العالم، نظرت إلى مرآة ورأيت شعرات بيضاء في رأسي وفي لحيتي، وإذا بتلك الصحوة الروحيّة تبدأ بالظّهور، فأخذت أنعم النّظر وأفكّر مدقّقاً في تلك الحالات التّي كنت ارتبط بها قلبيّاً... » وبعد فترة من التأمّل توصّل النّورسي إلى قرارٍ حاسمٍ تمثّل في قوله: «إنّه ليس لدائي دواء إلاّ عند الباقي السّرمدي عند القدير الأزلي فبدأت أبحث وأستقصي» (١٤).

وبحثه واستقصاؤه سيقوده إلى ما بعد النهاية (الدّنيويّة) إلى ملاقاة عليم قدير، إلى خلود ونعيم وملاقاة ربّ كريم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ النّورسي القديم الذي شغلته السياسة ومشاكل الدّولة العثمانيّة عن التأمّل في القرآن

---

(١٤) أورخان، محمد علي: رجل القدر، ٧٢ وما بعدها. – النورسي، بديع الزّمان، ج٣، من كلّيات رسائل النّور: اللّمعات، تعريب إحسان قاسم الصالحي، ٣٦٦ وما بعدها.

الكريم الذي كان قد حفِظه منذ نعومة أظافره، فإنّ مرحلة التأمّل هذه جلته يهتمّ بالقرآن العزيز ويدعو إلى النّهل من معينه المباشر دون وسائط [١٥]. ويعمل على إخضاع كلّ معارفه لخدمة القرآن، فهو القائل: «القرآن هو أسمى مُرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق، ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه» [١٦]. وهو القائل أيضاً: «... القرآن هو مفتاح لحقائق الشؤون... المضمرة في سطور الحادثات... وكذا هو خريطة العالم الأخروي... وهو المربّي للعالم الإنساني...» [١٧]. فقوله: «هو خريطة للعالم الأخروي» دفعه إلى التأمّل في الآيات البيّنات التّي اعتنت بالبعث والنّشور وخصوصاً في الفترة المكّية.

هذا في المجال القرآني، أمّا في مجال علم الكلام والعقيدة، فإنّ النّورسي قد تشبّع بهذا العلم الذي يعتبر الآخرة وتوابعها من أركانه الأساسيّة [١٨].

إنّ تأثّر بديع الزّمان بالفكر الصوفي منذ طفولته بحكم نشأته في البيئة الأناضوليّة العثمانيّة العريقة في تصوّفها دفعه إلى التأمّل في ما وراء هذا الكون وهذا العالم الدّنيوي الفاني، فالنّورسي متأثّر بالتصوّف السُنّي وبأقطابه مثل عبدالقادر الجيلاني وحجّة الإسلام الغزالي وجلال الدّين الرّومي والإمام الربّاني، ويكفي أن نلاحظ اسمين من أسماء كتبه وهما : "المثنوي العربي النّوري" و"مكتوبات"، وهما على نفس تسمية "مثنوي جلال الدّين الرّومي"

---

(١٥) عبدالحميد، محسن: النّورسي متكلّم العصر الحديث، ط. القاهرة، رسائل النّورسي زاوية المشكلات الكلاميّة: أعمال مؤتمر استانبول، ١٩٩٥، ص ٧٥٨ وما بعدها. النّورسي، بديع الزّمان: كلّيات رسائل النّور، ج٦، المثنوي العربي النوري، تح إحسان قاسم الصالحي، ٢٠.

(١٦) النّورسي، بديع الزّمان: كلّيات رسائل النّور، ج٢، المكتوبات، ط. شركة النسل، ٤٥٩.

(١٧) النّورسي، بديع الزّمان سعيد: إشارات الإعجاز، ١٢٧ بتصرّف.

(١٨) عبدالحميد، محسن: النّورسي متكلّم العصر الحديث، ط. القاهرة، رسائل النّورسي زاوية المشكلات الكلاميّة: أعمال مؤتمر استانبول، ١٩٩٥، ص ٧٥٨ وما بعدها.

و"مكتوبات الإمام الربّاني" [١٩]. لتُثبت غوص الإمام النّورسي في الفكر الصوفي واهتمامه بالموت وسكراته والقبر وويلاته والحِساب وامتحاناته.

كما ضمّن بديع الزّمان بعض كلماته بيان الأسس العلميّة للاستدلال على مسائل الآخرة، وفق المسلك القرآني في التّأسيس للاعتقاد، فتناول حقائقها البيّنة، مشفوعة بأدّلتها القطعيّة، فكانت حُججاً ناهضة محقّقة للمرغوب لكلّ من ألقى السّمع وهو شهيد إذ تنمّي في المستدلّ من خلال شواهدها، الأبعاد الوظيفيّة المنتظرة من التّصديق بالآخرة وقِيام السّاعة.

ولعلّ أوّل علاماتها صباغ الفعل البشري لمعتقديها بصبغة إنسانيّة تجعل خدمة الإنسانيّة غاية جزئيّة دائمة ترتبط بها مرضاة الله وجوداً وعدماً. فكلّما استحضر المؤمن قِيام السّاعة، وخاصّة أثناء ممارسة الأداء اليوميّ كان أكثر خدمة لنفسه ووطنه والإنسانيّة وأكثر تحرّراً من نزواته وحيوانيّته الضارية، فكان التّصديق بالآخرة عاملاً مهمّاً في إخراج الدّنيا من العبثيّة إلى الهدفيّة الظّاهرة التّي تجعل من الاستكثار من الخير في الدّنيا لله سبباً في الفلاح في الآخرة ووسيلة للنّجاة من النّار وسمومها [٢٠].

كما أدرج النّورسي في "الكلمات" مجموع نكات تدور حولها سعادة الإنسان وشقاوته، وخصّ النكتة الثانية لبيان جهتيْ التّكوين البشري، وتتخلّص أولاهما في الأنانيّة المقصورة على الحياة الدّنيا، والثانية "العبوديّة" الممتدّة إلى الحياة الأبديّة، فإذا ربّى الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام، وغذّاها بضِياء الإيمان تحت تراب العبوديّة، موجّهاً أجهزتها المعنويّة نحو غاياتها الحقيقيّة،

---

(١٩) النّورسي، بديع الزّمان سعيد: كلّيات رسائل النّور، ج٦، المثنوي: ٢٩، ٣١. – أيضاً: الحجري، حمّادي: بديع الزّمان النّورسي ومنهجه الفكري الإصلاحي، ٥٩..

(٢٠) النورسي: الكلمة العاشرة: الكلمات ٤٧ وما بعدها. – جيدل، عمار: بديع الزّمان النّورسي وإثبات الحقائق الإيمانيّة، ٥٣-٥٤، شركة النّسل، استانبول، ٢٠٠١.

بامتثال الأوامر القرآنيّة، فلا بدّ أنّها ستتفتّح أزاهيرها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة، وفي الجنّة نِعَماً جامعة لدقيقة دائمة ويغدو الإنسان آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرة مباركة منوّرة لشجرة الكون. والسموّ الحقيقي إنّما بتوجّه القلب والسّر والرّوح والعقل وسائر القوى الممنوحة للإنسان إلى الحياة الأبديّة الباقية، واشتغال كلّمنها بما يخصّها من وظائف العبوديّة (٢١).

ففي الكلمات والشعاعات وغيرها من الرسائل المبدعات، تناول الشيخ الإمام بديع الزّمان النّورسي الآخرة وما تبِعها، وفي رسائله كافّة، حاول النّورسي تجلية الأمر في الفرق بين مسلك أهل الضلال من جهة، ومسلك أهل الإيمان من جهة أخرى، فالأوّل يمثّل طُرق الشّقاوة، والثاني يمثّل طريق السعادة والرقيّ والحضارة، والنجاح في الدّنيا والفلاح في الآخرة.

رسائل نورانيّة إيمانيّة ألّفها مُصلح جاهد بنفسه وقلمه ولِسانه لرفع كلمة الله العُليا، فنال مرضاة ربّه وفردوس جِنانه.

دعوة ملحّة:

والآن ورغم وُجود رسائل النّور والأصليّة المترجمة لعدّة لُغات، ورغم الكُتب والنّدوات العلميّة التّي عُقدت خارج تُركيا حول شخصيّة بديع الزّمان النّورسي، مثل كتاب "رجل القدر في حياة أمّة" (٢٢). وإسهامات الباحث التّركي نجم الدّين شاهينر(٢٣). وجهود إحسان قاسم الصالحي في تعريب آثار الرّجل، ورغم اهتمام المستشرقة الإنجليزية ماري ويلد بالبحث حول النّورسي وفكره وصاحب كتاب "بديع الزّمان مؤلّف رسائل النّور".

---

(٢١) النّورسي: الكلمات، ٣٥٩ وما بعدها.

(٢٢) أورخان، محمد: ط.١، ١٤١٦هـ: النّسل للطباعة، استانبول

(٢٣) من كُتبه باللّغة التركيّة: المثقّفون يتكلّمون عن سعيد النّورسي وعن الحركة النّورية" و"كتاب بديع الزّمان النّورسي في نظر المثقّفين في تركيا والعالم".

ورغم النّدوات التّي عُقدت بالمملكة المغربيّة للتّعريف بالإمام النّورسي، وكانت سنة ١٩٩٩ تحت عنوان: «تجديد الفكر الإسلامي في القرن ١٤هـ: جهود بديع الزّمان».

والثانية في سنة ٢٠٠٠ تحت عنوان: «حوار الشّرق والغرب في رسائل النّور»، ورغم بعض الكتب التّي تقدّم بها بعض الباحثين الجزائريّين مثل الأستاذ عمار جيدل في كتاب "بديع الزّمان النّورسي وإثبات الحقائق الإيمانيّة (المنهج والتّطبيق) [٢٤]. والأستاذ سليمان عشراني في كتابه "بديع الزّمان النّورسي سيمياء الشّكل والصميم" [٢٥]. فإنّ النّورسي معروف في الغرب لاهتمام المستشرقين بشخصيّته ورسائله مبكّراً، وهو معروف أيضاً في منطقة الشّرق العربي منذ أن سمحت له السلطات التركيّة بأداء مناسك الحجّ سنة ١٩٤٧م، وتعمّقت هذه المعرفة أكثر بعد تعريب الدّكتور إحسان قاسم الصالحي الأعمال الكاملة للنّورسي ونشرها في بلاد المشرق.

أمّا في منطقة المغرب العربي، فإنّ السّيرة الذّاتية لبديع الزّمان لم تنتشر بالشكل المطلوب، فمثلاً لم يخصّص له الأستاذ محمد بوذينة في كتابه "مشاهير القرن العشرين" إلاّ صفحة واحدة [٢٦]. ولم تتناوله جامعة الزّيتونة إلاّ في رسالة جامعيّة نال بها صاحبها شهادة الدّراسات المعمّقة، وعنوان الرسالة "بديع الزّمان النّورسي ومنهجه الفكري الإصلاحي في تركيا من خلال كلّيات رسائل النّور"[٢٧].

فالمراكز التركيّة المهتمّة بهذه الشخصيّة مدعوّة لتوسيع نشاطها ومزيد التّعريف بالإمام العلامة بديع الزّمان النّورسي وبآثاره طيّب الله ثراه.

---

(٢٤) ط. شركة نسل، استانبول ٢٠٠١م.
(٢٥) ط. شركة نسل، استانبول ٢٠٠١م.
(٢٦) منشورات بوذينة، تونس ص ٣٠٠.
(٢٧) الطالب حمّادي الحجري، السنة الجامعيّة، ١٩٩٩-٢٠٠٠م..

المراجع

١. الآلوسي، محمد شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط. مصر، ١٩٥٨م.
٢. آل ياسين، محمد حسين: المعاد، ط. بيروت، ١٩٧٢م.
٣. أورخان، محمد علي: رجل القدر في حياة أمّة، ط.١، ١٤١٦هـ، النّسل للطباعة، استانبول.
٤. إقبال، محمد تجديد الفكر الدّيني في الإسلام، تعريب عبّاس محمود العقّاد، ط. القاهرة، ١٩٥٥.
٥. بوذينة، محمد" مشاهير القرن، العشرين، منشورات بوذينة للنّشر، تونس.
٦. جيدل، عمّار: بديع الزّمان النّورسي وإثبات الحقائق الإيمانيّة (المنهج والتّطبيق)، ط, شركة النّسل، استانبول، ٢٠٠١.
٧. الحجري، حمّادي: بديع الزّمان سعيد النّورسي ومنهجه الفكري الإصلاحي في تركيا من خلال كلّيات رسائل النّور، رسالة جامعيّة مرقونة بجامعة الزّيتونة، ١٩٩٩-٢٠٠٠.
٨. خان، وحيد الدّين: الإنسان يتحدّى، تعريب ظفر الإسلام خان، ط. بيروت، ١٩٧٣م.
٩. خليل، عماد الدّين في النّقد الإسلامي المعاصر، ط. بيروت، ١٩٧٢م.
١٠.الشهرستاني: الملل والنحل.
١١.ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.
١٢.عبدالحميد، محسن: النّورسي متكلّم العصر الحديث، ط. القاهرة، [د.ت].
١٣.العقّاد، عبّاس محمود: بعد الأعاصير، ط. مصر، ١٩٥٠م.
١٤.القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط. القاهرة، ١٩٦٧م.
١٥.القشيري، عبدالكريم: لطائف الإشارات، تح إبراهيم بسيوني، ط. القاهرة، مصر.
١٦.متّى: إنجيل متّى
١٧.مرقس: إنجيل مرقس.
١٨.نقرة، التهامي: عقيدة البعث في الإسلام، دار القلم، تونس.
١٩.النّورسي: رسائل النّور: اللّمعات، تعريب إحسان قاسم الصالحي، ط.١، ١٤١٣هـ، ط. النّسل للطباعة والنشر، سوزلر، استانبول.
٢٠.النّورسي، بديع الزّمان سعيد: إشارات الإعجاز في مظانّ الإعجاز، مطبعة النّور، أنقرة، ١٩٥٩م.

٢١.النّورسي، بديع الزّمان سعيد: ج٢، المكتوبات، ط.١، شركة النّسل للطباعة، تح إحسان قاسم الصالحي، استانبول، ١٩٩٢م.

٢٢.النّورسي، بديع الزّمان سعيد: كلّيات رسائل النّور، ج ٦، المثنوي العربي النّوري، تح إحسان قاسم الصالحي، ط.١، مصر، نشر وتوزيع دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٣.ياوز، يوسف شوقي: رسائل النّور من زاوية المشكلات الكلاميّة، أعمال المؤتمر العالمي لبديع الزّمان النّورسي: تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين رقم٣، استانبول، ٢٤-٢٦، سبتمبر ١٩٩٥، ترجمة أورخان البياتي وآخرون، ط. ١٩٩٦.

٢٤.يوحنّا: إنجيل يوحنّا.

سجناء الوجود . . . !

أ .أديب إبراهيم الدباغ
أكاديمبة البحوث والدراسات- استانبول

نحن البشر مكبَّلون بالوجود، ومشدودون إليه، ومقيَّدون بأحكامه، لا نستطيع أَنْ نَفُكَّ أنفسنا عنه، أو أنْ نتحرَّر منه، وحتى لو أردنا أنْ نعود – كما كُنَّا – عدماً محضاً فما من وليجة في جدار الوجود نلج منها إليه. ومنذُ قُدِّرَ لنا أنْ نرتدي الوجود، أو أنْ يرتدينا الوجود ونحن سجناؤهُ أردنا أم لم نرد، وحبيسو إرادته وفعله فينا أردنا أم لم نرد. فنحن في علم الله تعالى موجودون قبل أنْ نوجد، وما دمنا موجودين في علمه تعالى فنحن إذن مسكونون بالوجود من قبل وجودنا ومن بعده، غير أنَّ هذه "الموجودية" تتشكل بأشكال مختلفة، وتتظاهر بصور متعددة، فنحن موجودون قبل الحياة وبعد الحياة، وفي الموت وبعد الموت، ومهما ارتقت صور "وجودنا" من أدنى درجاته الترابية إلى ذروته الأخروية. فهو واحد لا يتغير ولا يزول ولا يعتريه العدم لأنه مرصود بالأساس للبقاء والخلود.

هذه القضية من توكيدات "النورسي رحمه الله، تناولها بقلمه من زوايا فكرية متعددة في أكثر من مكان من رسائله "رسائل النور" وهي تشكل – بالقطع – واحداً من أعمدة فكره العملاق. حيث استطاع من خلالها أن يحلَّ إشكالات الوجود عامةً ووجود الإنسان خاصةً ويجيب على سِرِّ الخلق والإيجاد.

فسرُّ الخلق – عند النورسي – الحبُّ والجمال.

ففي الحب قوة الخلق، فهو تعالى فياض بالحب والخلق معاً، ولأنه تعالى أحبَّ الإنسان خلقه، واصطفاه لنفسه ليكون مرآة صافية تتشرب جماله الأقدس في أسمائه الحسنى وتعكسه إلى الآخرين من المشاهدين، وهذه المدركات العميقة للجمال الإلهي الأقدس تمنح الإنسان السيادة على نفسه، ثمَّ السيادة على العالم.

إنَّ أشدَّ ما يخافه "النورسي" على الإنسان السقوط في المحدودية في الوقت الذي أهَلَّهُ خالقه لكي يحوم فوق آفاق المطلق الإلهي، فالإنسان البطولي لا يذهلنا ويثير إعجابنا ومحبَّتنا إلاَّ إذا رأيناه مَعْكَسَاً لجلال الخالق وجماله، وهذا هو الإنسان الذي ينبغي أن نحرص على رؤيته والتقرّب منه، لأنَّ النظر إلى وجهه عبادة كما يقول علماؤنا.

إنَّ حرصنا على كشف الجوهر الجمالي في تكوينة الإنسان يقودنا إلى عوالم الجمال الماورائية، والتعرُّف على أمداء عمقها في النفس والكون. وهذا الجوهر الجمالي لا يكشف عن نفسه إلاَّ من خلال ما يخوضه الإنسان من تجارب إيمانية مركزة تصهر طبيعته الطينية في أتونها لتخرج بعد ذلك مبرأةً من شوائبها.

فإنسان من هذا النوع هو قوة للحياة يزيد في عمقها وغناها، أو قل هو الحياة بقوتها واتساعها، فأي حياة إذا خَلتْ من خطوة جديدة في سلّم الإيمان فهي حياة خاوية غير جديرة بأنْ يحياها الإنسان.

إنَّ النضال الروحي الممتدّ امتداد حياته هو شكل من أشكال الوجود المركز ينتج عنه حبٌّ فهيم لكونية الإنسان ولعظمة قواه الوجودية المتجذرة في أعماق الوجود، ويظلُّ الإنسان محراباً يتعبَّدُ فيه الوجود خالِقَهُ ما لم ينكص على عقبيه فَيُعْمِل مِعْوَلَهُ هدماً في المعبد والمحراب في ساعة من ساعات جنونه ليتحول هو نفسه إلى أنقاض إنسان، وشظايا مخلوق لا معنى له ولا هدف.

فالإنسان فكرة سامية في ذهن الوجود قبل أن يكون أيَّ شيءٍ آخر. فلا يستطيع داهمُ الفناء أنْ يدهمه، ولا عناصر العدم أن تطاله، فإذا ما أدرك الإنسان حقيقة وجوده، وعرف أنه مصون الوجود، محفوظ للخلود شعر بأهمية وجوده، وأحسَّ بأنه راسية من رواسي الأرض الشامخات، تنهار الأرض إذا انهار وتتهاوى الدنيا إذا تهاوى.

فالوجود بقدر ما هو ثوب إلهي أُلبِسَهُ الإنسان، وإكرام له، وإنعام عليه، فهو كذلك مسؤولية عظمى توجب على الإنسان صيانة "موجوديته" والحفاظ على طهارتها وقدسيتها، فلا يأتي من السلوكيات والمعتقدات ما يتنافى وشرف هذه "الموجودية" حتى يلقى بها بارءها كما كانت في أول تلبسها به، وهذا هو ما تسعى إلى تحقيقه كافة الأديان. ويُحذِّرُ "النورسي" الإنسان من أن يعيش محصور الذهن بـ "هنا، والآن"، ويأبى أن يعرف شيئاً عن "هناك" وَعمَّا بعد "الآن" تاركاً "ما ورائيات" هذا العالم وراء ظهره، مستهيناً بكونه حبيس الوجود، ومرصوداً للخلود ومأموراً بالخلاص من أسار الزمن لينطلق حُرَّاً نحو الآماد الموغلة في بعدها الأخروي فيحظى بالقرب والمشاهدة.

فالجمالية السرمدية تأبى أنْ تُشاهد بعينٍ زمنية محدودة الرؤية. وقاصرة عن الإحاطة والإدراك، فتنشئ في الإنسان نوعاً من السرمدية لكي يكون قادراً على استشعار هذه الجمالية وتشربها كِفَاءَ أشواقه الملتهبة إليها كما يشير "النورسي".

مرة وعلى حين غِرَّة صرخ مفكر غربي في حومة من اليأس البئيس: "لو كنتُ موجوداً فأخبرني مَنْ أنا؟ ولماذا أنا موجود؟".

إنَّ هذه الصرخة المفزعة تكاد تكون لسان حال جمهرة لا يستهان بهم من مفكري الغرب المعنيين بشؤون الإنسان الفكرية والروحية، إنها إشارة غير مقصودة إلى تدهور حضاري بدأ يأخذ أبعاداً مختلفة في شتَّى مناحي الحياة،

وهو شعور غامض بالانفصال عن دورة الحياة وعجلة الفاعلية الوجودية وانحدار سريع للعقل نحو ظلمات "اللاجدوى" وانتحار عقلي مخيف، وكلُّ ذلك بسبب المحدودية الزمانية والمكانية التي وضع فيها نفسه والانكفاء على "هنا، والآن" وغياب الأخروية عن الحضور لدى عامَّة البشر. وهذه هي مأساة العالم اليوم.

إنَّ مثالية الإنسان وألمعيته وعنصره الكريم يوجب على كلِّ مُحِبٍّ له أن يسارع ليحجز بينه وبين السقوط في مهاوي محدوديات فكرية ونفسية تمنعه من الانـدياح الروحي والفكري نحو آفاق المطلق الإلهي على الرغم من أنَّ الاستشراف الفطري في دواخله يهيب به في كلِّ مَرَّةٍ أن ينهض من تحت قهر محدودياته ليلامس قِمم المعاني العظيمة التي يعلي الدين من شأنها في النفس والكون.

أمَّا المرعوبون من وجودهم، والمنسحقون تحت ثقله وتبعاته أولئك السوداويون المكتئبون المساطون على الدوام بشواظ من جحيم كيانهم الداخلي، كيف ننتظر منهم فكراً جاداً يثري الإنسان ويغني حياته، وأنَّى لهم القدرة على الإتيان بجديد روحي قادر على التأثير بمسارات العالم المادية....؟ بينما يبقى إيمان الإنسان بخلود وجوده يعزز قوى روحه، ويشحذ طاقات فكره، ويفجر ينبوعاً دائم التدفق من الغبطة الجذلى بالحياة.

إنَّ الترابيين الذين لا يجدون في المصير الترابي الذي سيؤولون إليه -في زعمهم- ما يوجب الرعب، ولا يرون في ضياع أفكارهم وأحلامهم وآمالهم بالحق والعدل والخير والجمال ما يبعث على الاحتراق أسفاً، ولا تهمهم أشواق أرواحهم ولا أفكار أفئدتهم.... أولئك المبشرون بالفناء، والمترنمون بالعدم... كم جلبوا على البشرية من خطايا، وأتوا على الإنسان من عذابات، وجرَّعوا

العالم من ويلات.... فكم من مظهر من مظاهر قوة الله وعظمته مَرّوا عليها بعيونٍ عمي، وكم من ينبوع من الجمال الأقدس لم يرشفوا منه –على شدة ظمأهم- ولو رشفة واحدة، وكم من سطور على صحيفة الكون خطَّها القلم العلوي لكنهم لا يحسنون القراءة.

إنَّ خطورة "الجدب الروحي" أنَّهُ لا يتوقف عند حد، بل يمتدُّ في تصحره حتى يأتي على منابع الفكر والإدراك، ويجتاح بِسمُومهِ حديقة الوجدان، وعند ذلك لا يأتي من الإنسان شيء ذو بال، بل لا يمكننا أنْ نتصور إلى أيّ دَرَكٍ يمكن أنْ يتردَّى إليه مثل هذا الإنسان المجدب من كل مكان.

بل ما جدوى ما أنجزه الإنسان من عظائم الأمور، وحققه من جلائل الأعمال، إذا كان مصير ذلك الزوال والعدم؟! ومن ثمَّة فما جدوى وجوده هو بالذات؟ وما جدوى الوجود بأسره الذي يبدو – من غير الحياة الآخرة - فارغاً من المعنى والمغزى؟!

فالموت عندنا نحن المسلمين، هو تلك النقطة من الحياة التي يصل إليها الإنسان لسبب ما وينعدم عندها وزن الزمن الدنيوي عليه، فينفلت من جاذبيته، وينفك من قيده، ليلج فضاء الزمان الأخروي الأبدي والسرمدي، مَثَلُهُ مثل الفضائي الذي لا بُدَّ له من المرور في نقطة "إنعدام الوزن" قبل أنْ يتيسر له الانطلاق منفلتاً نحو الأعماق من أمداء الكون المهول.

لقد كان هذا المفهوم عن "الموت" حاضراً دائم الحضور في أذهان المسلمين الأوائل، وكانوا في أوْج حِسَّهِمْ الأخروي يوم خرجوا على الدنيا بحضارتهم الزاهية التي أثْرَتْ الروح الإنساني، وأمدَّتْ شجرة الحضارة بالحياة والرواء قروناً عِدَّة، ولم يجدوا أنفسهم أبداً في حاجة إلى خنق هذا الحِسّ، وإيقاف نبضه من أجل أنْ يحسنوا التفكير، ويجيدوا الإبداع، ويزيحوا الأستار عن أسرار الأشياء،

بل كان الأمر على العكس من ذلك تماماً، حيث غدا هذا الحِسُّ دافعاً ومحفزاً لرغبات المسلمين في الخلود عَبْرَ أعمالهم وأفكارهم ومعارفهم.

ما دامتْ ستكتسب شرف رضا الله وقبوله والثواب عليها في حياتهم الأخروية.

وقد استطاع "النورسي" رحمه الله تعالى أنْ يشخص أزمة المسلمين منذ البدايات الأولى للقرن العشرين وعزاها إلى فقدان القابلية الحضارية فيهم على التواصل ومواكبة الزمن. بسبب تعطل المحرك لهذه القابلية بخمود لهب التوق للانعتاق من أسر "المحدود" والامتداد بأفكارهم وأعمالهم في "اللامحدود" وبهمود حماسهم في كسر قيد الزمن الدنيوي عن أفكارهم وأعمالهم، بحيث تكتسب شرف الامتداد في الزمان الأخروي الذي تَصُبُّ في حافظته جميع الأعمال والأزمان، ولم يعد "الخلود" هاجسهم الأول ومحركهم الدائم في العمل والفكر، فلم يبدعوا مثلما كان يبدع أوائلهم، ولم يستطيعوا أن يضيفوا في الفكر أو العمل شيئاً مهماً يمكن أن يسجل باسمهم خلال ذلك القرن.

"والنورسي" يرى أنَّ خلق الإنسان وإلباسه لباس الوجود كرم إلهي، وعطاء رحماني، لا يمكن عقلاً وحدساً أنْ يستردَّ الكريم هباته، أو يسترجع عطاياه، فطالما أعطانا الوجود – جَلَّ شأنه - فلن يسلبه مِنَّا.

والنورسي لا ينِي يؤكد على طهر الحياة وقدسيتها، وأنها أصل الخلق والوجود، بينما "الموت" خَلْقٌ عارض ليس له قوة إلغاء الحياة، أو إيقاف مَدِّها الزخَّار إلى بحر الأبدية والخلود، فالموجود له صورة معنوية في علم الله تمثل مُقَدَّراته الحياتية، وهي تلازم صورته المادية وتنتقل معها في مراحل نموها، ثم

تتبدل تلك الصورة والمقادير مع مسيرة حياته تبدلاً يلائم الحكمة في خلقه، وينسجم كلياً مع المصالح المركبة عليه.(١)

فبقدر ما في نفوسنا من توق وحنين فطري إلى مشاهدة الجمال، والأنس به، والانجذاب إليه، فإنَّ الجمال نفسه يبادلنا هذا التوق والشوق، ويطلب لنفسه صفوة من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة، ويتأنقون في حضرته. ويطهرون أحاسيسهم ويهذبونها بين يديه، وإنه ليفرح بانشداه أرواحهم ورعشة أفئدتهم بإزاء ما يلمسونه من فخامة جماله، وعظمة معناه، ويدعوهم لكي يصغوا إلى نغم ألوانه وأضوائه، ونبل لغته.

وفي تعمقه في سِرِّ الجمال والجميل يكتشف "النورسي" سِرِّ الخلود الموعودين به في عالم الغيب، فيلخص هذا السِرِّ بهذه العبارة الوجيزة: (أبدية الجمال تستلزم أبدية المحبِّ المشتاق).

---

(١) انظر ص ٧٩٤ من الكلمات.

منهج الأستاذ النورسي
في الربط بين الأمور الدنيوية وأمور الآخرة

د. برهان محمد إدريس
أستاذ مساعد استشارى طب الأطفال
وامراض الكلى للأطفال قسم طب الأطفال
كلية الطب، جامعة أم القرى
مكة المكرمة

رسائل النور هي إلقاء نظره واقعية خلاف ما تعود عليه البشر من نظرة سطحية لأمور حياتنا اليومية والتي نعتقد خطأً أننا نلم بها وببواطنها، ثم نفاجأ بعد سبر أغوار هذه الرسائل أن مقصود الشارع مخالف كثيرا لما اعتقدنا أننا نعرفه، فنحس بعدها أننا عثرنا على كنز من الروابط الحقيقية بيننا وبين خالقنا تقربنا كثيرا من مقصود الشارع، وتربطنا بالكون العظيم الذي يهدينا التفكر فيه وفى سائر المخلوقات بما فيها أنفسنا التي بين جنبينا إلى عظمة خالقنا، وأننا جزء لا يتجزء من منظومة العظمة الربانية والتي تحيط بنا في كل شؤون حياتنا، وهنا لا نشعر بالغربة ولا بالعزلة عن سائر مخلوقات ربنا، مما يساهم جديا في خلق روح من الإلفة والمحبة لجميع خلق الله بما فيها من كنا نعتز بكرهه، ولا

نحاول أن نتفهمه، ونبتعد كليا عن الأنانية التي خلقها سوء فهمنا لحياتنا وكل ما حولنا، وندرك يقينا سر خلقنا وهو ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، فنحن إذن جزء من كل، من العوالم التي تدين لخالقها بالربوبية منذ بداية الخليقة وحتى يوم الدين، إحقاقا للحق وهو استحقاق ربنا وخالقنا ومبدعنا من العدم، للربوبية، والعبودية، ورجاء لما عنده من الأجر العظيم في الآخرة.

فالأستاذ النورسي في رسائل النور استطاع بفضل الإلهامات الربانية مع صدق النية أن يوجد أسلوب رائع من ربط لأمور حياتنا الدنيوية بواقع آخرتنا، فهو دائما ما يعقد الموازنات بين الكفر والإيمان ويربطه بواقع حياتنا حتى يسهل علينا فهم ذلك، ويستند إلى هذا الواقع ويجعله على شكل قصه يعايشها الجميع ويستمد منها الكثير من العبر التي تقنع القارئ والمستمع بالحقائق التي يريد الأستاذ النورسى إظهارها.

بحثت في ما أتيح لي من رسائل النور فوجدت أن جميعها مرتبط ببعضه في شرح أمور حياتنا بطرق سهلة شيقة ووجدت أن كثيرا من جزئيات رسائل النور وما يرتبط بواقع الكفر والإيمان يتمثل بشكل واضح في كتابه الكلمات والتي يمكن القول أنها من أساسيات الرسائل.

ففي الكلمات ابتداءا أجاب الأستاذ النورسى على طلب إسداء النصح بمجموعة من الكلمات بدأها شاملا نفسه لكونها هي مع الآخرين بحاجة ماسة للنصح لكون الإنسان دائما ومن حين لآخر يحتاج إلى من يرده إلى جادة الصواب كلما بعد عنها، وهذا يلغى الفوارق بينها وبين المتلقين للنصيحة مما يوجد القبول لديهم لان المصدر للنصيحة يعترف بالعجز مثلهم ولا يجعل له أي مقام أعلى من مقام الآخرين.

ومن ثم يذكر الآخرين بأنه مثلهم عايش ما عايشوه من صنوف الأحوال الدنيوية، فذكرهم بالجندية و أن ربط واقع الناس في انتمائهم للحاكم الذي يدينون بالولاء له ومنه يستمدون عزتهم، ومن دون ذلك فليس لهم عزه، وسوف يتم نبذهم من أي مجتمع، وليس لهم دالة إلا بمدى قربهم وارتباطهم بذلك الحاكم الذي يخشاه الآخرون ويخافونه، ومثل هذا الربط أيضا، يمكن قياسه على الكثير من أمور حياتنا الأخرى، ويعتمد على هذا الربط في إحقاق الحقيقة الواقعة من أن ارتباطنا بخالقنا هو مصدر عزنا وسعادتنا الدنيوية والأخروية.

ولقد امتد هذا الربط إلى أدق حياتنا وكذلك أدق المخلوقات في عالمنا وربطها باسم خالقها وان تنوعت وظائف هذه المخلوقات، مع استمرار الإبداع المتسق والذي لا يحيد عن الفطرة التي قررها المبدع، فهي تسير باسم الخالق وتبدع باسم الخالق وتنتج وتستمر في الإنتاج باسم الخالق، فمن باب أولى أن النفس البشرية والتي بلغت قمة إبداع الخالق والمكلفة بعبادته أن تسير باسم الله وتنتج باسم الله متعبدة لخالقها بذلك.

ومن ثم، يبين أن الفرق بين الكافر والذي لا يقيم لما يربطه بالخالق أي قيمه مما يجعله خارجا عن النسق الذي أبدعه الخالق مما يفضي به إلى الكثير من المشاكل والتي تؤدى به إلى هاوية الهموم، وضيق النفس وضنك العيش، مقارنة بالمؤمن بالله والذي حدده الأستاذ النورسى بأنه المثال الواقعي لكل من اعترف بعظمة الخالق في كل دقيق من حياته وتفكر في كل شيء قدره الخالق وحاول فهمه على ما شرعه الخالق وهنا رأى كل شيء بحكمه ونسق مبدع، فاتسقت أموره واتسعت دائرة فهمه لهذه الدنيا ومخلوقاتها، وصفت نفسه وطاب عيشه، بعكس المثال السابق كما بينا، فزاد إيمانه بخالقه، واستحق بذلك الحياة الهنية

الخالية من الشعور بان المنغصات إنما هي شر محض، بل هي خير محض فيه الكثير من الحكم التي يمكن الاستفادة منها، وربط الإيمان بشجرة الجنة (طوبى)، والتي ينشدها كل مؤمن بربه طالبا القربى منه والزلفى لديه.

وتنتقل نحلة الفتوحات الربانية للأستاذ النورسي من فتح إلى فتح، ومن أمر تعبدي إلى أمر تعبدي مهم آخر، فيتطرق الأستاذ النورسي في الكلمات بعد ذلك إلى شأن الإنسان العابد المؤدى لشؤون عبادته لخالقه برغبة وشوق، ومنها الصلاة والتي هي عماد هذا الدين مقابل من لا يؤديها، ولا يشعر بأهميتها ناسيا أو متناسيا كونه عبد لهذا الخالق العظيم المستحق للعبادة، وانه بتقربه بها من ربه إنما يمهد لنفسه الطريق لآخرة هنية رضية، في جنة الخلد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إن معالجته لمسألة المصلى وغير المصلى وربطها بحياتنا اليومية مع تأكيده لمسألة أن ارتباطنا بالصلاة إنما هو ذكاء ممن يرتبط بذكر الخالق بأدائه لها في أوقاتها، ويداوم على ذلك، حيث علم بان وصوله للغاية التي ينتظرها كل مخلوق وهى رضى الله والجنة مرتبط بحسن تصرفه في أيامه الباقية، في طريق حياته الدنيا، والمؤدى في النهاية إلى محطة لابد لكل مخلوق من الوصول لها حتى يعبر منها إلى خير الآخرة معتمدا على خير دنيته الفانية، فيفوز بكل خير.

وربط في شرحه لهذا الموضوع واستدل هنا بتقسيم اليوم، وهو ٢٤ ساعة، والذي يعبر بدقه عن حياته، حيث إن الحياة الدنيا إنما هي مجموعة ساعات وأيام، ومن ثم حسن استغلاله لها إنما يعبر عن ذكاء من قبل هذا الإنسان الضعيف المنتظر لرحمة ربه، الذي يعطى على الحسنه بعشر أمثالها ويضاعفها إلى سبعمائة ضعف، مما يعنى انه كسب من حسن تصرفه درجات لم يكن ليصلها من دون أدائه لما أمره الله، بل ولن يصل إليها بعمله، وذلك لقصوره

مهما بلغ أمام نعم الله الكثيرة، حيث إن هذا الخالق الكريم الرحيم والعالم بضعفنا والشفيق بنا اكثر من أنفسنا يريد لنا اكثر مما نتوق ونتمنى، بل واكثر مما نستحق، إذا ما أكرمنا أنفسنا وعملنا لما بعد الموت واحسنا أداء ما افترض علينا من عبادات مستحقه، بشوق وإخلاص طلبا للمتعة الأبدية، واستغناء بها عن المتعة الزائلة، التي لا طائل منها إلا أنها تضيع وقتنا فيما لا يرضى الخالق، وتفضي بنا إلا عدم الاستحقاق لرحمته وكريم عفوه.

وحيث إن اكثر الأعذار والمثبطات التي توهن الإنسان في دنياه وتثقل من كاهله، هي مشكلة طلب الرزق حتى يستكفي عن طلب الغير، وبحصوله يعتقد انه أدى ما عليه في هذه الدنيا أمام نفسه وعائلته ومجتمعه .

فتطرق الأستاذ النورسي بما أمده الله من فتوحات ربانية إلى الرزق بطريقة شيقة مؤثرة تأخذ الألباب، وتجعل هذا الإنسان الضعيف يقف مشدوها بل وحتى متحيرا كيف انه لم يهتدي إلى هذه المقارنات الواقعية على الرغم من أن الرزق وطلبه هو شغله اليومي الشاغل، فيثبت له، بان الرزق أمر حاصل، تكفل به ربنا وخالقنا ومدبرنا سواء عبدناه أم لم نعبده، فهو من يرزق الطفل الصغير العاجز والغير مكلف، بل وحتى صغار الطير الذين يحتاجون إلى أمهاتهم في ترتيب شؤونهم، ولا ينساهم، وهم غير مكلفون، بل وتكفل برزق الكافر المعاند الذي يخالف سنن الحياة التعبدية، فلا يؤدى ما افترض عليه ويجاهر بذلك بل ويحارب من تقرب إلى الله ويذيقه أصناف العذاب، كل أولئك ينالون رزقهم من باب رحمة الله بعباده، ولكن ومع علمنا بهذا، يختلف عن هؤلاء الإنسان المؤمن بربه والذي يؤدى أوامر خالقه ويجعل الدنيا مزرعة الآخرة، فهو يرتفع برتبته عند الله، ليكون المفضل لدى خالقه والمستحق للحظوى لديه والذي يستحق أن ينال وعده بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، مع حصوله الكامل

لرزقه المكتوب له منذ الأزل ولو كان في باطن الأرض، فعبادته لربه لم توقفه أو تصده عن طلب رزقه والذي يمكن أن يتحول إلى عباده لخالقه بمجرد إحسان النية، فيكسب أن أمور حياته مستمرة مع أدائه لواجب عبادة خالقه المستحق للعبادة.

ومما تعامل معه الأستاذ النورسى بشيء من المقارنة المؤثرة، هو شرحه للآبه الكريمة ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ (التوبة:١١١)

فأنفسنا الفانية التي بين جنبينا والتي هي وديعة وأمانة لدينا، نستطيع بحسن تصرفنا، إذا صرفنا هذه الحواس في مرضاة الله، أن نضمن لها البقاء والخلود والترقي مع حصول المتعة الحلال، مع علمنا باتساع مدى هذه المتعة، إذا نحن بعناها لخالقنا ورازقنا وهو المالك لهذه النفس، الذي من رحمته بنا وعلمه بضعفنا، أراد لنا أن نتمتع بحلاله مع محافظته لنا على وديعته من دون أن نخسر شيئا، مع ما سنكسبه من الخصال التي ترضى خالقنا فنستحق لوعده بالجنة، بينما الخسارة تكون ثقيلة، إذا نحن تناسينا هذا العرض، الذي لا يضاهيه أي كرم، وعملنا بغير ما أمر الله فصرفنا حواسنا في غير رضى الله، فستزول هذه النعم إن عاجلا أم آجلا، ولكنا سنبوء بما نستحق من عقاب كمن خان الأمانة، فنكون قد جنينا على أنفسنا بان هوينا بأنفسنا، والتي كرمها ربنا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء:٧٠)، إلى اسفل سافلين، من درجة الرقى إلى مستوى الأنعام بل أضل، وسندعو بالويل والثبور بما أثقلنا به كاهلنا من عظائم الذنوب فشقينا وأشقينا أنفسنا، بعد أن جعلها الله هي مفاتيح لأبواب السعادة الأبدية، بينما بسوء تصرفنا ورفضنا لعرض ربنا الرحيم الكريم، واستعمالنا لها فيما يغضبه، جعلناها مفاتيح لأبواب جهنم، والخسارة الأبدية.

كثيرا ما يبسط لنا الأستاذ النورسي أمور الحياة إلى واقع ملموس بطريقة جميلة وسهلة ومن واقعنا نشاركه فيها بالوصول إلى الاستنتاج العقلاني متبعا تسلسلا منطقيا سهلا يوصل من كان عنده أدنى عقل إلى الخلاصة الحقيقية لما يعانى في حياته الدنيا، ويستخدم في ذلك شتى الأمثلة والقصص والتي لا تبعد قليلا أو كثيرا عما نعاني منه في حياتنا، بل ويجعلنا ننتظر من خلال معايشتنا للقصة، إلى الخاتمة المنطقية بشوق ولهفة.

وخير مثال على ذلك ما ذكره الأستاذ النورسى في تعريفه للإيمان باليوم الآخر، وما يفضي به هذا الإيمان إلى الوصول لأقصى ما نتمناه، ويحول لنا الخوف إلى أمن والمشاكل إلى متعه والضعف إلى قوة، وما الالتجاء إلى الله مع الاعتراف بضعفنا مقابل قوته وعظمته، من استمتاع متناهي كما يتمتع الطفل الرضيع الضعيف بالتجائه إلى صدر أمه الحانية، فتخف الأعباء وتسهل الصعاب وتزول المنغصات، بل ومن شدة استمتاعنا، قد نتمنى بقاء هذه المنغصات، حتى نستزيد من إظهار لضعفنا وحاجتنا، ونتمادى في التجائنا بخالقنا، فنكون في هذه الدنيا كأننا في جنة لا يحس بها إلاّ من آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وآمنا باليوم الآخر حقا يقينا، فنسكت بذلك ذلك الصوت الخبيث الذي يحاول إلهائنا عن هذه الحقيقة، بإيقاعنا في الملذات فينسينا أننا دائما في ضعف وعجز، قد أصبنا وجرحنا في ماضينا، وذلك بما اقترفناه من ذنوب، بينما نحن سائرون في درب آخره القبر والذي وصفه كالأسد الشرس المنتظر أن ينقض علينا في أي لحظه لإيقاعنا في مصيرنا المحتوم والذي لا مفر منه بالموت، الذي لم يسلم منه أي من الأمم السابقة، والتي قد يكون بعضها وعى حقيقة الإيمان فنجى، والآخر غفل أو تغافل عن هذه الحقيقة فحق عليه العذاب، إذا فالخلاصة المنطقية، وبما أننا كلنا سائرون من نفس

الطريق والى نفس المصير، فلما لا نتعظ ونقوم بحق الإيمان بالله حتى تصفوا لنا الحياة وتتحول همومنا إلى لذة باللجوء إلى خالقنا طلبا للعون منه لتجاوز جميع العقبات، واستبدالها بلذة القرب من الله.

دائما ما يذكرنا رحمه الله بواقع الدنيا وواقع الآخرة وان الدنيا لا تكون حلوه إلا إذا أخذت كمعبر للآخرة وليس كغاية وهدف وحيد، ويؤكد ذلك في كل مثال ودائما ما يربط نفسه ويذكرها كجزء لا يتجزء من المحتاجين إلى التذكير وهذا دائما ما يكون له الوقع الكبير في نفوس المستمعين والطالبين للنصيحة، ويشرح ذلك بطريقه قريبة من الأفهام، ويخوف من مصير الغافل الذي ينسى انه عبد لله، وصنيعة الله، ولن يستطيع أن يهنأ في هذه الدنيا بالركون اليها وهى الفانية التي لا يثق بها إلا مغرور، ويبذل رحمه الله كل الوسائل حتى يفهم الغافلين هذه الحقيقة أملا من الله أن يهديهم ويدلهم على الطريق فجزاه الله كل خير ونفع برسائل النور.

ودائما ما يسترسل الأستاذ النورسى في تنويع طرق الإقناع والتي يحاول بها أن يساهم في تبصير من اغفل قلبه هوى نفسه، فهاهو يصور الدنيا من مبعث سيدنا آدم عليه السلام ومرورا بالأنبياء عليهم وعلى نبينا السلام وحال أممهم معهم، إلى مبعث سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وأتم التسليم وبزوغ نجم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما كثيرا ومن ثم نهاية الدنيا بيوم القيامة، حتى نصل إلى يوم الحشر العظيم، وذلك في قالب قصصي مبارك سهل طيع من واقع ما نألف.

فيمثل كل ما سبق، في مبحث الحشر، بملك عظيم ذوا قوة وجبروت وعدل ورحمه، في مملكته العظيمة، والتي فيها الجميع يأخذ نصيبه، عارضا في هذه المملكة العظيمة، ولكنها زائلة، صورا مبسطه عما يملكه في الدار السرمدية،

حتى يعلم المعتبرين بان مصير الطائعين له في هذه الدنيا الفانية والتي هي دار العمل، اكبر بكثير مما رأوه، عندما يكونون في دار الخلد، في بحبوحة من عيش وحياة سرمدية، إذ إن من عدله أن يجازيهم، ومن عظمته وهو القادر على أن يخلق في هذه الدار الفانية الكثير مما عظم من المخلوقات المتنوعة، أن يجعل الحقيقة في الدار السرمدية اعظم بكثير مما رأوه من أمثلة، ثم وهو العظيم العادل والذي كتب على نفسه الرحمة، من عدله أن ينبه الغافلين، الذين هم عباد من عباده، بإرسال رسله الكثيرين المتتابعين، وان يذكرونهم بان اتباعهم لأوامره واجتنابهم لنهيه سوف يورثهم العزة في هذه المملكة الفانية، ومن باب اولى في الدار الباقية، وذلك كما مثلهم الأستاذ النورسى هم ممثليه في مملكته الذين يعرضون بضاعته، ويخبرون رعيته بقوانينه التي سنها لضبط الأمور في مملكته العظيمة، بل ومن باب اولى أن من يخطئ مهما كانت الخطيئه أن تسجل عليه خطيئته، وكلاً يجازى على فعله كما اقتضت حكمة هذا الملك العظيم، ولا يكون هذا الجزاء في هذه المملكة المؤقتة الفانية التي مصيرها الزوال، بل لابد من وجود دار باقيه يتم فيها الجزاء بما يتناسب مع الجرم، وقبل ذلك يتناسب مع عظمته، وهو الذي قدر فهدى فلم يتركه هملا من دون تنبيه وذلك لأنه هو الرحيم، ولكن هذا المذنب لم يراع هذه الرحمة وهذه العظمة وتمادى في خطئه وفى إيذاء عباد الله، فاستحق العذاب السرمدي كما استحق المؤمن المقيم لأوامر الله ونواهيه للنعيم السرمدي، كل هذا ساقه الأستاذ النورسي في إطار سلس سهل على اقل الناس فهما وعلى شكل مناظرة بين العاقل المقدر لعظمة الخالق وبين المذنب الغافل المضيع لحقوق الله وحقوق خلقه، وبين في هذه المناظرة كل تاريخ هذه الخليقة وحال الله مع خلقه، منذ القدم وحتى يوم المحشر، ثم يقرر كل حقائق المحشر بإيضاح حقائق برهانيه من تجليات أسماء الله الحسنى، فيذكر أن من باب تجليات الربوبية، أن ربا بهذه العظمة لابد أن

يكون جزاؤه لمن آمن ومن كفر، بقدر عظمته وان لا يكون في هذه الدنيا الفانية بل لابد أن يكون خالدا سرمديا، حتى يتنعم المؤمنون بنعيمه الخالد ويشقى الأشقياء بعذابه الخالد، جزاء وفاقا، وهكذا يسترسل فيشمل الأسماء العظيمة لربنا ومنها الكريم و الرحيم الذي تقتضي رحمته بالضعفاء وكرمه بخلقه أن لا يضيعهم فيكرم مؤمنهم، ويأخذ لهم بحقهم من مسيئهم، ويقتضي اسم الحكيم والعدل، الذي احكم أمور كل شيء إلى أدق الصغائر، أن يكون عادلا مع مخلوقاته، المطيعة منها والعاصية، فيكرم مطيعهم، ويأخذ لهم حقهم من العصاة، وذلك في حياة أبدية تليق بعظم طاعة المطيع وعظم جرم العاصي، ويسترسل إيضاحا لحقائق تجليات اسمي الجميل والجواد، فيقول بان هذا الجمال يدل على وجود صانع له، ولابد أن يكون هناك جمالا أبديا يتفق مع عظمة الخالق المتصف بالجمال، ولا يكون مؤقتا وفانيا، فلابد أن يستمتع به المؤمنون باستمرار ويتجلى لهم باستمرار فتكون المتعة مستمرة متفقة مع الخالق السرمدي الأبدي، وكذلك من تجليات اسميه المجيب والرحيم، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويجيب كل من طلبه، أن يجيب نبيه الذي أدى الرسالة وبلغ الأمانة، في دعائه لامته بالرحمة، فيجيبه ويعطيه بقدر مكانته عند الله، وبقدر عظمة الله، فتكون الحياة الأبدية في دار الخلد في الجنة لائقة بدعائه واجابة لمبتغاه، أما اسما الجليل والباقي ذوا العظمة، والذي مثله هنا الأستاذ سعيد النورسي، بصاحب الفندق العظيم والذي زينه لأناس لا يستطيعون أن يستمروا في الاستمتاع به ولكن لأنه الجليل الباقي، فلا بد أن يكون ملكه باقيا مستمرا ولا ينتهي بانتهاء هذه الدنيا الفانية، فهو قد زين هذا الفندق (كناية عن الدنيا)، بأمثلة تعطى نوعا من التشبيه المبسط لما ينتظر الناس في الآخرة التي هي اكبر واعظم، ثم استرسل فأوضح أن اسم الله الحفيظ الرقيب، وهو الذي يحفظ كل شيء، ولا يؤوده حفظه، ويراقب كل صغيرة وكبيره من أمور المخلوقات

والعوالم الأخرى، أن لا يكون جزاؤه لكل صغيرة وكبيره من خير وشر من أعمال عباده، على قدر عظمته، ودائما بدوامه الأبدي السرمدي، وذلك في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (الشعراء:٨٨)، ثم إن الله الحي القيوم المحيى المميت، والذي يخلق كل يوم الكثير الكثير من المخلوقات البديعة، ويميت غيرها، فلا بد أن تقتضي حكمته أن لا يكون عمله مجرد شيء مؤقت، بل لابد أن يليق بعظمته ويدوم بدوامه، ثم إن هذا الرب العظيم كما أحيا في الدنيا هذه المخلوقات من العدم لابد أن يكون قادرا على أن يحيى جميع خلقه كما أوجدهم من العدم، وأن يعيدهم في يوم المحشر بكلمة واحدة (كن فيكون)، إن الله على كل شيء قدير، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم:٥٠) فهو الله الحق المبين ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ (السجدة:٧).

إذن من كل ما سبق نخلص إلى أن الأستاذ النورسى، وهو الذي يقول عن نفسه انه خادم القران وان رسائل النور هي من مشكاة القران، يتخذ نفس الأسلوب الذي ينهجه القران في شرح أمور الآخرة من استخدام المقارنات بين الكفر والإيمان، ويستخدم الأسلوب القصصي فيستند إلى حقائق إيمانية وأمور من واقع حياتنا نعايشها ونألفها، ويستمد منها البرهان على حقائق مهمة لاثبات قضايا الإيمان بالله وباليوم الآخر، وان المعاند والمكذب يكون ماله الخسران المبين في الدنيا والآخرة، ويستخدم المعنى الاسمي لبعض الأشياء الدنيوية، ليبين معاني أساسية عن حياة الآخرة كما سبق ذكره.

اللهم لا علم لنا إلى ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم، وصلى الله وسلم على نبينا وقدوتنا سيدنا محمد، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وجزى الله الأستاذ النورسى كل خير، ونفع بعلمه وبرسائل النور، وبطلبة النور.

الآثار التربوية والاجتماعية للإيمان باليوم الآخر

من خلال رسائل النور

د. آزاد سعيد سمو

المعهد المركزي- دهوك- العراق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد...

إنّ الإيمان باليوم الآخر هو واحد من أركان الإيمان الستة حيث لا يعد مؤمنا من لم يعتقد بذلك اليوم، لقد قسم الله جلّ وعلا الحياة عموما إلى قسمين أو لنقل إلى مرحلتين:

أولاً: مرحلة الحياة الدنيا.

ثانياً: مرحلة الحياة الآخرة.

وجعل الموت حدّاً فاصلاً بين الحياتين، وبناء عليه من الخطأ أن نفهم بأن الموت هو نهاية الحياة وإنما هو نهاية للمرحلة الأولى منها، لذلك عرف الموت

بأنه: انتقال للإنسان من دار الدنيا إلى دار الآخرة، هذا ولو قمنا بإجراء المقارنة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة لتوصلنا إلى ما يأتي:

١- الحياة الدنيا قصيرة ومحددة بسنوات معدودة، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[١]، بينما الحياة الآخرة طويلة بل أبديّة حيث لا نهاية لها بغض النظر عن كونها سعيدة أو تعيسة، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[٢].

٢- الحياة الدنيا دار عمل وابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٣] ، أما الحياة الآخرة فهي دار جزاء ونيل لثمار الأعمال لذا قيل (الدنيا مزرعة للآخرة)، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾[٤].

٣- بإمكان الإنسان في الحياة الدنيا أن يتراجع ويندم على أعماله وأقواله الخاطئة واعتقاداته الباطلة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٥]، أما في الحياة الآخرة فلا يمكن التراجع ولا ينفع الندم لأنه انتهى وقته، قال

(١) الروم، ٥٥.
(٢) الحج، ٤٧.
(٣) البقرة، ١٥٥-١٥٦.
(٤) يونس، ٤.
(٥) النساء، ١٧.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[٦].

٤- نستخلص من خلال المقارنة السابقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة إلى أنّ حياتنا الدنيا هذه لا تساوي شيئاً أمام حياتنا الأخروية لا من حيث المدّة الزمنية، ولا من حيث المقاييس والموازين، وكذلك بالنسبة للملذات والطيباب فشتان ما بين الحياتين من كافة النواحي.

لذلك نجد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة مئات الآيات والأحاديث التي تحثّنا على العمل للآخرة واستثمار سنوات العمر لإرضاء الله تبارك وتعالى، والعمل ليل نهار لكسب المزيد من الأعمال الصالحة المتنوعة وادخارها لـ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٧].

الحكمة هي واحدة من صفات الله تبارك وتعالى وإنّ من تمام حكمته وجود يوم يحاسب فيه كلّ بني آدم على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرّا فشر وإلاّ لما كان هناك أي مبرر لهذه الحياة الدنيا حيث يموت كل يوم آلاف الظلمة والقتلة والمجرمين دون أن ينالوا عقابهم في الدنيا، وفي المقابل يموت مثل ذلك العدد من أولياء الله الصالحين المتقين الذين كانوا يعملون ليل نهار في سبيل هداية الناس وإرشادهم لسلوك صراط الله المستقيم تراهم يموتون دون أن يحس بهم أحد أو يذكرهم بخير، فهل تقبل حكمة الله تعالى وعدله أن يموت هؤلاء وأولئك وتنتهي القصّة وكأن شيئا لم يكن، ويتحول الجميع إلى التراب الذي خلقوا منه في البدأ؟! حاش لله أن يكون الأمر كذلك، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا

---

(٦) آل عمران، ٩١.

(٧) الشعراء، ٨٨-٨٩.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[٨]، (فهذا النص يكشف لنا أنه لو لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة أخرى تكون فيها الرجعة إلى الله للحساب والجزاء وإقامة محكمة العدل والفضل الإلهية لكانت عملية الخلق ضربا من العبث والله عز وجلّ وتبارك وتعالى منزه عنه، فلا يكون في شيء من أفعاله وأحكامه، وأوامره وشرائعه عبث، بل لابدّ في كلّ ذلك من غايات حكيمة تحددها إرادة الخالق المستندة إلى علمه المحيط بكل شيء)[٩]، وإذا كان سلاطين الدنيا يمارسون حق الثواب والعقاب فما بالك بسلطان الكون كلّه، يقول الأستاذ سعيد النورسي في ذلك: (إنه ليس هناك سلطان عظيم دون أن يكون له ثواب للمطيعين وعقاب للعاصين فلا بدّ من أنّ السلطان السرمدي_وهو في علياء الربوبية المطلقة_ له ثواب للمنتسبين إليه بالإيمان والمستسلمين لأوامره بالطاعة، وعقاب للذين أنكروا عظمته وعزته بالكفر والعصيان، ولا بدّ من أنّ ذلك الثواب سيكون لائقا برحمته وجماله، وذلك العقاب سيكون ملائما لعزّته وجلاله)[١٠].

إنّ من بين الأهداف بل في مقدمة الأهداف التي حاول الأستاذ سعيد النورسي تحقيقها في نفسه أولاً ثمّ في نفوس طلاّب النور الارتباط الوثيق بالآخرة، والعمل لها ودعوة الآخرين إلى ذلك أيضا، لذا فلا غرابة من أن نرى طلاّب النور وكذلك قرّاء رسائل النور يذكرون الآخرة باندفاع منقطع النظير، ويعملون لها بحماس عجيب، استمع إلى الأستاذ سعيد النورسي وهو يخاطب نفسه: (فيا نفسي إن كنت تجعلين الحياة الدنيا غاية المقصد وأفرغت في سبيلها

---

(٨) المؤمنون، ٢٣.

(٩) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط١١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م، دمشق، دار القلم، ص٥٣٥.

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٦٣

جهدك فسوف تكونين في حكم أصغر عصفور، أما إن كنت تجعلين الحياة الأخرى غاية المنى وتتخذين هذه الحياة الدنيا وسيلة لها ومزرعة، وسعيت لها سعيها...فسوف تكونين في حكم سيد الأحياء والعبد العزيز لدى خالقه الكريم، وستصبحين الضيف المكرم الفاضل في هذه الدنيا. فدونك طريقان اثنان، فاختاري أيما تشائين واسألي الربّ الرحيم الهداية والتوفيق)[١١] إذاً يخيّر الأستاذ سعيد النورسي نفسه ونفوس طلاّب النور من خلال مخاطبته لنفسه بين أن تكون في حكم أصغر عصفور وبين أن تكون في حكم سيّد الأحياء والعبد العزيز عند خالقه الكريم، فشتّان ما بين الاختيارين والمرتبتين، هكذا يقلّل الأستاذ النورسي من شأن الحياة الدنيا وقيمتها وبذلك يحفّز نفسه ونفوس طلاّب النور نحو العمل للآخرة والسعي لإرضاء الله تبارك وتعالى، وعندما نقول بأن الأستاذ النورسي كان يدعو إلى التقليل من شأن الدنيا فإنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان يدعو إلى ترك الدنيا بحذافيرها جملة وتفصيلاً وتركها للآخرين، لأنّ ذلك مخالف لسنة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلّم، وإنما كان الأستاذ النورسي يقصد من وراء ذلك توجيه طلاّب النور إلى عدم التكالب على الدنيا وملذّاتها على حساب الآخرة والعمل لها.

لقد تمكن الأستاذ سعيد النورسي من تربية نفسه ونفوس طلاّب النور على حبّ الآخرة والعمل لها والابتعاد كل البعد عن كل ما ينافي ذلك أو يحول دونها، لذا فعندما بعث إليه أحد طلاّب النور ذات يوم رسالة يقول له فيها: (لو كنت في مصر أو أمريكا لكنت تذكر في التاريخ بإعجاب وفخر) أجابه الأستاذ النورسي بقوله: (أخي العزيز الفطن: نحن نهرب من احترام الناس إيانا..فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء عجيب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء وهو عجب ذو

---

(١١) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص٢٠.

فتنة، وحب الظهور وكسب إعجاب الناس كلّ ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس مسلك النور وطريقه)[١٢])[١٣] ، وكثيرا ما كان يخاطب طلاّب النور بقوله: (ادفن مزاياك تحت تراب الخفاء لتنمو)[١٤] فـ(تأمل هذه العبارة البليغة وهذا التشبيه الرائع حيث شبه الأستاذ النورسي مزايا الإنسان بالحبات أو البذور التي تدفن تحت التراب لكي تنمو وتتكاثر، فمثلا صاحب الزرع الذي يدفن حبات القمح تحت التراب لا يقول إنني قد خسرت هذه الحبات لأنه يدرك بأن كل واحدة منها سوف تنبت العشرات من الحبات الأخرى، وهكذا هو شأن من يعمل للآخرة فعندما يخفي مزاياه فإنّ تلك المزايا ستنبت الكثير من المزايا الأخرى له وإخوانه إن شاء الله تعالى)[١٥].

آثار الإيمان باليوم الآخر من خلال رسائل النور:

إنّ النفس الإنسانية بحاجة إلى التربية الإيمانية الرصينة باستمرار لكي تتحول تلك النفس من نفس أمّارة بالسوء إلى نفس مطمئنة مؤمنة، والتربية يجب أن تبدأ بالفرد وتمر بالأسرة لكي تصل إلى المجتمع، فالفرد هو الركيزة الأساسية للمجتمع حيث تتكون الأسرة من مجموعة من الأفراد، ويتكون المجتمع من مجموعة من الأسر، لذا ينبغي الاهتمام بتربية الفرد والأسرة والمجتمع جنبا إلى جنب وبكافة الوسائل والسبل المناسبة، هذا ومن بين تلك الوسائل بل من أهمها

---

(١٢) لقد كان الأستاذ سعيد النورسي طوال حياته يهرب من الرياء وحب الظهور، وكان يتحلى بالإخلاص ونكران الذات لذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بنشر اسمه ورسائله في أرجاء المعمورة حيث ترجمت رسائل النور إلى أغلب اللغات التي يتحدث بها البشر ..فتأمل.

(١٣) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص٢٨٩.

(١٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص٨٦٦.

(١٥) سمو، الدكتور آزاد سعيد، سعيد النورسي حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا، (أطروحة دكتوراه).

تربية النفس من خلال الإيمان باليوم الآخر والعمل له، فـ(الإيمان بالآخرة ضرورة أخلاقية تقتضيها مفاهيم العدل الإلهي والفضل الإلهي، وحينما نبحث عن الضوابط التي يمكن أن تضبط سلوكه نجد ضوابط ضعيفة وناقصة إلاّ ضابطا واحدا هو مراقبة الله والخوف من عقابه يوم القيامة، وبهذا تغدو قضية الإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لحل مشكلة الجنوح الإنساني، ولمنح المجتمعات الإنسانية أفضل صورة ممكنة من السعادة الجماعية في ظروف هذه الحياة الدنيا، ولدفع الإنسان إلى الخير والارتقاء في سلم الفضائل الفردية والجماعية)[١٦].

لقد ذكر الأستاذ سعيد النورسي في رسائل النور العديد من الآثار التربوية والاجتماعية للإيمان باليوم الآخر على النفس الإنسانية وفيما يأتي بعض منها:

أولاً: الآثار التربويّة:

لا شكّ أنّ للإيمان باليوم الآخر آثارا تربوية طيبة على الفرد والمجتمع، فالإنسان الذي يعتقد بوجود يوم يجمع الله تبارك وتعالى فيه الأولين والآخرين للعرض والحساب، وأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء مهما دقّ وصغر، وأنه لا يمكن لأحد أن ينجو من الحساب في ذلك اليوم ولا يسأل حميم حميما، لا شك في أن الإنسان الذي يؤمن بكل ذلك سوف ينعكس ذلك الإيمان على سلوكياته وتصرفاته اليومية انعكاسا إيجابيا يدفعه نحو الصلاح والتقى والعمل على كسب رضا الله سبحانه وتعالى لكي ينجو من هول ذلك اليوم.

لقد تمكن الأستاذ سعيد النورسي من تربية طلاب النور من خلال الإيمان باليوم الآخر وجعله حافزا قويا للاندفاع نحو العمل للآخرة بحماسة منقطعة النظير، وفيما يأتي بعض من تلك الجوانب:

---

(١٦) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة، المصدر السابق، ص٥٣٦.

١- الدنيا دار العمل والآخرة دار الأجر.

سبق وأن أشرت إلى أنّ الله تعالى قد قسّم الحياة إلى مرحلتين اثنتين: مرحلة الحياة الدنيّوية، ومرحلة الحياة الأخرويّة، وأن لكل من المرحلتين خصوصياتها ومميزاتها، وهنا أود الإشارة إلى نقطة جوهرية في هذه المسألة وهي طبيعة العلاقة بين الحياتين فأقول: بما أن الحياة الأخروية هي امتداد للحياة الدنيوية، ومصير الإنسان في الحياة الأخروية مرتبط بما يبذله في حياته الدنيوية لذا عليه أن لا يحرص على قطف ثمار أعماله في هذه الحياة الفانية، إلاّ أنّ ذلك لا يعني بالضرورة رفض المكافئة الدنيوية على أعماله الصالحة إذا أتته، وإنما عليه أن لا ينتظر الأجر والمكافئة الدنيوية لأن الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء، وأن الجزاء الدنيوي حتى لو أتاه فإنه لا يساوي شيئا أمام الجزاء الأخروي الذي ادخره الله تعالى له، يقول الأستاذ سعيد النورسي: (إنّ هذه الدنيا دار عمل وليس موضع أخذ الأجرة، فثواب الأعمال الصالحة وثمراتها وأنوارها تمنح في البرزخ والآخرة، وأن جلب تلك الثمرات الباقية إلى هذه الدنيا وطلبها في هذه الدنيا يعني جعل الآخرة تابعة لهذه الدنيا، وعندها ينثلم إخلاص تلك الأعمال الصالحة ويذهب نورها.

نعم إن الثمرات لا تطلب ولا تنوى قلباً، بل يشكر عليها إذا ما منحت للحث)[١٧].

إذا فالأجر الدنيوي لا ينبغي أن يكون الهدف والمبتغى لأن ذلك سوف يؤدي إلى الحرمان من الأجر والثواب في الآخرة، هذا وقد أشار الأستاذ سعيد النورسي في كلامه السابق إلى مسألة في غاية الأهمية وهي: رغم أنه لا يجوز أن يكون الأجر الدنيوي هدفا إلاّ أنه ينبغي في حالة تحققه وحصوله استثماره في

(١٧) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص١٥٦.

الاندفاع نحو بذل وتقديم المزيد من الأعمال الصالحة والخدمات النافعة لنيل المزيد من الأجر الأخروي في يوم القيامة.

هذا وقد حذّر الأستاذ سعيد النورسي طلاّب النور في أحد رسائله من الحرص على قطف ثمار أعمالهم في هذه الحياة الفانية حيث يقول: (إن هذه الدنيا هي دار خدمة وعمل وليس دار ثواب ومكافئة، فالذين يرغبون في قطف ثمار أعمالهم في هذه الحياة الفانية إنما يستبدلون المكافأة الدنيوية الفانية بثمار الآخرة الأبدية الباقية، فضلاً عن أن هذا يدل على بقايا تعلق بالدنيا ورغبة في الاستمتاع بها، ويكون هذا سببا في خفوت شوقهم وتطلعهم إلى الحياة البرزخية، بل يريدون هذه الحياة إذ يجدون فيها نوعا من ثمار الآخرة)[١٨].

لقد حذّر الأستاذ سعيد النورسي طلاب النور من الرغبة في قطف ثمار أعمالهم في الحياة الدنيا لأن ذلك قد يؤدي إلى خفوت شوقهم إلى الآخرة وازدياد تعلقهم بالدنيا الفانية وملذاتها الزائلة وهذا منزلق خطير يؤدي إلى المهالك والعياذ بالله، هذا وقد وصف أحد الصالحين الدنيا بالماء المالح الذي كلما ازداد منه الضمآن ازداد عطشا، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

٢- تسخير الحياة الفانية لكسب الحياة الباقية.

من خلال المقارنة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة تبين لنا بأن الحياة الدنيا محدودة بعدد من السنين والشهور والأيام، أي أنها محدودة بمدة زمنية ربما تكون طويلة نسبيا وربما تكون قصيرة، وهذه المدة الزمنية التي نسميها العمر ليست كلها مثل بعض حيث يمر بعضها بالسعادة والأفراح والطيبات، ويمر بعضها الآخر بالشقاء والأحزان والأسقام، أما الحياة الآخرة فليست محدودة

---

(١٨) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص٥٨٩.

بزمن حيث لها بداية ولكن ليست لها نهاية بل هي حياة سرمدية خالدة ويعيش الإنسان فيها إما في سعادة دائمة وإما في شقاء دائم، وبالعودة إلى المدة الزمنية لكلا الحياتين يتبين لنا بأن الحياة الدنيا لا تساوي شيئا أمام الحياة الآخرة، لذا فالإنسان العاقل والحريص على مصلحته وسعادته هو الذي يسخر حياته الفانية القصيرة لكي يكسب ويضمن حياته الباقية الدائمة، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١٩]، وهذا ما كان يؤكد عليه الأستاذ سعيد النورسي في رسائله دوما حيث قال في إحدى رسائله: (اعلم أن الحياة أثمن شيء في عالم الموجودات، وأنّ ما يخدم الحياة هو أرقى واجب من بين الواجبات كلها، وإن السعي لصرف الحياة الفانية إلى حياة باقية هو أغلى وظيفة في الحياة.

واعلم أن خلاصة قيمة هذه الحياة وزبدتها وأهميتها البالغة هي في كونها نواة للحياة الخالدة ومنشأ لها، حتى أن تصور خلاف هذا أي حصر الهم والعلم في هذه الحياة الفانية هو إفساد أي إفساد للحياة الأبدية وليس ذلك إلاّ جنونا وبلاهة كمن يستبدل برقا خاطفا بشمس سرمدية)[٢٠].

إذا يرى الأستاذ سعيد النورسي بأنه لو كانت لهذه الحياة الدنيا من قيمة فإنها تكمن في كونها نواة للحياة الخالدة، وأساسا تبنى عليه الحياة الأخروية وإلاّ فليست لهذه الحياة الدنيا بحدّ ذاتها أية قيمة تذكر كما قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢١].

---

(١٩) الحشر، ١٨.
(٢٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص٤٥.
(٢١) الحديد، ٢٠.

٣- الإيمان بالآخرة يؤدي إلى إصلاح المذنبين.

لا شك بأنّ كل إنسان معرض للخطأ وارتكاب الذنوب والمعاصي وإلاّ لما كانت هناك حاجة للثواب والعقاب والجنة والنار، يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: (كل بني آدم خطّاء وخير الخطاءين التوابون).

هناك العديد من الأسباب المؤدية إلى صلاح وتوبة العصاة والمذنبين، ومن تلك الأسباب إن لم نقل من أهمها الإيمان باليوم الآخر وتذكر أهواله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٢٢].

لقد تحدث الأستاذ سعيد النورسي في إحدى رسائله كيف يعمل الإيمان باليوم الآخر على إصلاح العصاة والمذنبين حيث قال: (..يهتف الإيمان بالآخرة بأولئك الأطفال قائلاً لهم: "دعوا الوقاحة والإهمال فقدامكم جنة النعيم فلا تشغلوا أنفسكم عنها الألاعيب" فيمكّن الأخلاق عندهم بإرشاد القرآن الكريم.

ويخاطب الشباب: "إنّ أمامكم نار جهنم فانتهوا من السكر والعربدة" ويجعلهم يثوبون إلى رشدهم".

ويخاطب الظالم: "احذر فإنّ عذابا شديدا سيحلّ بك" فيردعه عن الظلم ويرضخه إلى العدالة.

وقياساً على هذا فإنّ الإيمان بالآخرة يبين تأثيره الطيب ويرسل شعاع نوره إلى كل طائفة، جزئيها وكليّها، عامها وخاصها، قليلها وكثيرها)[٢٣].

إنّ للإيمان باليوم الآخر والحشر والحساب تأثيرا كبيرا على كل إنسان لذلك يجب على المربين والمصلحين والخطباء والدعاة أن يركزوا على عقيدة الإيمان

(٢٢) فاطر، ٥.
(٢٣) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٨٣.

باليوم الآخر في عملهم التربوي والإصلاحي والدعوي، والإشارة إلى العواقب الوخيمة التي تنتظر العصاة والمذنبين كل حسب معصيته وذنبه وجرمه إذا لم يتوبوا إلى الله ويقلعوا عن ارتكاب ما نهى الله تعالى ورسوله عنه وبذلك سيتمكنون من إصلاح الكثير من أصحاب الذنوب والمعاصي الذين قست قلوبهم بسبب غفلتهم عن اليوم الآخر وأهواله.

٤- الإيمان باليوم الآخر يؤدي إلى تحمل المشاق في سبيل الله.

لا شك بأن الذي يقوم بمهمة الدعوة إلى الله سبحانه سيلقى آلاما ومتاعب كثيرة، وهذه هي طبيعة الدعوة إلى الله تعالى، وقدوتنا في ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تعرض لأشد أنواع القسوة والظلم والأذى على يد عشيرته وأقربائه، وكذلك صحابته تعرضوا لمثل ذلك، وكل من سار على نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم ودعا إلى ما كان يدعو إليه تعرضوا ويتعرضون للمشاق والمتاعب والظلم والاضطهاد وهو ما أشار إليه ورقة بن نوفل بقوله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلاّ عودي).

والذي يقرأ سيرة الأستاذ سعيد النورسي يتعجب من شدة صبره وتحمله أمام المحن والأذى والمتاعب التي تعرض لها في سبيل نشر أفكاره الإصلاحية حيث قضى ربع قرن تقريبا من حياته المباركة في السجون والمنافي وتحت الإقامة الجبرية، وتعرض للتسميم أربع عشرة مرّة (لقد كانت رعاية الله سبحانه للأستاذ سعيد النورسي واضحة للعيان حيث كان الله تعالى ينجيه في كل مرة عندما كان يتعرض للتسميم وإلا لا يمكن لإنسان حسب المقاييس الطبية والبشرية أن ينجو من أربع عشرة حالة تسميم لو لا التدخل الإلهي)، استمع إلى الأستاذ النورسي وهو يتحدث عن مدى تأثير الإيمان باليوم الآخر على تحمله

وتحمل طلاّب النور المشاق والآلام في سبيل الله حيث يقول: (لو لا الإيمان بالآخرة الذي أمدني وإخواني في مصيبتنا الرهيبة ودخولنا السجن هذا - دون ذنب اقترفناه - لكان مرارة تحمل يوم واحد من أيام العذاب كالموت نفسه، ولساقتنا هذه المصيبة إلى ترك الحياة ونبذها... فأتحمل كل هذا الحزن والأسى بذلك الإيمان بالآخرة رغم أنني ما كنت أتحمل أية إهانة وتحكم من أحد مهما كان ، فإني أقسم لكم – لتطمئنوا - أنّ نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسلية وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم في هذا الامتحان إلى حد بتّ أعدّ نفسي في مدرسة كلها خير وجمال وحُقَّ أن تطلق عليها المدرسة اليوسفية)[٢٤].

ثانيا: الآثار الاجتماعيّة:

المجتمع هو تلك البيئة التي يعيش ويترعرع فيها الإنسان، ويتكون المجتمع الصغير (البيت) من مجموعة من الأفراد تربطهم صلة القربى، أما المجتمع الكبير سواء كانت قرية أو مدينة فيتكون من مجموعة من البيوت والأسر تربطهم علاقة المواطنة والجيرة لذا علينا جميعا العمل على تقوية هذه الروابط وتأسيس علاقات اجتماعية متينة مبنيّة على أساس التماسك والتعاون والتناصح فيما بين أفراد المجتمع، هذا وللإيمان باليوم الآخر آثارا اجتماعيّة طيّبة أشار إليها الأستاذ سعيد النورسي في رسائل النور نذكر منها:

١- الإيمان بالآخرة يؤدي إلى إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة.

السعادة هي مطلب يسعى الإنسان للحصول عليه بكل ما أوتي من قوّة، ونستطيع القول بأن كل ما يقوم به الإنسان في حياته من تحركات هي من أجل

---

(٢٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٨٢.

نيل السعادة، هذا الأمر وهذه الصفة يشترك فيها جميع البشر، ولكن الأمر الذي يختلفون فيه هو أنّ بعض البشر هدفهم ينحصر في كسب السعادة الدنيويّة فقط ولا يفكرون في السعادة الأخرويّة، بل ترى بعضهم مستعدين للتضحية بالسعادة الأخروية من أجل سعادة دنيوية مؤقتة، أما البعض الآخر وهم الذين منّ الله عليهم بنعمة الإيمان والفهم والبصيرة فهم الذين يعملون على كسب كلتا السعادتين الدنيوية والأخرويّة حيث لا منافاة ولا تناقض بينهما، هذا وقد تطرق الأستاذ سعيد النورسي في رسائل النور للحديث عن أثر الإيمان باليوم الآخر على سعادة الإنسان حيث يقول: (...كم يكون الإيمان بالآخرة إذا كنزا عظيما كافيا ووافيا لهذا الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار الجزئي ويتقلّب في الفقر المطلق، وكم يكون هذا الإيمان محورا للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة! وكم يكون مرجعا ومدار استمداد وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة؟ فلو ضحى هذا الإنسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت إذن زهيدة)[٢٥].

إنّ من طبيعة الإنسان عموما أنه شديد الصلة والتعلق بالرغبات والآمال الدنيوية، لذا تراه حريصا على جمع أكبر قدر ممكن من حطام الدنيا ومتاعها، فإذا كان نصيب أحدهم من ذلك كله الفقر والحرمان فهو أحد شخصين: إما مؤمن باليوم الآخر وإما غير مؤمن أو إيمانه به ضعيف، فأما الأول منهما وكما أشار إليه الأستاذ النورسي قبل قليل فكنزه ورأسماله الحقيقي هو الإيمان باليوم الآخر لذا تراه لا يعبه كثيرا بالدنيا وزينتها، فإذا أتته حمد الله تعالى وعمل على إرضاء الله سبحانه من خلال إنفاق ذلك المال في أمور الخير وصلة الرحم ومساعدة المحتاجين، أما إذا لم يكن له نصيب منها فحسبه إيمانه بالله واليوم

---

(٢٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٧٨

الآخر حيث هناك سينال ثوابه الحقيقي، أما الثاني - والعياذ بالله - فهو الذي خسر الدنيا والآخرة حيث أنه لم يصب شيئا من حطام الدنيا، ولم يظفر بالإيمان باليوم الآخر لكي يعوض ما فقده في الحياة الدنيا ذلك هو الخسران المبين، لذا ينبغي علينا الإيمان باليوم الآخر والعمل والسعي الدءوب لكسب ذلك اليوم لأن الإيمان باليوم الآخر هو خير وسيلة لمواجهة هموم الحياة الدنيا التي لا أول لها ولا آخر، ولا يفهمنّ أحد بأن الأستاذ سعيد النورسي يدعو في كلامه هذا إلى اتخاذ موقف سلبي تجاه الحياة الدنيا وتركها للآخرين، بل (كان الأستاذ سعيد النورسي يحثّ طلاّب النور وغيرهم على السعي والعمل الجاد للحصول على الرزق الحلال الذي به يقوى الإنسان على الاستمرار على طاعة ربّه وخدمة دينه، وكثيرا ما كان الأستاذ النورسي يشوّق للناس العمل والتكسب ويبين مزاياه ولذته للعامل وأن هذا الكون كلّه في عمل دائم لكي تستمر الحياة)[٢٦].

٢- الإيمان بالآخرة يؤدي إلى تماسك الأسرة.

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع أو هي المجتمع بصورته المصغّرة، لذلك ركّز أعداء الإسلام هجومهم عليها وحاولوا هدم أركانها وفك الروابط فيما بينها لكي يسهل عليهم التغرير بأفرادها واحدا واحدا وجرّهم نحو هاوية الفساد والانحراف جرّا، فالأسرة بمثابة الحصن الحصين للفرد حيث يحتمي بداخله من الضياع والانحلال، ولقد عرّف الأستاذ سعيد النورسي الحياة الأسرية تعريفا لطيفا بقوله: (إنّ الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة ولا سيما المسلم فهي كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة)[٢٧].

---

(٢٦) سمو، الدكتور آزاد سعيد، سعيد النورسي حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا، (أطروحة دكتوراه)، ص٣٢٧.

(٢٧) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص٣١٠.

لقد تطرق الأستاذ سعيد النورسي في ثنايا رسائل النور للحديث وبشكل مسهب عن الحياة الأسرية ومواصفات الأسرة المتماسكة والسعيدة، وفي كلامه الآتي بيان واضح لأهم مواصفات الأسرة الإسلامية السعيدة حيث يقول: (إنّ بيت كلّ إنسان هو دنياه الصغيرة بل جنته المصغّرة، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكما ومهيمنا في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد هذه العائلة اضطرابا أليما، وعذابا شديدا في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق.

ولكن ما أن يحلّ الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينوّر أرجاءه مباشرة ويستضيء لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقاءهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدي صداقة وفيّة صارفا النظر عن التقصيرات فتتعالى الأخلاق وتسمو وتبدأ السعادة الإنسانيّة الحقّة بالتآلف في ذلك البيت)[٢٨].

يرى الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله كما هو واضح من كلامه السابق أنه يجب أن يهيمن الإيمان باليوم الآخر على البيت المسلم لكي يكون ذلك البيت سعيدا وإلاّ أصبح ذلك البيت الذي من المفترض أن يكون جنة الإنسان على الدنيوية إلى جحيم لا يطاق، فالإيمان بالآخرة من أهم الأسباب المؤدية إلى التماسك والترابط الأسري لأن الأسرة التي يجمعها الإيمان بالآخرة والعمل لها سوف لن تقتصر علاقتهم مع بعضهم البعض على الحياة الدنيوية الفانية، بل يطمحون إلى استمرار تلك العلاقة إلى الحياة الباقية، لذا ترى كلّ فرد في ذلك البيت حريصا على أن يجتمعوا في جنة الخلد معا وبالتالي يحاول كل واحد منهم أن يتقرّب إلى الله بأنواع الطاعات ويبتعد عما نهى الله تعالى عنه ليفوز

(٢٨) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٨٤.

بالجنة هو وباقي أفراد أسرته، إنّ البيت الذي تسود فيه مثل هذه الأجواء لا شكّ أن أفرادها سوف يتحلّون بالاحترام المتبادل، ويكون كلّ واحد منهم متمما وعونا للآخر في أموره الدنيوية والأخروية وبذلك يتحول ذلك البيت إلى جنة دنيوية يعيش فيه أفراده بسعادة غامرة وحياة هانئة.

٣- أثر الإيمان باليوم الآخر على الحياة الاجتماعيّة.

إذا كانت الأسرة هي المنزل الصغير للإنسان فإنّ المجتمع هو بمثابة منزله الكبير الذي لا يستغني عنه، فحياة الإنسان في منزله الصغير (الأسرة) مهما كانت هانئة هادئة ومستقرّة فإنه لا يستغني عن منزله الكبير (المجتمع)، فالإنسان لا يمكنه بحال من الأحوال أن ينغلق على نفسه وأسرته ويقطع الصلة بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه، لأن الإنسان ابن بيئته ويتأثر بها بغض النظر عن تلك البيئة إن كانت صالحة أم فاسدة، لذلك يجب على دعاة الإصلاح أن يبذلوا جهودا كبيرة لإصلاح المجتمع ككل لتسود الفضيلة والوئام والمحبة بين كافّة أفراده، ولتتقلّص الرذيلة والشقاق والنفاق والكذب والغشّ وكافة الأمراض الاجتماعية الأخرى في المجتمع.

إنّ من بين الأمور التي يمكنها أن تأثر في المجتمع لتحقيق الهدف السابق هو الإيمان باليوم الآخر، لذلك كان الأستاذ سعيد النورسي يرحمه الله يحاول بكل ما أوتي من قوّة أن تسود عقيدة الإيمان باليوم الآخر في المجتمع حيث يقول: (إنّ كلّ مدينة هي بحدّ ذاتها بيت واسع لسكنتها فإن لم يكن الإيمان باليوم الآخر مسيطرا على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصيّة والاحتيال والأنانيّة والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبّة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي، وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشيّة

حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانيّة التي يظهرونها، وحينئذ تتسمم حياة تلك المدينة، فيتّصف الأطفال بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين)[٢٩].

إذا فالإيمان باليوم الآخر هو بمثابة صمّام الأمان أمام الأمراض الاجتماعيّة الخبيثة فإذا انعدم ذلك الصّم أو أصابه الخلل فإنّ تلك الأمراض كالحقد والأنانيّة والرشوة والخداع.. سوف تستشري في جسم المجتمع وبالتالي ستفتك به وتقضي عليه، لذا ينبغي على أرباب الإصلاح ودعاة الخير والفضيلة العمل على نشر وتقوية عقيدة الإيمان باليوم الآخر داخل المجتمع لكي تتعافى من تلك الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة ويسود فيه بدلا من ذلك الحبّ والوئام والإيثار والنصيحة والصدق وغيرها من الفضائل التي نحن بأمس الحاجة إليها في هذا الزمن الصعب الذي نشكو منه جميعاً.

إنّ الإيمان باليوم الآخر كفيل إذا ما حلّ في المجتمع بأن يقضي على أغلب الجرائم والمظالم والمخالفات التي يرتكبها أفراد من المجتمع حيث يمكن لذلك الإيمان أن يكون خير رقيب على تحركات وتصرفات أفراد المجتمع وبالتالي سوف يردعهم ذلك الإيمان من ارتكاب الجرائم والمخالفات وبذلك يتحول المجتمع إلى مجتمع أكثر أمنا واستقرارا (فليصغ إلى هذا علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملئون هذا الفراغ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الفائرة العميقة)[٣٠].

---

(٢٩) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٨٣.

(٣٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص٢٣٠

منهج سعيد النورسي...

في إثبات الحياة الآخرة

د. نسيم أختر الندوي
أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

أسعد الله العالم الإسلامي بسعيد النورسي؛ القائد المجدد الحكيم المربي، الذي انتخبه الله لتبيان أسرار كتابه، ودينه وشريعته، وإصلاح عباده، وإزالة الإلحاد ومكافحة المادية الجامحة، فحمل لواء الإيمان مخلصاً للدين الحنيف، ومتسماً بالإخلاص والورع، والغيرة الإسلامية، ودعا إلى الحق ولم يخف لومة لائم.

تضلع من التفسير والحديث والفقه، والنحو والبلاغة، والمنطق والفلسفة، وعلم الكلام، كما تعمق في التاريخ والجغرافيا، وعلوم الفلك والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، والرياضيات. وحصل على هذه العلوم كلها معتقداً بأن

"ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة"[(١)]

حينما بدأتُ مطالعة السيرة الذاتية للأستاذ النورسي جالت في ذهني أدوار العديد من الشخصيات الهندية البارزة. فحينما قرأت عن أيام حياة النورسي في السجون ومشاركته الفعالة في الدفاع عن الوطن والدين الإسلامي، تذكرت دور علماء ديوبند[(٢)] في تحرير بلاد الهند. ولما اطلعت على اعتقاده بأن العصر يحتاج إلى علم الكلام الجديد أنا تذكرت نظرية شبلي النعماني، أحد أركان حركة علي جر الإسلامية الإصلاحية والأدبية، وأحد مؤسسي دار العلوم لندوة العلماء[(٣)]، وحينما قرأت حكايات شجاعته وقصص إتيانه بكلمة حق عند سلطان جائر، وعدم كراهية الموت، تذكرت حياة مجدد الألف الثاني رحمه الله. أحمد الفاروقي السرهندي. وحينما وجدته يبين أسرار القرآن ورموز الشريعة الإسلامية، جال في ذهني صورة ولي الله الدهلوي، صاحب "حجة الله البالغة".

أما تصور الحياة الآخرة عند النورسي فهو جزء لا ينفك للإيمان، والذي بغيابه تفقد الحياة البشرية أهميتها. فركز مجهوداته في إثبات حقائق الإيمان، متحسساً بمقتضيات عصره، الذي سادته ثرثرة عاتية للإلحاد والزندقة، وموجات النظريات الباطلة الهدامة. العصر الذي يصوره الأستاذ إحسان قاسم في الكلمات الآتية:

---

(١) صيقل الإسلام- المناظرات/ ٤٢٨. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إستانبول- سوزلر ١٩٩٩٥م.

(٢) ديوبند اسم منطقة في مديرية سهارن فور، بولاية أترابراديش، الهند. تقع فيها جامعة إسلامية خاصة معروفة بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، أسسها مولانا قاسم النانوتوي في عام ١٨٦٩م.

(٣) من أشهر الجامعات الإسلامية الخاصة في الهند، تم تأسيسها في عام ١٨٩٣م في مدينة كانفور ثم انتقلت إلى مدينة لكناؤ، بولاية أترابراديش.

" كان الإسلام يتعرض لزلزلة كبيرة في تركيا، فالحرب ضد الإسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والإعلام التي تملكها، وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الإسلام من الكتاب والصحافيين، في الوقت الذي كممت فيه أفواه دعاة الإسلام، وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم، لذلك فقد تعرضت أسس الإسلام وأصوله ومبادئه الأولية إلى الشك والإنكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشداً وموجهاً".[٤]

فذلك العصر كان ينادي أن تنهض شخصية تقيم حركة إيمانية، وعقائدية، وإرشادية، فلبى النورسي نداءه، وأعطاه الأولوية، حتى ذهب إلى القول:

" أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني[٥]، والشاه النقشبند[٦]، والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية"[٧].

فمن الأهداف الرئيسية الطبيعية وراء رسائل النور هو إيقاظ الإيمان في

---

(٤) بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره،إحسان قاسم الصالحي، ص ٧٣، نقلاً عن مقال أ.د أحمد محمد أحم الجلي بعنوان " بديع الزمان النورسي وتجديد دراسات العقيدة الإسلامية" دراسة في ضوء رسائل النور" المنشور في البحوث العربية للمؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي حول " العولمة والأخلاق" عام ٢٠٠٢، ص ٢٣٨

(٥) الكيلاني(عبد القادر): هو ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي. ولد بجيلان سنة ٤٧٠ هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وهو أحد الأقطاب المعروفين لدى أهل السنة والجماعة، ومجدد عظيم استقام على يديه كثير من المسلمين واسلم كثير من اليهود والنصارى. من مصنفاته؛ كتاب الغنية وتوح الغيب والفتح الرباني، توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ . المترجم. (المأخوذ من المكتوبات، ص ٢٧).

(٦) النقشبند(الشاه): هو محمد بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ولد في قرية قصر عارفان، قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في الثامنة عشرة من عمره، انتسب إلى شيوخ كثيرين وعاد أخيراً إلى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وانشأ فيها طريقته ونشرها، وتوفي ٣ ربيع الأول ٧٩١هـ ١٣٨٩م عن (٧٣) سنة من العمر. من مصنفاته: الأوراد البهائية، حياتنامة، تنبيه الغافلين.- المترجم(المأخوذ من المكتوبات، ص ٢٧).

(٧) المكتوبات، ص ٢٧

نفوس المسلمين، وإبراز حقائقه الجلية مع الأدلة القوية الواضحة. وقد بين الأستاذ النورسي بأسلوبه الرائع حقائق النعم والآلاء التي قد سخرها الله سبحانه وتعالى لسعادة الإنسانية، ونجح في إبراز هذه الحقيقة أنه:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فهي تدل على أن أهم شيء للإنسان هو الإيمان، والذي يؤكد أن الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعالى، الذي يثبت وجوب وجوده ووحدانيته بمظاهر جميع صفاته في العالم، وهي التي تتقاضى بأن يؤمن الإنسان بالحياة الآخرة، وهذه هي العقيدة التي تمنح الإنسان حياة طيبة، وله فيها راحة وسعادة في كل مرحلة من مراحل الحياة، من الطفولة إلى الشيخوخة. فمن ينكر الحياة الآخرة، ويعتقد بأن الدنيا ليست إلا مادة ونتيجة مصادفة فقط، لا غير، تتحول حياته إلى اليأس، والاضطراب، والشقاء والعذاب.

وكما يبدو أن الأستاذ النورسي اختلف عن منهج الفلاسفة أو منهج الصوفية أو منهج المتكلمين لإثبات مباحث الإيمان أو الحياة الآخرة، بالرغم من اعترافه بمكانتهم وخدماتهم الجليلة[٨]، معتقداً بأن مناهجهم لا تفيد عامة الناس حق الإفادة.

فهو يقول: "هناك **أصول أربعة** للعروج إلى عرش الكمالات وهو "معرفة الله" جلّ جلاله:

أولها: منهج الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: منهج علماء الكلام المبني على "الحدوث والإمكان" في إثبات واجب الوجود.

(٨) انظر المكتوبات، ص ٥٧١

ومع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلاّ أن البشر قد أفرغهما في صور شتى، لذا أصبحا منهجين طويلين، وذوي مشاكل فلم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك.

ثالثها: مسلك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام.

رابعها وأولاها: طريق القرآن الكريم الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، وبجزالته الساطعة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق إلى **الله**، وأقربه إلى **الله**، وأشمله لبني الإنسان[٩]،

ومن المعلوم أن الفلاسفة والمتكلمين ينظرون إلى كل شيء بنظر العقل لدى إظهار حقائق الإيمان والعقيدة، بينما يعتمد الصوفية في هذا الصدد على الذوق والكشف. ولا يخلو أي منهج من هذين المنهجين من التعقيد والغموض وخاصة لعامة الناس.

هو يقول:

"الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد للرقي الصناعي، فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك. وأما الفلسفة التي غدت وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة فإنها تنتج السفاهة واللهو والغفلة والضلالة، وتعارض الحقائق القرآنية"[١٠]

فكانت الحاجة إلى شق طريق سهل يسلكه كل شيء يبتغي الصلاح والاهتداء بنور القرآن، فحققه سعيد النورسي ، بفراسته الإيمانية وثقافته الواسعة وتعمقه

(٩) المثنوي العربي النوري، بديع الزمان النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، درا سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٢٧-٤٢٨

(١٠) ملحق أمير داغ، ١/ ٢٨٦

في دراسة القرآن، فيقول: "إن رسائل النور شقت طريقاً إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم، وفتحت سبيلاً إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية وحجج علمية، وكشفت طريقاً مباشراً إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين؛ بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية التي تغلبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر. والشاهد هو الواقع[١١].

والأستاذ النورسي على يقين أن معرفة الله المستوحاة عن طريق علم الكلام لا تكون كاملة، ولا يمكن بها الحصول على "الاطمئنان القلبي"[١٢]، بينما تكون المعرفة المستقاة مباشرة عن طريق القرآن الكريم "معرفة تامة"[١٣]

أما التصوف ومدى ضرورته للناس فيعرب عنه الأستاذ النورسي قائلاً:

" لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز".[١٤]

وكان سعيد النورسي متأكداً بأن موجات الحضارة الغربية المادية لا يمكن إيقافها عن طريق الكرامات الصوفية السائدة آنذاك، وهذا بسبب كونها ضيقة وذات النفق الواحد. فلم يكن ذلك العصر عنده عصر التصوف، وإنما هو "عصر إنقاذ الإيمان والإسلام"[١٥]

---

(١١) بديع الزمان النورسي، ملحق أمير داغ، تر. إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٧٦

(١٢) المكتوبات، ص:٤٢٤

(١٣) نفس المصدر

(١٤) نفس المصدر، ص ٢٧

(١٥) ملحق أمير داغ ، ١/ ٢٨

إن رسائل النور لا تشرح القرآن الكريم لطبقة خاصة من المسلمين فحسب، بل هي تخاطب العالم كله، هي تُفهم وتُقنع وتنوّر كل شخص مهما كان مستواه العلمي والثقافي، سواء كانت خلفيته دينية أو إلحادية، شرقية كانت أو غربية، وهي تحقيقاً لهذا الغرض تستخدم الأساليب التالية:

١. استخدام أسلوب الموضوعية والتوازن والوضوح.

٢. استخدام دلائل ثابتة بالعلم والتكنولوجيا.

٣. استعمال وفرة الأمثال التي توضح المدلول بالسهولة. هو يقول:

" إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية، ومدى تناسبها، ورصانتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كنايةً. فهي إذن ليست حكايات خيالية، وإنما حقائق صادقة"[١٦].

فالأمثال ضمن مباحث "الإيمان باليوم الآخر"، و"الموت"، و"الإحياء، والإماتة"، و"الحشر"، و"القيامة"، و" الحياة الآخرة"، و"حياة الشهداء في البرزخ"، و"العقوبات الكبرى"، و"جهنم"، و"نعيم الجنة"، و"مشاهد الأعمال في الجنة"، و"ومملكة السماوات"، تصور الحياة بعد الموت تصويراً دقيقاً حياً سهلاً يمكنه أن يفهمه شخص ذو أدنى قوة للفهم والإدراك.

وما كان هذا ممكناً لو لم يكن النورسي واسع الثقافة، بعيد النظر، وخارقاً للذكاء والحكمة، وأنا بكوني طالباً للثقافة الإسلامية للهند قد تأثرت بأفكار الأستاذ النورسي بعد ما قرأت أنه لم يفرق بين العلوم الدينية والعلوم

---

(١٦) الكلمات، ص ٤٧

العصرية، حيث إننا نجد أن معظم العلماء المختصين بالدراسات الإسلامية في شبة القارة الهندية تعمقوا في التفسير والحديث والفقه، ولكن لم يهتموا بالعلوم العصرية، بل يمكن القول أنهم أعرضوا عن مطلوب الآية القرآنية: "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" (البقرة:٣١)، والأسماء هي خصائص الأشياء، ومن أغراض جميع العلوم هو الإلمام بخصائص الأشياء، فمعنى هذا أن الله سبحانه تعالى يطلب من بنى آدم أن يحصلوا على جميع العلوم النافعة، وذلك حسب مقتضيات الدين والدنيا، فأدرك الأستاذ النورسي أن الداعي والمصلح لا يمكن أن يتكلل بالنجاح في مهامهما في عالم المثقفين الحديث، والذين لم يتلقوا تعليم القرآن والسنة، ولكنهم تضلعوا من العلوم العصرية، وهم يريدون أن يفهموا الدين مستمدين مما حصلوا على العلوم. وأثبت أن القرآن فيه غذاء روحي ومادّي لكل بشر. وأثبت أيضاً أن الله قد خلق الإنسان لهدف نبيل، وهو قضاء الحياة بالعقيدة الراسخة، التي هي أساس بناء الحياة، فإذا فسدت العقيدة فسد البناء. ومن العقيدة، الإيمان. ومن ضمن الإيمان تأتي عقيدة الحشر، والنشر، والجنة، وجهنم. وقد أثبت النورسي بالدلائل الساطعة أن حدوث الحشر، والنشور أمر قطعي، كما يتوجب وجود الجنة وجهنم.

وفي إثبات الحياة الآخرة اعتمد الأستاذ النورسي على القرآن، وقد أقنع القارئ بدلائله أن عقيدة الآخرة هي حاجة فردية، واجتماعية. أنقل فيما يلي مقتبساً من الشعاعات، والذي يلقي الضوء على قدرة النورسي على إثبات الحياة بعد الموت عن منهج منطقي علمي، فهو يقول:

"سنشير إلى أربعة أدلة على سبيل المثال - وكنموذج قياسي - من بين مئات الأدلة على أن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان

الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته".

الدليل الاول:

"إن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالة التي تبدو مؤلمةً ومفجعةً للموت والوفاة إلاّ بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من "الإيمان بالجنة". ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه : "إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منا". وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً أمثاله".

الدليل الثاني:

"إِن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ"الإيمان بالآخرة". ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلاّ في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات - الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة - ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجناً مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاسٍ."

الدليل الثالث:

"إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدّئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمّن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم، فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز حيث الحُكمُ للغالب، ولحوّلوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة".

الدليل الرابع:

"إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين. وان بيت كل فرد هو عَالمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة"(١٧)

وقد أثبت الأستاذ النورسي بالدلائل الساطعة والأمثال القريبة الفهم والإدراك أن الإنسان لم يخلق عبثاً، وجميع الأشياء المخلوقة ليست باطلاً. ويُوجد وراء كل شي مقصد خاص، ويدل كل شيء على واجب الوجود. أما الحياة الآخرة، فهو قد أثبت معقوليتها بإبراز:

(١) حقيقة علاقة الإنسان بالخالق

(٢) حقيقة الحياة الإنسانية وهدف خلقها

(٣) مقصد خلق الأرض والسماء وما بينهما

(٤) مقصد الحياة الزوجية

(٥) مقصد خلق السرور والألم

---

(١٧) الشعاعات، ص ٢٢٨-٢٢٩

(٦) معقولية خلق الحشر

(٧) معقولية خلق الجنة وجهنم

ومن أبرز مميزات منهج النورسي في إيقاظ الإيمان، أنه يأتي بالدلائل العلمية المادية، ولكنه في نفس الوقت يريد أن يقوم بتربية النفس تربية إسلامية روحية، فيفتح عيون القلب مع فتح عيون الرأس، بل يهز جميع الأجزاء الحساسة التي يتكون منها الإنسان. وهو بدون شك ينفرد في هذا الأسلوب، وليس هذا إلا أسلوباً قرآنياً. يقول النورسي:

ثم " إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فان كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها. فان فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها"[١٨].

يدخل قارئ رسائل النور أثناء مطالعتها في جو إيماني واسع لطيف، فهو يمر بذرات التراب[١٩] ويصل إلى قمة الجبال[٢٠]، يشاهد الحجر والشجر[٢١]، ويفكر

---

(١٨) المكتوبات، ص:٤٢٦

(١٩) الكلمات، النورسي، ص٦١، ٨٠، ٢٩٥، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٤٦٢، ٨٠٠، واللمعات، ص ١٠٢، ١١١، ٢٧٦، ٣٦٥، ٤٢٤، والشعاعات، ص ٣٢٦.

(٢٠) الكلمات، النورسي، ص ٨٦، ١٠٠، ٢٧٣- ٢٧٦، ٢٨٨، ٣١٤-٣١٥، ٣٢٤، ٣٥٢، ٤٥٢- ٤٥٣، ٤٨٩، ٦٤٩، ٧٣٥، ٧٨٨، ٨٠٦، والمكتوبات، ص ١٧٧، ٣٠٤، واللمعات، النورسي، ص ١٦٦، ٣٥٠، والشعاعات، النورسي، ص ٥٦-٥٧، ١٥١، ٦٨٤.

(٢١) الكلمات، ص ٤٦٣، ٤٩٣، ٧٣٢، ٧٣٤، والمثنوي العربي النوري، ص ٨٣، ٤١٢، ٤٤٧

في وجود ثلاثمائة ألف نوع من طوائف الحيوانات وأجناس النباتات[٢٢]. ويتمتع بحياة الصحراء ويمر على القصر والديوان، وينظر من قريب كل أنشطة المملكة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والقضائية والتربوية وغيرها، يستنشق الهواء مع إدراك أهمية الأوكسجين[٢٣]، ويشرب الماء مع الشعور بأهمية مركباته[٢٤]، ويستضيء من الشمس مع إحساس أهمية علمية لضيائها وحرارتها[٢٥]، وحجمها، والطاقة الخارجة منها، ويتحسس بالتوازن البيئي[٢٦]، ويدرس أسباب الفساد في البر والبحر، ويفهم أن قضية التنمية المستدامة يُوجد حلها في القرآن والسنة. فهو يرى أن النعم الموجودة في الكون تفسر حقيقة الأسماء الحسنى[٢٧]. وبعد أن يمر بالموجودات يتيقن أنها ما خلقت باطلاً، وهنا علاقة قوية بين هذه الدنيا والحياة الآخرة، وهذا الانسجام طبيعي وضروري للبشر.

ويطلع دارس رسائل النور على أن الدنيا جميلة والحياة لها قيمة نادرة، ويزداد جمالها وبهاؤها بسبب كونها مرتبطة بالحياة الآخرة، وأن جميع مظاهر الحياة فيها جمال، وهذا الجمال يزداد حينما نلمس بجماله جمال الحياة الآخرة. وبما أن الحياة الدنيوية تنتهي بالموت، ولكن الأمنيات الإنسانية لا تنتهي، فمعنى هذا أنه لا بد أن تكون حياة أخرى كي تتحقق فيها هذه الأماني. وهو يقتنع ويطمئن بهذا المنطق، وذلك لأنه يقتضيه قانون العدل والفطرة.

---

(٢٢) المكتوبات، ص ٢٨٦، ٣٠٩، واللمعات، ص ٥٧١
(٢٣) الكلمات، ص ٣٣٧، ٧١١، والشعاعات، ص ١٤٥، ٦٩٠
(٢٤) نفس المصدر
(٢٥) نفس المصدر،ص ٧٢٨
(٢٦) نفس المصدر، ص ١٥٤، ٣٣٦، ٥٠٧، واللمعات، ص ٤١٢
(٢٧) الكلمات، النورسي، ص ١٠٦-١٠٧،- ١٠٨، ٢٠٦، ٧٥٢-٧٥٣.

خاتمة

قد أدى بديع الزمان سعيد النورسي دور القائد والمجدد، والمربي والحكيم، وله إسهام كبير في إزالة الإلحاد وقمع المادية من المجتمع التركي خاصة والعالم الإسلامي بوجه عام. والذي تمكن من قيادة حركة إنقاذ الإيمان، بعون ثقافته الواسعة، المبنية على العلوم الدينية، والحديثة، وبفضل كفاءته لإظهار حقائق الإيمان بالأدلة الساطعة القاطعة، واختياره منهجاً خاصاً وهو منهج القرآن، غير منهج الفلاسفة والمتكلمين وأهل التصوف، الذين يعقدون مسألة الإيمان لعامة الناس. فقد بين الأستاذ النورسي بأسلوبه الرائع حقائق النعم والآلاء التي قد سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان، والتي تدل على أن أهم شيء للإنسان هو الإيمان، وتثبت وجوب وجود الله ووحدانيته بمظاهر جميع صفاته في العالم، وهي التي تقتضى بأن يؤمن الإنسان بالحياة الآخرة، وهذه هي العقيدة التي تمنح الإنسان حياة طيبة، وفيها راحة وسعادة في كل مرحلة من مراحل الحياة، من الطفولة إلى الشيخوخة. فمن ينكر الحياة الآخرة ويعتقد بأن الدنيا ليست إلا مادة ونتيجة مصادفة فقط، لا غير، تتحول حياته إلى اليأس، والاضطراب، والشقاء والعذاب.

منهج بسط عقيدة الآخرة
في رسائل النور
قراءة في أدوات المنهج وغاياته

د.محمد جكيب

جامعة شعيب الكيالي- الجديدة- المغرب

التقديم:

الإيمان بالآخرة وبما يرتبط بها من موت وبعث وحشر وجزاء، مكون أساسي من مكونات التصور الإسلامي، لأن دائرة العقيدة لا تكتمل بغير الإيمان بالآخرة وبما يرافقها من غيبيات، اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يؤمن بها إيمانا قاطعا، وألا يكون للمسلم في نفسه أدنى شك فيها.

إن الإيمان بحياة ما بعد الموت، والإيمان بالبعث والحشر والحساب، كل ذلك غيب يتحتم على الإنسان المسلم الإيمان به والتصديق بحصوله كما أمر الله تبارك وتعالى، وليس للإنسان الدلائل العملية للتأكد من حقيقة هذه الغيبيات، لكن الله تبارك وتعالى رحمة بعباده هيأ لهم إشارات تدل عليها.

يجزم الناس بحقيقة الموت، الموحد منهم وغير الموحد فلا أحد ينكر هذه الحقيقة الكونية، التي تعني نهاية العلاقة مع عالم المادي والفعل الفزيائي،

وبداية رحلة جديدة معلومة المراحل بالإيمان والتصديق عند البعض، ومجهولة المصير عند البعض الآخر من الجهلة المنكرين.

يجد المؤمن من عباد الله في داخله يقينا بأن الموت حتمية وبأنه مجرد مقدمة لمرحلة أخرى تنتهي بمحاسبة وجزاء هو العتق من النار وعذابها والفوز بالجنة، فيطمئن قلبه بهذه الحقيقة، ويسلي بها نفسه ويعيش من خلالها على أمل الحصول على الجزاء الذي وعد به المؤمنون، ويجتهد قصارى اجتهاده من أجل الفوز بوعده تعالى.

إن وظيفة الاعتقاد المطلق في الآخرة هي إفاضة السلام على الروح المؤمنة وعلى عالمها، وهو ما يعني طرد القلق والسخط والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى لأن يقينا في القلب يؤكد بأن «الحساب الختامي ليس في هذه الأرض، والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة..إن الحساب الختامي هناك، والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب، فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه، ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس، فسوف يوفاه بميزان الله. ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد، فالعدل لابد واقع وما الله يريد ظلما للعباد.»[1]

إن القضية ليست هي الاعتقاد في الآخرة فحسب، ولكنها قضية كيفية تحويل الإيمان بالآخرة إلى سلوك إيجابي في الحياة الدنيا، بعبارة أخرى إنها

---

(١) أحمد فايز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ١ ١٩٩٩: ص١٧.

قضية تحويل الإيمان بالآخرة إلى طاقة بناءة تخدم الواقع الإنساني، والرقي به حضاريا.

هنا يبرز بشكل لافت منهج الشيخ بديع الزمان النورسي في رسائله الخالدة، فلقد سعى من خلال استيعابه للمنهج القرآني إلى جعل الآخرة وما يرتبط بها مقدمة لبناء الشخصية الإنسانية وبناء الحضارة، وتحويل الإيمان بها إلى طاقة فعالة، وسلوك إيجابي يؤثر في حركة الواقع.

فكيف تناول بديع الزمان سعيد النورسي هذا الموضوع وما طبيعة منهجه وما أدوات الإقناع التي توسل بها، وما الحقول التي ساق منها عناصر الإقناع؟

محورية الإنسان في "علاقة الآخرة"

من أجل فهم عميق لحقيقة الآخرة، ومعرفة منهج النورسي في إثبات تلك الحقيقة ينبغي الرجوع إلى عنصر أساسي فيما نطلق عليه "علاقة الآخرة"، وهو الإنسان، ذلك أن الآخرة مرتبطة بهذا المكون المحوري في الكون.

إن الإنسان في المفهوم القرآني، وكما تجسد ذلك الرسائل مخلوق متميز عن غيره من المخلوقات:

ـ فمن جهة أولى، إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي قبل تحمل مسؤولية الأمانة كما بين القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾[٢]

لقد تحمل الإنسان مسؤولية الأمانة بإرادته، وفتح تحمله لها باب التكليف والقدرة على التدبر في حقيقة الكائنات، بامتلاكه مفاتيح كنوز الخالق تبارك

---

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

وتعالى، بغرض توظيفها في تجلية عظمته تعالى، والتوسع في عبادته، والتفكر في آلائه، وتلك مرتبة لم تعط لمخلوق غير الإنسان حتى الملائكة .

ـ الجهة الثانية وهي تكريم الإنسان بالإرادة، فإذا كانت الملائكة مخلوقات مسلوبة الإرادة من جهة خضوعها المطلق لإرادة الله وأوامره، فلا تزيغ عن ذلك قيد أنملة، فإن الإنسان قد كرمه الله بإرادة غير مطلقة، ولذلك كان للإنسان استطاعة التحكم في إرادته بما وهبه الله من وسائل تعينه على القيام بالتكاليف، ومنها العقل الذي خصه الله بمهمة التفكر والتدبر، ولذلك كان لوصوله إلى الحقائق قيمة عظيمة، لأن الوصول إليها من زاوية هذه الإرادة يتم بمعرفة حقيقة خلقها وصنعتها الشيء الذي يؤدي حتما إلى معرفة حقيقية الصانع، ثم إلى التوسع في عبادته وتعظيمه.

وشتان بين عبادة صادرة عن إرادة ومعرفة، وأخرى مصدرها التقليد فحسب أو اليقين فحسب.

إن للأمانة التي تحمل الإنسان مسؤوليتها، ورفضت السماوات والأرض تحمها، وجوه عدة تنكشف من خلالها ماهية الإنسان في نظر بديع الزمان النورسي، وتتحدد معالم "أنا" كما يصطلح عليها النورسي يقول: «نعم ! إن " أنا " بذرةٌ، نشأت منها شجرة طوبى نورانية عظيمة، وشجرة زقوم رهيبة، تمدان أغصانهما وتنشران فروعَهما في أرجاء عالم الإنسان من لدن آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر.(...)

إن " أنا " مفتاح؛ يفتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى، كما يفتح مغاليق الكون. فهو بحد ذاته طلسمٌ عجيب، ومعمىً غريب. ولكن بمعرفة ماهية " أنا " ينحَلّ ذلك الطلسم العجيب وينكشف ذلك المعمى الغريب " أنا "

وينفتح بدوره لغز الكون، وكنوز عالم الوجوب.»[٣]

إن "أنا" آلة قياس، علامات القياس فيها هي الأمانة، التي توظف في معرفة أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية، فكلما كانت علامات القياس دقيقة وواضحة في آلة القياس كلما كان إدراك الكنوز الإلهية أدق وأوضح، يقول:« ومن المعلوم أنه لا يلزم أن يكون للوحدة القياسية وجود حقيقي، بل يمكن أن تركَّب وحدة قياسية بالفرض والخيال، كالخطوط الافتراضية في علم الهندسة. أي لا يلزم لـ " أنا " أن يكون له وجود حقيقي بالعلم والتحقيق.»[٤]

إن المراد هو بيان أن أداة القياس "أنا" أداة صورية ومتوهمة، لكنها ضرورية لفتح الكنوز الإلهية، وفتح كنوز أسماء الله الحسنى.

يتم ذلك في تصوره بكون المطلق وهو الله تبارك وتعالى لا نهاية له ولا تحده حدود ، فلا يمكن أن يسند إليه شكل أو حكم لعدم إمكانية تعيين صورة له، فحقيقة ماهيته تظل مجهولة، إلى أن تتدخل "الأنانية"، أي ما تقوم به "أنا" فتتصور في ذاتها قدرة وعلما متوهمين وما إلى ذلك من الصفات، لترسم بذلك حدودا معينة، وأدوات استئناس، وهي الحدود التي تجدها الذات في نفسها أصلا.

وبعبارة أخرى إن النفس لا سبيل لديها لمعرفة حقيقة الذات الإلهية إلا بقدر ما تجده في ذاتها من صفات تدل عليه تبارك وتعالى، فـ"أنا" تستطيع أن تتوصل بعلمها الجزئي المحدود إلى لمس علم الله الكلي غير المحدود، يقول: إن « صفات الله سبحانه وتعالى كالعلم والقدرة وأسماءه الحسنى كالحكيم والرحيم

---

(٣) كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الكلمات: ص ٦٣٥.

(٤) نفسه: ص٦٣٦.

لأنها مطلقة لا حدود لها ومحيطة بكل شئ، لا شريك لها ولا ندّ، لا يمكن الإحاطة بها أو تقييدها بشيء، فلا تُعرف ماهيتها، ولا يُشعر بها؛ لذا لابد من وضع حدٍّ فرضي وخيالي لتلك الصفات والأسماء المطلقة، ليكون وسيلة لفهمها حيث لا حدود ولا نهاية حقيقية لها وهذا ما تفعله " الأنانية " أي ما يقوم به "أنا " ؛ إذ يتصور في نفسه ربوبيةً موهومة، ومالكيةً مفترضة وقدرة وعلماً، فيحدّ حدوداً معينة، ويضع بها حداً موهوماً لصفاتٍ محيطة وأسماء مطلقة فيقول مثلاً: من هنا إلى هناك لي، ومن بعده يعود إلى تلك الصفات. أي: يضع نوعاً من تقسيم الأمور، ويستعد بهذا إلى فهم ماهية تلك الصفات غير المحدودة شيئاً فشيئاً، وذلك بما لديه من موازين صغيرة ومقاييس بسيطة.(...)

وهكذا.. فقد اندرجت في " أنا " آلاف الأحوال والصفات والمشاعر المنطوية على آلاف الأسرار المغلقة التي تستطيع أن تدل وتبيّن ـ إلى حدٍ ما ـ الصفات الإلهية وشؤونها الحكيمة كلها.»(٥)

انطلاقا من هذا التصور الجميل تبرز المهمة الأساسية للإنسان، وهي معرفة الله، المتجسدة في وظيفة "العبودية"مباشرة.

والعبودية المقصودة أوسع من أن تنحصر في مجرد إظهار الخضوع أمام القدرة الصمدانية، وذاك لعمري هو محور ما قامت عليه الرسائل وهو تنبيه الإنسان إلى كل ما يعترك في داخله من انفعالات، وأحاسيس، وتطلعات ومشاعر، وآمال، وتفكرات، وأفعال تربطه بالواقع والكون، إنها العبادة في أسمى معانيها ومراتبها، ومن هنا يأتي الإلحاح على ضرورة الإحساس بكل ذلك، لأن هذا الإحساس هو الذي يعمر الأرض ويبني الحضارة بالصورة التي ترضي الله،

---

(٥) نفسه: ص٦٣٦.

وتحقق سعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة، وما أجمل تشخيص النورسي حين يعتبر أهم واجبات الإنسان هو معرفة تجليات أسماء الله الحسنى في الكون فردا فردا، واستيعابها استيعابا ذوقيا، أي مشاهدتها في كل جزء من جزئيات الكون، وإدراكها إدراكا روحيا، لتصير غاية الإنسان مرتكزة على:

أولا: على الشكر الكلي.

ثانيا: فتح الكنوز المخفية لأسماء الله الحسنى.

ثالثا: إعلان ما ركبته أسماء الله الحسنى في الإنسان من لطائف تجلياتها وبدائع صنعتها.

رابعا: إظهار العبودية أمام عظمة الخالق.

خامسا: التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية، التي وهبتها تجليات أسماء الله الحسنى للإنسان.

سادسا: شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علمٍ وبصيرة.

سابعا: معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل، وشؤون حكمته.

ثامنا: فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم وإدراك كلماته المعنوية -كل حسب لسانه الخاص - فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعه.

تاسعا: إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفس.

وبهذا يتحقق الانتساب الإنساني في سلك العبودية لله، ويتحقق الدخول في الخدمة بالمعنى الوظيفي، ولذلك كان النورسي حريصا على الإكثار من إيراد عبارة "الخدمة السلطانية"[(٦)]

---

(٦) انظر فريد الأنصاري، الإنسان ومفهوم الانتساب الإيماني عند الأستاذ النورسي، المؤتمر العالمي الخامس لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ص٢٢٧ ـ ٢٤٣: ص ٢٢٩.

فمهمة الإنسان هي تحقيق العبودية لله، على أساس تعدد مواطنها، وحدوثها في قاعة فسيحة للامتحان، يقول النورسي:«إن هذه المملكة التي نراها ما هي إلا ميدان اِمتحانٍ واختبار، وساحة تدريب ومناورة، وهي معرض صنائع السلطان البديعة، ومضيف مؤقت جداً.. ألا ترى أن قافلة تأتي يومياً وترحل أخرى وتغيب؟ فهذا هو شأن هذه المملكة العامرة، إنها تملأ وتخلى باستمرار، وسوف تفرغ نهائياً وتبدل بأخرى باقية دائمة، وينقل إليها الناس جميعاً فيثاب أو يُعاقب كلٌ حسب عمله.»[٧]

إن حديث النورسي عن الإنسان ووظيفته في الدنيا مرتبط كله بالعبادة، ومرتبط بالإلحاح على أن الإنسان لم يوجد سوى من أجل التوجه إلى الله بالعبادة، وهي كل ما يصدر عن هذا الإنسان شريطة الوعي بذلك.

ولذلك فالتنعم في القضايا المطروحة في مفتتح الكلمات في شكل حكايات، يقود إلى لمس منهج النورسي الحياتي، فالفعل لابد له من استحضار فعلي لحقيقة "باسم الله"، نظرا لما تحتويه من اعتراف عقدي يؤكد الانتماء، ويؤكد الاعتراف بأن كل شيء هو من الله وبالله، فالعطاء يكون باسم الله، والأخذ، والعمل، والمستهل والمنتهى كل ذلك يتم باسم الله، ويمكن أن نتصور ما تحققه "باسم الله" من أثر واقعي إذا استحكمت في كيان الإنسان. وبناء على ذلك فإن "باسم الله" تستوجب عاملا سابقا هو الإيمان الحقيقي، الذي يعطي لـ "باسم الله" معناها الفعلي، الذي يترجم بصورة معقولة إلى عبادة باعتبارها التجارة التي تنفع صاحبها في الآخرة، في مقابل العصيان، وهو خسارة ماحقة في الدنيا والآخرة. ومن أجل مثانة العبادة وتجديد "باسم الله" في القلب، تحضر

---

(٧) الكلمات: ص٤٩.

"الصلاة" باعتبارها عماد الدين ووسيلة لربط الاتصال بالله في اليوم خمس مرات أو أكثر، هذا إذا حصر النظر في الصلاة في المعنى الطقوسي، لكن الصلاة في معناها العام تتجاوز ذلك إلى أوسع وأرحب، وهو ربط نبض الروح والجوارح والقلب بالله، وما أعظم الصلاة عندما تلتحم باجتهاد الإنسان في ترك الكبائر وتجنب المعاصي، وعندما تلتحم بتنازل الإنسان عن نفسه وماله لله تعالى، لكن أثمن هذه المهام كلها، والتي تعتبر المهام السالفة مجرد مقدمات لها، هي مهمة الإيمان بالآخرة يقول النورسي: «الإيمان بالله وباليوم الآخر، أثمن مفتاحين يحلاّن لروح البشر طلسم الكون ولغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء.. وكيف أن توكّل الإنسان على خالقه صابراً، والرجاء من رزّاقه شاكراً، أنفع علاجين ناجعين»[٨]

المقدمات الآخرة الأساسية:

انطلاقا من العناصر التي افتتح بها النورسي رسائله ومنهجه تظهر المقدمات الأساسية لموضوع الآخرة، فالكلمات التسع الأولى تعد استهلالا ضروريا للكلمة العاشرة، التي خصصت لموضوع الآخرة، فبعد بيان أساسيات عبادة الله وبيان وظيفة الإنسان، بأسلوب قريب من الأذهان باستعمال أسلوب الحكي، جسدت الكلمة العاشرة، شخصية المربي العارف بخبايا النفس الإنسانية وطبيعتها، إذ من اليسير ملاحظة ارتكاز النورسي على اعتبار الناس أصنافا، فمنهم من يحتاج في موضوع الآخرة إلى الإقناع المتدرج، ومنهم من يحتاج إلى الأدلة العقلية التي تخاطب العقل قبل العاطفة، ومنهم من يحتاج إلى تليين المشاعر، قبل الوصول إلى عقله.

---

(٨) الكلمات: ص٢٦

وعموما فقد كان الأستاذ صاحب عين ثاقبة استطاعت الجمع بين جميع أصناف الناس، وجميع أصناف المدارك في صرح واحد، فوظف خطابا يتسم بالتعدد يجد فيه كل صنف من الناس مرادهم، فالنظر النفاذ الذي يصل إلى درجة الكشف، مكنه من أن يستشرف ما سيؤول إليه واقعه الصغير وهو وطنه تركيا، وواقعه الكبير وهو العالم الإسلامي، ثم واقعه الأكبر وهو الإنسانية في كل مكان، من تعلق بالدنيا وإهمال الآخرة، بل وإنكار حقيقتها في أحايين كثيرة، واعتبار الحشر والحساب واليوم الآخر وهما لا دليل على حدوثه.

ليست القضية عند النورسي قضية من ينكر الآخرة وحسب، بل هي قضية ما آل إليه أمرها عند المؤمنين وعدد جم من المسلمين إذ أصبحت مجرد شكل دون محتوى، وإيمانا لا روح فيه، ومن هنا يبرز التميز في منهج النورسي، لأنه سعى إلى بت الحياة في التدين وجعله حقيقة روحية كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم، يقول النورسي: «إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان وأجلّ وظيفة، هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة. فاحذر يا أخي من الأنانية والغرور وتجنب من كل ما يؤدي إليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان نكران الذات، ونبذ الغرور والأنانية، وهذا هو الألزم لهم، لأن أعظم خطر يتأتى في هذا العصر، إنما يتأتى من الأنانية والسمعة، فعلى كل فرد من أفراد أهل الحق والحقيقة أن ينظر إلى تقصيرات نفسه ويتهمها دائماً ويتحلى بالتواضع التام».[٩]
ومن هنا يبرز المحرك المحوري في منهج النورسي وهو أن كل وسائل الإقناع المشروعة مباحة، بعد طبعها بطابع شخصيته. ولذلك لم يستخدم الأسلوب المباشر كما هو الحال عند عدد من الفقهاء الذين عندما يتحدثون عن القيامة

---

(٩) الملاحق، ملحق أميرداغ: ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠

واليوم الحساب والحشر والجنة والنار لا يتعد حديثهم عنها جانب التقرير وذكر النصوص التي تشخص مظاهر الآخرة وتؤكد حقيقتها، لكن بسط النورسي لها مختلف تماما، فقد صبها في قالب يضمن إمالة القلوب، وصاغها بأسلوب يسهل فهمه وإدراك أبعاده مهما كان مستوى المتلقي، وكأن النورسي عندما يتحدث عن الآخرة يطرد فكرة أن المتلقين هم من المسلمين فحسب، بعبارة أخرى إن النورسي في بسطه لقضية الآخرة يعمل على جعل أدوات الإقناع، وأسلوب الخطاب موجها لعموم الناس المسلم وغير المسلم، والمؤمن وغير المؤمن. فخطاب الآخرة في الرسائل موجه إلى القلوب قبل العقول.

يستقي النورسي مقومات تسريب حقيقة الآخرة إلى القلوب من مشاهد قابلة للحدوث في الواقع، انطلاقا من نماذج بشرية تحفل بها المجتمعات الإنسانية، يتجلى ذلك في الاستحضار المستمر لنموذج المنكر لحقيقة الآخرة، ونموذج غير المنكر والمؤمن إيمان تقليد، والجاهل حكمة الآخرة وعلتها وضرورة وجودها.

وبناء على هذه الصورة فإن أول ما يقوم به هو تقديم الأدلة التي تؤكد بأن الدنيا وما خلق الله فيها من نعم، وما يقوم به الإنسان بصفته مستخلفا في الأرض من أعمال وأفعال، يستحيل عقلا أن تكون بغير جزاء في الدار الأخرى، والمتنعم في المنهج يجد نقل الدليل غير جاف، بل يجده منقولا في صورة مشاهد حية، وحقائق واضحة، تفرض نفسها على المتلقي، فترتقي بنفسيته، وتزكي روحه.

وانطلاق من هذا الاختيار المنهجي يقدم النورسي مجموعة من المشاهد التي تضمن لمس حقيقة الآخرة وتؤكد ضرورتها، الشيء الذي يترجم إلى فعل إيجابي يساهم في بناء الواقع وفي إعادة صياغته وفق إيقاع يحكمه الأمل.

إثبات الآخرة بانتفاء العبث عن خلق الكون

يؤكد النورسي في الكثير من المواضع استحالة عدم ارتباط الكون بثواب للمصلح، وعقاب للمفسد العاصي، ذلك لأن هذا العالم الفسيح المتعدد المظاهر، يدل على عظمة الخالق، وقدرته الواسعة، التي لا تحدها حدود، ويدل دلالة ملموسة على أنه من غير المعقول ألا يجازي الله من سكنه الإحساس بهذه العظمة وتلك القدرة، ثم تفكر فيها فأحسن الشكر على النعم، واعترف للخالق بصفاته المطلقة، من منطلق العبادة، ومن غير المعقول ألا يجازى من اعترف بقدرة الخالق ثم عبده على ذلك الأساس، يقول النورسي: « أمن الممكن لسلطنةٍ - ولاسيما كهذه السلطنة العظمى - أن لا يكون فيها ثوابٌ للمطيعين ولا عقاب للعاصين؟.. ولما كان العقاب والثواب في حكم المعدوم في هذه الدار..

فلابد إذن من محكمةٍ كبرى في دارٍ أخرى.»[١٠]

لقد خلق الله الكون وجهزه بنعم كثيرة ثم مكن الإنسان من أدوات التمتع بها، وجهزه بوسائل التفكر فيها، فالذي أدرك بأن لهذه النعم عبرة خلقت من أجلها، وشكر من أوجدها لخدمته وتلبية حاجته، وتمتع بها على هذا الأساس لا يستوي بمن تمتع بها دون أن يدرك لها غاية، ولا تساءل عمن أوجدها وأبدعها. فمن غير المعقول ألا يحصل المعترف المتعبد على أجره جزاء حسن استعماله لنعمة التفكر، وحسن توظيفه لأداته وهي العقل، ولما كان الغافل والمنكر، والمعطل لنعمة التفكر الملغي لأداة العقل لا يجد عقابا على سلوكه ذاك في الدنيا، فلأن القضية مؤجلة لما بعد الموت.

إن دقة تدبير شؤون الكون، ودقة التوازن في توزيع الوظائف والأرزاق

---

(١٠) الكلمات: ص ٥٠

مع المساواة والرعاية التامة، إضافة إلى نعم الله المبثوثة في كل مكان المؤدية لدورها بكل انتظام وجمال، تؤكد كلها أن نظاما من الدقة يتحكم فيها، وأن توازنا هندسيا صوريا متحكما فيه بقدرة مطلقة، يحرك الكون ويدبره، ليدل ذلك كله على الكرم المطلق «ومن المعلوم أن الكرم يستوجب إنعاماً، والرحمة لا تحصل دون إحسان، والعزة تقتضي الغيرة، والشرف السامي يستدعي تأديب المستخفين، بينما لا يتحقق في هذه المملكة جزء واحد من ألفٍ مما يليق بتلك الرحمة ولا بذلك الشرف. فيرحل الظالم في عزته وجبروته ويرحل المظلوم في ذله وخنوعه..»(١١)

إن الكرم الواسع والعناية الفائقة يفرض عزة المنعم وغيرته على شرفه، في حق من استخف بنعمه وأنكرها ولم يحسن توظيفها التوظيف الحسن ويجازي في الوقت نفسه من أحسن الاعتراف بنعم الله وكرمه.

دلالة دقة وظائف المخلوقات على الآخرة

ومن خلال موضوع دقة تدبير الكون يبرز بجلاء موضوع دقة وظائف المخلوقات، فإنجازها للمهام التي أوكلت إليها بحكمة فائقة، يفرض نظرة عادل لتلك الأعمال وقياسها بوساطة ميزان دقيق لا يخطأ، ومحض عدالة لا تزيغ عن موازين القياس، ولذلك فإن ما يليق بهذا العدل وبهذه الحكمة البالغة من جزاء مؤجل إلى محكمة الدار الآخرة، يقول: «انظر، كيف تُنجز الأعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع، وتأمل كيف يُنظر إلى المعاملات بمنظار عدالةٍ حقة وميزانٍ صائب. ومن المعلوم أن حكمة الحكومة وفطنتها هي اللطف بالذين يحتمون بحماها وتكريمهم. والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية، لتصان هيبة

(١١) نفسه: ص ٥٠

الحكومة وعظمة الدولة.. غير أنه لا يبدو هنا إلا جزءٌ ضئيلٌ من تنفيذ ما يليق بتلك الحكمةً،... فالقضية إذن مؤجلة بلا ريب إلى محكمة كبرى.»[١٢]

إن من أوضح مظاهر العظمة الإلهية أن العدد الواسع من المخلوقات الحية والجامدة لها وظائف تؤديها امتثالا لربها، ولما لم تكن قد تحملت مسؤولية الأمانة فإنها تؤدي مهمتها على أكمل وجه، ومهمتها هي إعانة من تحمل مسؤولية الأمانة على القيام بحق الأمانة، لقد سخر الله تبارك وتعالى هذه المخلوقات لكي تكون دليلا على الله، ونورا يضيء طريق السالك إليه، فمن أدرك حقيقة هذه الوظائف ودقتها سيجد في داخله هاتفا يؤكد له حقيقة الآخرة، خاصة وأن وظائف بعضها ـ إن لم نقل كلها ـ تنطق بهذه حقيقة، إذ هناك محطات كثيرة تشهد على تكرر مشهد الآخرة بصورة مصغرة مرات ومرات.

لقد جعل الله كل مخلوقات العالم الدنيوي وسيلة وأداة لتحقيق أمر العبودية لله تبارك وتعالى، والإنسان مطالب بأن يحسن توظيفها، ويتجلى حسن التوظيف في التفكر في قدرة الله من خلال تلك الأدوات والوسائل، من جهة كونها آيلة حتما إلى الزوال بعد أن تؤدي مهمة الدلالة على القدرة الإلهية، والدلالة على وجود عالم آخر يجازى فيه من أحسن التفكر، ويعاقب الجاحد على جحوده.

تشير دقة وظائف الكون إلى شوق المخلوقات للجمال المطلق، وسيرها نحوه، وهي بسعيها تعلم الإنسان كيفية الاشتياق إلى الجمال المطلق، وتخبره بأن النعم المعروضة بسخاء تفرض دار ضيافة أبدية خالدة، يخلد فيها المنعمون. بمعنى أن النعم المبسوطة في هذا العالم ليست سوى دلائل وإشارات صغيرة

---

(١٢) نفسه: ص ٥٠

جدا تدل على أن ما يوجد في دار الضيافة الخالدة أي الجنة أهم وأجمل، أو بعبارة أخرى إن الجمال جمال خفي يقتضي رؤية بوجهين:

« أحدهما: رؤيته بذاته جمالَه في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

ثانيهما: رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له. وهذا يعني أن الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهوراً، مع مشاهدةٍ دائمةٍ، وشهودٍ أبدي.. وهذا يتطلب حتماً خلودَ المشاهدين المشتاقين المقدّرين لذلك الجمال، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل. ولأن المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور زوال محبته عداءً، وإعجابه استخفافاً، وتوقيره إهانة، إذ الإنسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه.. ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة..»[١٣]

فالرؤية الأولى تتم من خلال المرايا المختلفة والمتنوعة التي تعكس جزءا من جماله، ومن هنا فإن الجمال الكلي سيكشف عن مناحي أخرى منه في عالم آخر غير هذا العالم، والمعترف بهذا الجمال، والقائم بحقه، لابد وأن يلق الجزاء على ذلك سعادة، وأما الجاحد فسيلقى عقابا وعذابا.

وأما الرؤية الثانية فتكون بنظر المشتاقين والمعجبين، والجمال الخالد لابد وأن يستدعي مشاهدة دائمة، لأنه لا يقبل إلا المشتاق الخالد ولا يقبل المشتاق الزائل، ولما كان هذا العالم مجرد محطة استراحة سفر سريع لا يتيح فرصة

(١٣) الكلمات: ص ٥١.

الارتواء الكلي من الجمال الدائم، فالرحلة ما تزال طويلة مستمر تتشوق للجمال الخالد.

ووقوف النورسي على هذه الحقيقة المعنوية يخفي معرفة عميقة بمغيرات الواقع والمجتمعات، وأولها محاكاة الإنسان للجمال الإلهي وسعيه المستمر إلى الوصول إلى صور مثالية له، وهو ما يصنع الفعل الحسن ويصنع الحضارة، والنورسي عندما يلح على فكرة الجمال والمشاهدة، ويعتبرها مجرد مشاهدة عابرة في الدنيا، تخفي مشاهدة حقيقية في العالم الآخر، إنما يلح على ضرورة الاجتهاد من أجل الوصول إلى الجمال الكامل، ومن هنا يبرز أحد أساليب النورسي في تأكيد حقيقة الآخرة وهو أسلوب يقوم على النظر إلى القضية من الجانب المشرقة،من باب التبشير وعدم التنفير كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الصفات التي تعكس الجمال، وينعكس فيها الجمال صفة "الرحمة"، فرحمة الله واسعة تستوعب دعوات وطلبات كل المخلوقات، فما يعرضه الله في هذه الدنيا من النعم، يدل على قدرته بأن يعرض ما هو أجمل وأعظم، والممتحنون في دار الامتحان ينتظرهم بعد الامتحان، الجمال والجنة أو العذاب والنار. فأفعال الإنسان وأعماله إنما هي من أجل ما أعد في الدار الآخرة، يقول:« فالأعمال والأفعال هنا إذن ما هي إلا لأجل ما أُعدّ هنالك من جزاء. فالملك القدير يكلف هنا ويجازي هناك، فلكل فردٍ لون من السعادة حسب استعداده وما أقدم عليه من خير»،[١٤] لكن التكاليف في حد ذاتها محاطة برعاية

(١٤) الكلمات: ص ٥٣. وما أجمل وصف النورسي لهذا المشهد، يقول«انظر إلى هذه القاطرات الضخمة، والى هذه الطائرات المشحونة، والى هذه المخازن الهائلة المملوءة، والى هذه المعارض الأنيقة الجذابة.. وتأمل في الإجراءات وسير الأمور.. إنها جميعاً تبين أن هناك سلطنة عظيمة

صفتين هما الجمال والرحمة، فمن أدرك حكمة التكاليف الإلهية، وأقبل عليها بقلب راض وجدها فيها جمالا يدل على الجمال الإلهي، ووجد فيها رحمته الواسعة، لأن القلب سيدرك أن التكليف رحمة تبدأ مقدماتها في الحياة الدنيا، وتكتمل معالمها في الدار الآخرة.

ومن باب الرحمة تقييد الله تبارك وتعالى لكل فرد ملكين يسجلان ما يقوم به من خير أو شر، مما يدل دليلا قاطعا على وجود دار أخرى، للمحاسبة والجزاء والنظر فيما سجله الملكان، يقول: «لقد أصدر السلطان أوامره لتسجيل الأمور كلها، أو تدوين المعاملات في مملكته. وهذا يعني أن السلطان المعظم هو الذي يملي الحوادث جميعها، ويأمر بتصويرها.. فهذا الاهتمام البالغ، وهذا الحفظ الدقيق للأمور، وراءه محاسبة بلا شك، إذ هل يمكن لحاكمٍ حفيظ - لا يهمل أدنى معاملة لأبسط رعاياه - أن لا يحفظ ولا يدوّن الأعمال العظيمة لكبار رعاياه، ولا يحاسبهم ولا يجازيهم على ما صنعوا مع أنهم يُقدمون على أعمال تمسّ الملك العزيز، وتتعرض لكبريائه، وتأباه رحمته الواسعة؟.. وحيث إنهم لا ينالون عقاباً هنا..»[١٥]

حقاً! تحكم من وراء ستار. فمثل هذه السلطنة تقتضي حتماً رعايا يليقون بها. بينما تشاهد انهم قد اجتمعوا في هذا المضيف - مضيف الدنيا - والمضيف يودع يومياً صنوفاً منهم ويستقبل صنوفاً. وهم قد حضروا في ميدان الامتحان والاختبار هذا، غير أن الميدان يبدل كل ساعة، وهم يلبثون قليلاً في هذا المعرض العظيم، يتفرجون على نماذج آلاء المليك الثمينة وعجائب صنعته البديعة، غير ان المعرض نفسه يحول كل دقيقة، فالراحل لا يرجع والقابل يرحل كذلك.. فهذه الأمور تبين بشكل قاطع أن وراء هذا المضيف الفاني، ووراء هذه الميادين المتبدلة، ووراء هذه المعارض المتحولة، قصور دائمة خالدة، ومساكن طيبة أبدية وجنائن مملوءة بحقائق هذه النماذج، وخزائن مشحونة بأصولها.

(١٥) نفسه: ص ٥٤.

أدلة الحشر الشهودية:

لقد وعد الله بأن يحشر الناس ليوم معلوم من أجل المحاسبة، وكل ما خلق يؤكد حقيقة الحشر ويدل على ضرورته، يقول النورسي على لسان السلطان الذي يرمز لله تبارك وتعالى: «تعال، لأتلو عليك هذه الأوامر الصادرة من السلطان. انظر، إنه يكرر وعده ووعيده قائلاً: لآتينّ بكم إلي مقر سلطنتي، ولأسعدنّ المطيعين منكم، ولأزجنّ العصاة في السجن، ولأدمرنّ ذلك المكان الموقت، ولأنشأن مملكة أخرى فيها قصور خالدة وسجون دائمة.. علماً أن ما قطعه على نفسه من وعد، هين عليه تنفيذه، وهو بالغ الأهمية لرعاياه. أما إخلاف الوعد فهو منافٍ كلياً لعزته وقدرته.»[١٦]فالحشر حقيقة لا مفر منها ومظاهر الطبيعة كلها تدل عليه بدءا من أنواع الزهور، التي تتفتح في فصل الربيع مبرزة جمالا عجيبا، كل نوع بحسب خصائصه، ومكوناته دون أدنى خطإ، فالذي خلق الزهرة وخلق فيها خصائص تميزها عن باقي مكونات جنسها، قادر على أن يعيد إحياءها في الربيع المقبل بعد موتها.

ففي هذا المشهد الذي يتكرر دائما دليل شاهد على أن بعث الإنسان بعد موته للحشر أمر أسهل بكثير من خلقه. ولقد أخبر الأنبياء والرسل كلهم بحتمية اليوم الآخر، مخبرين بأن مقر«هذه السلطنة العظيمة التي نرى آثارها وملامحها هنا، إنما هو في مملكة أخرى بعيدة. وأن العمارات في ميدان الامتحان هذا بنايات وقتية، وستُبدّل إلى قصور دائمة، فتبدل هذه الأرض بغيرها. لأن هذه السلطنة الجليلة الخالدة - التي تُعرف عظمتُها من آثارها - لا يمكن أن تقتصر هيمنتُها على مثل هذه الأمور الزائلة التي لا بقاء لها ولا دوام ولا كمال ولا قرار

(١٦) الكلمات: ص ٥٤.

ولا قيمة ولا ثبات. بل تستقر على ما يليق بها وبعظمتها من أمور تتّسم بالديمومة والكمال والعظمة.»[١٧]

إن اختلاف الفصول، وتبدل المخلوقات بتغير هذه الفصول من موت لعدد كبير منها وتغير لباس أديم الأرض باستمرار، يدل دلالة شهودية على أن الذي أفنى هذه المخلوقات، في فصل، ثم أعاد إحيائها في فصل آخر بصورة التي كانت عليها في الفصل السابق، وبالخصائص نفسها، لقادر على أن يبعث الناس من مرقدهم ليوم الحشر.

وما في هذه الدنيا من عناصر طبيعية وغير طبيعية في غاية الإتقان والإحسان، تدل بذلك كله على ما في العالم الآخر، فهي مجرد ظل باهت لحقيقة ما في العالم الآخر، فإذا كانت عظمة الخالق قد تجلت بما لا يقبل الشك من خلال هذه المظاهر أيعجز هذا الخالق على إيجاد عناصر أخرى أجمل وأدق، يقول: «لنشاهد ما أظهره السلطان من معجزات متنوعة في سائر الأماكن. فما رأيناه هنا في المعرض، أو في الميدان، أو في القصر، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان، إلا انه يختلف من حيث الشكل والتركيب. فيا صاحبي، أنعم النظر في هذا، لترى مدى ظهور اِنتظام الحكمة، ومبلغ وضوح إشارات العناية، ومقدار بروز إمارات العدالة، ودرجة ظهور ثمرات الرحمة الواسعة، في تلك القصور المتبدلة، وفي تلك الميادين الفانية، وفي تلك المعارض الزائلة. فَمَن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً أنه لن تكون - بل لا يمكن تصور - حكمة أكملَ من حكمة ذلك السلطان ولا عناية اجملَ من عنايته، ولا رحمة أشمل من رحمته، ولا عدالة أجلّ من عدالته.. ولكن لما كانت هذه

---

(١٧) نفسه: ص ٥٥.

المملكة - كما هو معلوم - قاصرةً عن إظهار حقائق هذه الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، ولو لم تكن هناك في مقر مملكته - كما توهمت - قصور دائمة، وأماكن مرموقة ثابتة، ومساكن طيبة خالدة، ومواطنون مقيمون، ورعايا سعداء تحقق تلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، يلزم عندئذٍ إنكار ما نبصره من حكمة، وأنظار ما نشاهده من عناية، وإنكار ما نراه من رحمة، وإنكار هذه الأمارات والإشارات للعدالة الظاهرة البينة.. إنكار كل ذلك بحماقة فاضحة كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسَها في رابعة النهار! ويلزم أيضاً القول بأن القائم بما نراه من إجراءات تتسم بالحكمة وأفعالٍ ذات غايات كريمة وحسنات ملؤها الرحمة إنما يلهو ويعبث ويغدر - حاشاه ثم حاشاه - وما هذا إلا قلب الحقائق إلى أضدادها، وهو المحال باتفاق جميع ذوي العقول.»[١٨]

والمشهد الأقوى هو مشهد المبعوث الإلهي، والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث إلى الناس جميعا لكي يخبرهم بضرورة التهيئ ليوم الرحيل يقول رحمه الله على لسان المبعوث: «تهيأوا! سترحلون إلى مملكة أخرى خالدة، ما أعظمها من مملكة رائعة! إن مملكتنا هذه تعدّ كالسجن بالنسبة لها. فإذا ما أصغيتم إلى هذا الأمر بإمعان، ونفّذتموه بإتقان ستكونون أهلا لرحمة سلطاننا وإحسانِه في مستقره الذي تتجهون إليه، وإلا فالزنزانات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم اكتراثكم به..

إنه يذكّر الحاضرين بهذا البلاغ، وأنت ترى على ذلك البلاغ العظيم ختمَ السلطان الذي لا يُقلّد. والجميع يدركون يقيناً - إلا أمثالك من العميان - إن

(١٨) الكلمات: ص ٥٧.

ذلك المبعوث المجلل بالأوسمة الرفيعة هو مبلِّغ أمين لأوامر السلطان، بمجرد النظر إلى تلك الأوسمة.»[١٩]

يدل هذا النص دلالة مباشرة على إيمان النورسي بأن مدار الرسالات والنبوات هو التبشير بما ينتظر المؤمنين من جزاء في الدار الآخرة، وإنذار الغافلين والعصاة والكافرين بعقاب جراء غفلتهم وعصيانهم وكفرهم، فمدار الدين في العمق هو الآخرة.

وبناء على هذه الملاحظة المحورية، يوظف النورسي سنة التدرج في نقل حقائق الحشر ومشاهده إلى الإنسانية بصفة عامة، ومتلقيه بصفة خاصة، فالصور والمشاهد المنقولة في بداية الكلمة العاشرة طبعت بطابع حكائي، لكي تكون قريبة من عموم الناس الشيء الذي يؤكد سيطرة المنحى الشعبي أثناء تشييد طوابق بناء متكامل ، وذلك بهدف التأثير في جم غفير من الناس.

وبجانب الطابع الحكائي نلاحظ إلحاح النورسي على الجانب العاطفي، وكأنه يريد بذلك تثبيت منهج الاستهلال بالعاطفي، قبل مخاطبة العقل.

العاطفي والعقلي في منهج بسط الآخرة عند النورسي

تثير الملاحظة السالفة السؤال الآتي، أيهما أسبق في الدعوة العاطفي أم العقلي؟ والجواب هو إذا كان الغرض هو إمالة من نريد إمالته فالأجدى الابتداء بمخاطبة عاطفته قبل مخاطبة عقله، لأن السبيل من القلب إلى العقل أقرب وأيسر، لكنها أبعد من العقل إلى القلب.

فأما النورسي فقد اختار المسار الأول، لكن دون أن يلغي أهمية الثاني، وذلك لأن الفئة المقصودة بالخطاب في المقام الأول هم عوام الناس والقضية

(١٩) نفسه: ص ٥٩.

ليست تقليلا من شأنهم ولكن لأن غالبية الناس مهما بلغ مستوى إدراكهم يضلون في حاجة إلى الخطاب العاطفي. لكن عندما نتنعم في أسلوب الحكائي الموظف في مشاهد الحشر والآخرة، ونتنعم الأحداث المتفاعلة في الحكاية، والشخوص على قلتها، سنجد النورسي يمزج في العمق بين العاطفي والعقلي في بوتقة واحدة، وعندما يخاطب العاطفة والقلب والنفس والجوارح، لا يهمل ملامسة العقل من خلال معادلة عامة هي الإقناع، فكلما ظهر له ضرورة مخاطبة العقل في غمرة دغدغة العواطف، يفعل ذلك إلى درجة يصعب معها التمييز بينهما. ويمكن لمس ذلك في مثل قوله: «إنه محال أن يكون كتاب بلا كاتب، ولا سيما كتاب كهذا الذي تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خُطّ بقلم دقيق، والذي تحت كل حرف من حروفه قصيدة دُبجت بقلم رفيع. وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة، لا بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الأرض صحيفة، وما اكثر ما فيها من كتب! والشجرة كلمة واحدة، وما اكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون إلا من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة. أي أن مجرد النظر إلى العالَم ومشاهدته يستلزم هذا الإيمان، إلا مَنْ أسكَرته الضلالة!.

ومثلما لا يمكن أن تكون دار بلا بنّاء، لاسيما هذه الدار التي زيّنت بأبدع زينة، ونقشت بأروع نقوش وأعجبها وشيّدت بصنعة خارقة، حتى أن كل حجر من أحجارها يتجسم فيه فن ما في البناء كله. فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بلا بنّاء ماهر، وبخاصة أنه يشيِّد في هذا الديوان - في كل ساعة - مساكنَ حقيقية في غاية الانتظام والتناسق، ويغيّرها بانتظام وسهولة كاملين —

كسهولة تبديل الملابس - بل انه ينشئ في كل ركن غرفاً صغيرة عدة في كل مشهد حقيقي. » [٢٠]

لنلاحظ في هذا الكلام الجميل محاولة النورسي الاستدلال على معادلة عقلية تقوم على أن الكون وما فيه يستلزم عقلا صانعا صنعه وموجدا أوجده، ولكنه في الوقت نفسه لم يتنازل عن استعمال ألفاظ وعبارات ذات ورنين عاطفي، اقتبست من الحقل الفني اقتباسا، واختيرت بالشكل الذي يسمح بوضعها في المكان المناسب لها. ومن ثم فإن معجما ألفظاه منتقاة من حقل الطبيعة، ومن الحقل العاطفي كالأشجار، والأثمار، والأزهار، والقصيدة، ودبجت، وزينت، وغيرها كلها مقومات منهج يخاطب العاطفة والوجدان، قبل العقل.

وعلى هذا الأساس يثبت النورسي قبل أن يسترسل في ذكر حقائق الحشر أن العقل والقلب معا يفرضان بأن يكون للكون خالق وصانع، يقول:« وكل ذرة من ذرات التراب - مثلاً - يمكن أن تكون سبباً لنشوء البذور ونمو أنواعها جميعاً. فلو لم تكن مأمورة ومسخّرة للزم أن تحتوي آلات وأجهزة معنوية عدد أنواع الأعشاب والأشجار، أو يجب منحها قدرة ومهارة بحيث تعلم جميع أشكال تراكيبها، فتصنعها، وتعرف جميع صورها، فتنسجها.. وقس على هذا سائر الموجودات، حتى تفهم أن للوحدانية دلائل واضحة باهرة في كل شئ.

نعم، إن خلق كل شئ من شئ واحد، وخلق شئ واحد من كل شئ، إنما هو عمل يخصّ خالق كل شئ. فتدبر وتأمل في قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ). واعلم أن عدم الاعتقاد بالإله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة

(٢٠) الكلمات: ص ٦١.

بعدد الموجودات!»[٢١]

على أساس هذا الاقتناع المنهجي يمضي النورسي في ذكر مجموعة من الحقائق ـ كما سماها ـ التي تدل على وجود الآخرة وعلى وجود حساب ثم جزاء أو عقاب، وذلك من خلال الإلحاح على تجليات أسماء الله الحسنى، في الكون بجميع مظاهره.

المنهج في دلالة أسماء الله الحسنى على وجود الآخرة

ـ حقيقة تجلي اسم "الرب":

إنه من غير المعقول أن يكون لسلطان واسع القدرة قدرة على خلق كون بديع دقيق التناسق لغايات سامية، ومقاصد جليلة ثم يترك ذلك من غير أن يكون عنده جزاء لمن وعى تلك المقاصد واستوعب تلك الغايات، وعقابا لمن كفر بها وتجبر عن الاعتراف بآلاء الله.

ـ حقيقة تجلي اسم الله "الكريم الرحيم"

وهو اسم واحد بالرغم من تشكله من اسمين، وقصد النورسي من ذلك هو الإشارة إلى أن كرم الله الواسع قد اتحد بالرحمة المطلقة، للدلالة على أن كرم الله الواسع هو من باب رحمته، ورحمته من باب كرمه، ومن هنا فدلائل الحشر الدنيوية، والنعم الكثيرة المنبتة في هذا الكون الفسيح هي من باب كرمه ورحمته، إذ لو شاء، لما فعل ذلك ولما خلق ما يدل على عالمه الآخر، حيث الخلود. يقول النورسي: « فلو أنعم الإنسان النظر في سير الحوادث ابتداءً من أضعف كائن حيّ وأشده عجزاً وانتهاءً بأقوى كائن، لوجد أن كل كائن يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، بل يَمنح سبحانه أضعفَهم وأشدّهم عجزاً ألطف

(٢١) الكلمات: ص ٦١ ـ ٦٢.

الأرزاق وأحسنها، ويسعف كل مريض بما يداويه.. وهكذا يجد كل ذي حاجة حاجته من حيث لا يحتسب.. فهذه الضيافة الفاخرة الكريمة، والإغداق المستمر، والكرم السامي، تدلّنا بداهة، أن يداً كريمة خالدة هي التي تعمل وتدير الأمور.»[٢٢]

ومن هنا تأتي الحقيقة الكبرى وهي الكرم العظيم لهذا الرب، ورحمته الواسعة، التي لا تنسجم إلا مع وجود عالم آخر يكتمل فيه الكرم الإلهي، وتزهر فيه رحمته، ويظهر في المقابل صفات أخرى تدل على ما يناقض الكرم وما يناقض الرحمة يقول:« وعليه فلابد من دار جزاء تناسب ذلك الجلال والعزة وتنسجم معها. لأنه غالباً ما يظل الظالمُ في عزته، والمظلومُ في ذلته وخنوعه، ثم يرحلان على حالهما بلا عقاب ولا ثواب.

فالأمر إذن ليس إهمالا قط، وإن أمهلت إلى محكمة كبرى، فالقضية لم تُهمل ولن تُهمل، بل قد تُعَجّل العقوبة في الدنيا. فإنزال العذاب في القرون الغابرة بأقوام عصت وتمردت يبين لنا إن الإنسان ليس متروكاً زمامه، يسرح وفق ما يملى عليه هواه، بل هو معرّض دائماً لصفعات ذي العزة والجلال.»[٢٣]

ـ حقيقة تجلي في اسم "الحكيم العادل"

كل الأدلة تؤكد أن الله يتصرف في سلطانه بحكمة مطلقة، ويمكن للإنسان أن يدرك ذلك في نفسه من خلال ما وهبه الله من أعضاء وجوارح، فكل عضو يؤدي وظيفته بمنهج دقيق وخطة مضبوطة لا تزيغ عن مجالها وإذا اختل التوازن انهار البناء كله، وهو ما يدل على أن إدارة الحكمة الإلهية للأمر وفق إرادة

---

(٢٢) نفسه: ص ٦٥.

(٢٣) الكلمات: ص ٦٧.

حكيمة وغاية عادلة: يقول: «نعم، إنه لواضح أن الذي يتصرف في هذا الكون إنما يتصرف فيه بحكمة مطلقة. أ فتطلب برهاناً على هذا؟.. فانظر إلى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شئ!.. ألا ترى أن أعضاء الإنسان جميعاً سواء العظام منها أو العروق وحتى خلاياه الجسمية وكل جزء منه ومكان، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى، بل إن في أعضاء جسمه من الفوائد والأسرار بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار، مما يدل على أن يد حكمة مطلقة تدير الأمور. فضلاً عن التناسق البديع في صنعة كل شئ والانتظام الكامل فيها اللذان يدلان على أن الأمور تؤدى بحكمة مطلقة.

نعم، إن تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة، وكتابة صحيفة أعمال شجرة ضخمة وتاريخ حياتها وفهرس أجهزتها، في نويّتها بقلم القَدَر المعنوي.. يرينا بوضوح أن قلم حكمةٍ مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر.. وكذا، وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسنها في خلقة كل شئ، يُظهر أن صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الإبداع وهذه النقوش.. »[٢٤]

إن عجلة الوجود مرتبطة بحقيقة اسمين حسنيين وهما "الحكيم" و"العادل" لكن كمال الاسمين، وكمال حقيقتهما المطلقة، ولمس الإنسان لذلك متصل في العمق بعالم الآخرة. فالعدالة المطلقة تلمس هناك في العالم الآخر، لتكتمل معالم الحكمة المطلقة.

ـ حقيقة تجلي اسم "الجود والجمال".

الجمال السرمدي والكمال الأبدي، لابد أن يطلب عالما آخر يخلد فيه المحتاج إلى الجود مع الاعتراف بذلك ، والمحتاج إلى الجمال مع الاعتراف.

---

(٢٤) الكلمات: ص ٦٨ ـ ٦٩.

فالنعم المختلفة المنتشرة في كل مكان من هذا الكون تدل كلها على سخاء الخالق، وتدل على جماله المطلق، فالموجودات «العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح - كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس - على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له، وتريك كذلك لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له. وان تجلي ذلك الحُسن الباهر المنزّه، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير إلى كنوز كثيرة خفية موجودة في الأسماء الحسنى، بل في كل اسم منها.»[٢٥]

فمراد النورسي من خلال هذه الإشارات هو تأكيد أن ما في هذا الكون هو مجرد بعض من كل أدخر ليوم آخر يؤجر فيه من أقبل شوقا على الجمال المطلق، وتفاعل طمعا في سخائه وكرمه المطلقين، فمظاهر الجمال المشاهدة في الكون مجرد إشارات تدل على جمال آخر.

ومن هنا يبرز مكون من مكونات منهج النورسي في هذا الباب وهو تشويق القلوب من أجل الوصول إلى هذا الجمال الأمر الذي ينعكس إيجابا على السلوك البشري، أي فعل الإنسان ما يقربه من الجمال.

ـ حقيقة تجلي اسم "المجيب الرحيم"

ويتجلى في الرحمة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا النبي الكريم الذي اصطفاه الله من بين جميع خلقه، لكي يكون خاتم الأنبياء والرسل، ثم جهزه بأدوات معنوية حولت جزيرة العرب في وقت وجيز إلى عبادة الله تبارك وتعالى، لينقل نور الهداية إلى الناس كافة.

الشاهد هو أن نبوة الرسول ﷺ دليل على أن رحمته واسعة، وأنه اختاره لكي

---

(٢٥) الكلمات: ص ٧١.

يرشد الناس إلى الله، وكأن رحمة الله بالعباد هي أن يرسل بشرا على درجة عالية من صفاء الطبع والخلق ونقاء النفس لكي يرشد الناس إلى الخير ويدلهم عليه، ومن الخير معرفة حقيقة الآخرة، يقول: « نعم، إن الذي يقود جميع بنى آدم على هذه الأرض متوجهاً إلى العرش الأعظم، رافعاً يديه، داعياً بدعاء شامل لحقيقة العبودية الأحمدية التي هي خلاصة عبودية البشرية.. تُرى ماذا يريد؟ ماذا يريد شرف الإنسانية، وفخر الكائنات، وفريد الأزمان والأكوان؟!. لننصت إليه.. إنه يسأل السعادة الأبدية لنفسه ولأمته، إنه يسأل الخلود في دار البقاء، إنه يسأل الجنة ونعيمها.. نعم، يسألها ويرجوها مع تلك الأسماء الإلهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات.. إنه يستشفع تلك الأسماء الحسنى كما ترى.

أ رأيت إن لم يكن شئ من أسباب موجبة لا تعد ولا تحصى للآخرة ولا شئ من دلائل وجودها، أليس دعاء واحد من هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم سبباً كافياً لإيجاد الجنة التي هي سهلة على قدرة خالقنا الرحيم، كسهولة إعادة الحياة إلى الأرض في أيام الربيع؟»(٢٦)

- حقيقة تجلى اسم الجليل الباقي.

الظواهر الكونية بمختلف تجلياتها والتحولات الكثيرة التي تجري على وجه الأرض تؤكد كلها أن خلف الحجاب ربوبية جليلة عظيمة، فهذه العظمة تقتضي رعايا يليقون بها، وتقتضي أن يكون اجتماعهم في الدنيا مؤقتا، والدليل على ذلك أن من يعيش عليها كمن يعيش بضع دقائق لكي يرى بدائع الصنعة الربانية استعدادا للرحيل، ووضع هذه الحالة يدل بجلاء على أن خلف المضف الفاني الزائل ضيافة دائمة.

---

(٢٦) الكلمات: ص٧٥.

لابد وأن يصدق العقل بأن وراء ذلك مدبرا وخالقا، وأن يصدق بأن « ما يبديه من الكرم في هذا الفندق هو لإثارة شهية ضيوفه إلى ما عنده من أشياء، ولتنبيه رغباتهم وتحريكها لما أعدّ لهم من هدايا.»[٢٧]وبناء على هذا الأسلوب في الإمالة العاطفية، الممزوجة بعناصر الإقناع العقلي، يخلص النورسي إلى جملة ضوابط منطقية على أساس أنها خلاصات لما تم تقريره من أدلة الإقناع الوجداني:

ـ الضابط الأول: وهو استحالة أن تكون الدنيا صانعة نفسها، وأن تتخذ لنفسها بنفسها هذه الهيأة، ومن هنا يتأكد بأنها مجرد محطة انتظار قبل الوصول إلى المحطة النهائية.

ـ الضابط الثاني: هو كون سكان الدنيا عابري سبيل، وفي حالة انتظار القطار الذي سينقلهم إلى الآخرة.

ـ الضابط الثالث: إن ما في هذه الدنيا من زينة ونعم هي للعبرة لا غير، وهي أسلوب من أساليب العبادة، والتفكر في الله تبارك وتعالى.

ـ الضابط الرابع: كون مظاهر الزينة المنبتة في هذا الكون هي مجرد علامات على ما أوجده الله في الآخرة، في جنته المعدة للمؤمنين.

ولإثبات ذلك يلجأ النورسي إلى الأدلة الشهودية من خلال اختيار مشهد مألوف عند أغلب الناس وهو مشهد الزهرة، الذي نصادف تفتحها لمرات عديدة في حياتنا ، ونصادف كذلك موتها، لكن الأمر يبقى مجرد مظهر طبيعي نتفاعل منه عاطفيا دون أن تذهب أفكارنا إلى ما أبعد من ذلك، ودون أن نلمس فيها دلالة ما على اليوم الآخر، لكن النورسي يعيد النظر في هذا المشهد ليجعل من

---

(٢٧) نفسه: ص ٧٨.

الظاهرة الكونية الطبيعية أداة من أدوات الدلالة على الله تبارك وتعالى، ووسيلة ومن وسائل منهج الاستدلال على الآخرة. يقول: «تأمل في هذه الزهرة - وهي كلمة من كلمات القدرة الإلهية - إنها تنظر إلينا مبتسمة لنا لفترة قصيرة، ثم تختفي وراء ستار الفناء. فهي كالكلمة التي نتفوه بها، التي تودع آلافاً من مثيلاتها في الآذان وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها، وتمضي بعد أن أدت وظيفتها، وهي إفادة المعنى. فالزهرة أيضا ترحل بعد أن تودع في ذاكرة كل من شاهدها صورتها الظاهرة، وبعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية، فكأن كل ذاكرة وكل بذرة، بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها، ومحل إدامة بقائها. »(٢٨)

فالنورسي من خلال هذا المشهد الطبيعي يسعى إلى أن يجعل من موضوع الموت والبعث والحشر والآخرة أمرا اعتياديا يمكن لمس سهولته بالنسبة لمدبر الكون من خلال مشهد اعتيادي يستحيل إنكاره، فمن ينكر أن الزهرة حين تتفتح تكون محتوية على الخصائص التي احتوتها زهرة السنة الماضية، ومن هنا فإن الإنسان أسهل على الله في بعثه وحشره من بعث وإحياء الزهرة.

ومن هنا تبرز ملاحظة مهمة جدا في موضوعنا وتتعلق باقتباس النورسي أمثلته من الطبيعة ومن المشاهد الحية الاعتيادية التي قد لا يعير الإنسان لها بالا قبل أن ينبه إلى حكمتها كما تصنع الرسائل، فيقول مع نفسه هذا المشهد أنا شاهدته مرات عديدة، لكني لم أنتبه قط إلى ما يحتويه من دلالات وحكمة قبل أن تنبهني الرسائل، وقد يتساءل المرء ما السر في ذلك؟

إن السر هو نظر النورسي للكون والأشياء والمظاهر الظاهرة والخفية من

(٢٨) الكلمات: ص٨٠.

خلال القرآن فكل ما في الكون الفسيح يجد تفسيره في القرآن وبالقرآن، ولا تقف المسألة عند هذا الحد بل تتجاوزه إلى أن يصير الكون مظهرا من مظاهر تفسير القرآن من خلال ما كان يطلق عليه رحمه الله "القرآن المنظور".

وبناء على هذه الملاحظة يبرز جانب من جوانب منهج النورسي في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وجانب من جوانب المنهج التربوي النوري، وهي الجوانب التي تبدو الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى الاعتناء بها وضبطها، فهي اليوم بجميع طاقتها من مفكرين ودعاة رجال تربية وغيرهم في حاجة أكيدة إلى إعادة النظر في مناهج التربية، في ظل ما انتهت إليه العولمة المتوحشة، من سعي إلى جعل الناس مجرد آلة للاستهلاك المادي والمعنوي، إرضاء لمصالح الطبقة الرأسمالية المتحكمة في دواليب السياسة والاقتصاد العالميين، وهي من أجل تحقيق ذلك لا تقيم أي اعتبار للقيم والأخلاق وترى فيها عائقا يمنع تقدمها، ويعرقل مصالحها، وبناء على هذه المعطيات الخطيرة صار من الضروري أن يعاد النظر في أساليب الإقناع وفي منهج الخطاب الموجه للناس وخاصة الشباب، فلقد تغير العالم لكن مناهج الدعوة إلى الله ما تغيرت، وأساليب الإصلاح ما تبدلت.

لقد اضطر سعيد الجديد إلى تبني منهج جديد لأنه أدرك أن المرحلة تفرض أسلوبا آخر في التعامل، بدافع ما كان المجتمع التركي يعيشه من تحول بفعل الفصل بين الدين والدولة وإعلان العلمانية، وبدافع ما كان يعرفه الواقع العالم بصفة عامة، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص من تمزق في القيم والأخلاق وتراجع الهمم، وتقاعسها عن إدراك ما يضمن كرامتها وصلاحها وسؤددها.

ومسألة مراجعة نخبة الأمة من مفكرين ودعاة لمناهج الدعوة والتربية تبدو

أكثر إلحاحا بالنظر إلى ما يعرفه العالم الإسلامي من هيمنة لقيم الغرب المادي عليه، وسعي هذه القيم إلى جعل الإسلام والمسلمين عدوا محوريا للحضارة المادية.

إن مشكلتنا في العالم الإسلامي هي أن الذين تحملوا مسؤولية هذا الأمر يدعون أنهم يطبقون منهج القرآن، ويدعون بأنهم يريدون سيادة روح القرآن في المجتمع، وأنهم يرغبون في صناعة أجيال تستوعب هذه الروح، لكن عندما ننظر في حقيقة الدعوى نجدها مجرد شعارات، ودعاية سياسية ليس غير.

لقد فصل النورسي في المنهج بين المعطى النظري والمعطى العملي، واعتبر أن المحور الأساسي في التكوين هو مسألة الإيمان والتزكية الروحية، وأكد عمليا أن بناء القلب وتقويته يؤدي حتما إلى صنع أجيال تستطيع مقاومة التيارات التي تريد اجتثاث جذوره وإلغاء هويته، وتمكنه في الوقت نفسه من فهم روح العصر والمساهمة في بناء حضارته انطلاقا من اقتناعه المركزي.

السبيل إلى تحويل حقيقة الموت والحشر إلى طاقة بناءة

وارتباطا بهذا الموضوع لا بد من أن نتساءل كيف للإنسان أن يعيش مع حقيقة الموت وحقيقة يوم الآخر، ثم يمارس حياته في البناء والتشييد بكل اطمئنان وحب وانشراح؟ وبعبارة أخرى كيف يمكن للإنسان أن يساهم في البناء الحضاري والإعمار وهو يعلم بأن الحياة الحقيقية هي في عالم آخر غير هذا العالم، يعد الموت أول باب يؤدي إليه، وهل للإنسان أن يخاف من هذه الحقيقة الإلهية؟ وكيف يوظف الإيمان بالآخرة في المجال التربوي؟ ليتحول الناس إلى طاقة للبناء من خلال ذلك؟

وبكلام مركز كيف تكون عقيدة الآخرة أساسا لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية وأساس سعادته؟

لقد أجاب النورسي عن هذه الأسئلة وغيرها إجابة شافية، تدل على عمق النظرة إلى الأشياء، ودقة إدراك الحقائق، ثم توظيف ذلك في عملية التزكية الروحية.

يقسم النورسي منهج تزكية النفوس بحسب فئات المجتمع، فيبدأ بالأطفال، ثم الشيوخ، فالشباب، ثم الأسرة.

ولا حاجة إلى التذكير بأن تخصيص النورسي لحيز خاص للأطفال ثم الشباب، يجد تعليله في كون الفئتين أكثر فئات المجتمع حاجة إلى العناية والاهتمام، نظرا لأنهما أكثر عرضة للانسلاخ عن إدراك حقيقة وجودهما وحقيقة هويتهما، وذاك ما تنبه إليه بنظرته الكلية للأشياء، فكان تعامله معهم مبنيا على الجمع في منهجه بين الرؤية الواقعية، والطبيعة النفسية لكل فئة على حدة، انطلاقا من الإنصات للقرآن الكريم، يقول عن الأطفال: «إن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية، لا يمكنهم أن يتحمّلوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعة أمامَهم من حالات الموت والوفاة إلاّ بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من "الإيمان بالجنة". ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: أن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، اصبح الآن طيراً من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش افضل واهنأ منّا. وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموتُ الذي يصيب أطفالا أمثاله - وكذلك الكبار - تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغَصها فتبكي عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فإما أن تموت

أحاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.»[٢٩]

يتلخص السبيل في ضرورة تقديم موضوع الآخرة بأسلوب يتناسب مع النفسيات المرهفة لهؤلاء الأطفال، عن طريق تقديم الجانب الجميل المشرق فيها وهو الجنة، وتلك صورة إيجابية تجعل الطفل ينتقل إلى عالم حالم، محفوف بالجمال حتى تصير فكرة الموت عنده متصلة اتصالا مباشرا بالجنة وما تتضمنه من جمال، وبعبارة أخرى إن النورسي يقدم للمربين أسلوبا في التربية يقوم على أساس مراعاة طبيعة الأطفال بما يتلاءم مع أرواحهم المرهفة، وذلك بنقل الجانب المشرق من القضايا ليتمكنوا من الاقتراب من حقيقة ما يراد نقله إليهم. وقصده من رسم هذا المسلك التربوي إنارة الطريق ووضع الأسس، التي يتوجب على المربين الاجتهاد في تفكيك عناصرها المنهجية وتوضيح وسائلها العملية، والتي يمكن تحديدها في العناصر الآتية:

ـ جعل الطفل يعيش على أمل وجود مكان ليس لجماله مثيل في الكون الظاهر، يحتوي كل ما يمكن لعقل بسيط كعقل الطفل تصوره، وكل ما يمكن لمخيلة طفولية أن تتخيله.

ـ لا يجب اعتبار الحديث عن الموت والآخرة بالنسبة للأطفال قضية محرمة يمنع الحديث عنها بالنسبة لهم، شريط النظر إلى الموضوع من الجانب الإيجابي المشرق.

وأما بخصوص فئة الشباب الذين يشكل أسلوب التعامل معهم معضلة كبرى خاصة في زمن تجبر فيه سلطان المادة ونشط فيه دعاة الحرية المطلقة والإباحية، وأحد سبل إنقاذ هذه الفئة هو ترسيخ الإيمان بالآخرة في القلب

---

(٢٩) الكلمات: ص١٠٤ ـ ١٠٥.

والوجدان، وترسيخ كون الآخرة مكانا يجازى فيه الإنسان على ما غرس في الدنيا. وإذا كان الشباب معروفا في هذا العصر باستهتاره بكل ما يحطه به وبكونه غير عابئ بدوره في المجتمع، فإن تحسيسه بقيمته في المجتمع ودوره الحقيقي في الحياة أمر ملح، وذلك بتزويده بهمة عالية تدفعه دفعا إلى التعامل مع المحيط تعاملا إيجابيا، والإيمان بالآخرة سبيل من السبل التي تعين على ذلك، وتعين على إشعال فتيل العمل النافع في الحياة من أجل الفوز بالجائزة الكبرى التي وعد الله بها عباده الصالحين في الآخرة، يقول النورسي:« إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدّئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمّن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث "الحُكُم للغالب" ولحوّلوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة.»[٣٠]

إن مرتكز المنهج النوري في هذا المقام هو العمل على إعادة صياغة قلوب الشباب بترسيخ مقومات الآخرة في قلوبهم، وذلك بجعل الخوف من نار جهنم عنصرا حاضرا أمامهم في كل لحظة، فلا سبيل إلى الحيلولة دون سقوط الشباب فيما يميت القلب والروح، ويثير الغرائز الحيوانية، غير الخشية من الله ومن عقابه في نار جهنم.

أن المفتاح القرآني لقضية الآخرة وما يتصل بها مرتبط بمبدإ الاستخلاف في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر

---

(٣٠) الكلمات: ص ١٠٥.

كيف تعملون﴾ فقد شاءت إرادة الله أن يكون الإنسان مستخلفا في الأرض من باب الامتحان، ممتحنا بما يصدر منه، ومبتلى بهذا الملك ومحاسبا على بقائه القصير فيه.

فهذا الإحساس يجعل المؤمن متيقظا دائما، يرقب اليوم الموعود ويعمل له بكل جد واجتهاد الشيء الذي ينعكس إيجابا على الذات وعلى المجتمع بصفة عامة، فالإيمان بالآخرة صمام أمان للمجتمع، وأداة معنوية لبنائه، ووسيلة روحية لربط البناء الحضاري بأصول سامية، وليس بأصول دنيئة ساقطة، تجعل الإنسان مرهون مادية تافهة تطلق العنان للغرائز دون رادع، ولا تضع حدودا فاصلة بين الاتزان والسقوط.

إن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالإيمان باليوم الآخر، وبالحساب والجزاء، الذي يرتبط في أذهان العديد من الناس بالجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، أعدها الله تعالى للمؤمنين من عباده

ومن خلال الإيمان بالآخرة يبرز جانب يتميز فيه التصور الإسلامي عن غيره من المعتقدات كالاعتقاد اليهودي والاعتقاد المسيحي، «ففي الوقت الذي نجد هذه الكثافة في الاهتمام بأمور الآخرة من قبل القرآن، فإنّا لا نجد في العهد القديم ذكرا لليوم الآخر، إلا في بضع آيات أولها البعض على أنها تعني الرجوع في الدنيا، أما العهد الجديد (الإنجيل) فإن ذكر الآخرة وما يتعلق بها قليل جدا بالنسبة للقرآن»[٣١]

---

(٣١) عباس رشيد، قصة الموت وما بعده، دار الهادي للطباعة والنشر، : ص١٧١. ط١/١٤٢٦ـ ٢٠٠٥

فاليهود قلما يشيرون إلى الحياة الأخرى بعد الموت، كما لم يرد في دينهم شيء عن الخلود، والثواب والعقاب مقصورين على الحياة الدنيا،[٣٢] والعهد القديم لا يأتي على ذكر اليوم الأخير إلا بما يحتمل التأويل.

قد تبدو قضية البعث بعد موت طويل، وحشر البشر أمرا يستحيل على عقل أن يحكم باستحالة وقوعه، ذلك لأن العقل لا يملك مقومات إصدار هذه الأحكام وذلك من زاوية اجتماع النقيضين وارتفاعهما في محل واحد، ومن هنا فإن حدوث الحياة بعد الموت ممكن الحدوث وليس هناك من مانع يمنعه، خاصة وأن الإنسان الحي قد وجد من قبل من لا شيء، والذي كانت له القدرة على خلق الأحياء ومنها الإنسان، فإعادة إحيائه بعد موته ليس بشيء.

إن اليقين بالآخر وبمقدماتها، شعور داخلي وحالة وجدانية يصدر عنها سلوك تنسجم به المشاعر الباطنة والأفعال الظاهرة، موصلة الإنسان بربه في كل وقت وحين. والإيمان بالآخرة هو ضامن يقظة القلب البشري «وتطلعه إلى ما عند الله واستعلائه عن أوهاق الأرض، وترفعه عن متاع الدنيا، ومراقبة الله في السر والعلن وفي الدقيق والجليل، للوصول إلى درجة الإحسان»[٣٣].

نخلص إلى أن لعقيدة الآخرة علاقة مباشرة بالبناء الحضاري، ولقد استعمل خصوم الإسلام والمشككين في قدرة الدين على البناء، قضية الآخرة لتبرير انحطاط المسلمين، فقالوا: إن الإيمان بالقضاء والقدر والإعلاء من شأن الآخرة، وإهمال الحياة الدنيا وتحقيرها، قد صرف فكر المسلمين عن التوجه إلى الأخذ بأسباب الحياة والرقي. بل لقد ذهب بعض الغرب إلى أبعد من ذلك فقالوا: إن

(٣٢) نفسه: ص ٨٧.

(٣٣) أحمد فايز، اليوم الآخر في ظلال القرآن: ص٢٠.

الاعتقاد بالآخرة متى سرى في أمة من الأمم إلا وفقدت الهمة والقوة والشجاعة وكل الفضائل الأخرى، ومن تم فهم يضنون أن كل صفات المسلمين السيئة آتية مـن الاعتقـاد بالقـضاء والقـدر ومـن الإيمـان المطلـق بـالآخرة، ويـدعون بـأن المسلمين إذا بقوا على هذه الحال فسيكون مصيرهم إلى الزوال.(٣٤)

قد تبدو الآخرة في نظر البعض أبسط من أن نقف عندها طويلا، فيقول قائل أنا أومن بالآخرة، فلماذا الوقوف الطويل عندها؟ ونجيب بسؤال، هل استوعبنا حقا حكمة الآخرة من جهة كوننا مسلمين؟ وهل هذه العقيدة حاضرة فعلا في جميع مظاهر حياتنا؟

فخلق الدنيا كما سبق وأشرنا وربطها بجملة وقائع وأحداث، وجعلها عالما للجزاء والعقاب ليس عبثا من غير هدف، لقد خلق الله الإنسان لغاية ومصلحة، فلو كان الإنسان «إنسان هذه الدنيا فحسب، ينتهي بنهايتها لكانت حياته تافهة لا معنى لها، رغم أن الله سبحانه سخر له كل شيء ولم يسخر لشيء أبدا، ووهبه جميع أسباب الكمال من العقل والإرادة والقدرة. ولكانت الحكمة ناقصة وغير كاملة فيما يتصل بخلقه ووجوده، ما لم يتدارك هذا النقص في الحكمة من وجوده في هذه الدنيا في عالم آخر وراء هذه الحياة، ليستوفي كل إنسان جزاء علمه، خيرا أم شرا» (٣٥)

ولنحاول أن نتصور مجرد التصور أن العالم ليس سوى مسرحية من المآسي والحروب والملذات والظلم والطغيان وإطلاق العنان لتلبية كل ما تهفو إليه النفس البشرية من غرائز حيوانية لا ضابط لها.

---

(٣٤) الشيخ عباس رشيد، قضية والموت وما بعده، ص: ١٦٩ ـ ١٧٠

(٣٥) عبد ا نعمة، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، ص: ٣٢١.

إن حياة هذا طبعها وعالما هذا ديدنه لا يمكن أن يكون إلا تافها ومن غير معنى وناقصا، فمن المستحيل تصور عالم وكون ومخلوقات خلقت بهذه الدقة، وهذا الاتساع من أجل أهداف تافهة، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٦]

صدق الله العظيم وبالله التوفيق

---

(٣٦) المومنون/ ١١٥.

خطاب الشباب للتفكر

في يوم الحساب

أ. محمد إسماعيل الزين
مكة المكرمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وفتح على من شاء من عباده بما شاء، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق والأمم حبيبنا محمد من أمر بالمعروف ونهى عن الفحشاء، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه واستن بسنته من عباد الله الفضلاء الكرماء.

أما بعد؛ فقد منّ الله تعالى بفتح عظيم على الإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسي في فهم القرآن الكريم والتأمل في آيات الله الكونية بما بهر البشرية، وكانت رسائل النور نتاجا علميا ضخما ومعينا ثرا وينبوعا من ينابيع الإيمان والحكمة؛ فهدى الله بسببه بشرا كثيرا، وما ذاك إلا ببركة إخلاصه في خدمة القرآن الكريم.

ومن الشرف أن يكون المرء من طلاب وخدمة القرآن الكريم وأهله، ومحاولة مني في فهم كنوز رسائل النور ومساهمة في خدمة العلم الشريف أقدم هذه التأملات في جزء من كليات رسائل النور، وهي الكلمة المنشورة ضمن كتيب مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب، وهي الموضوع الثاني ضمن الكتيب بعنوان (**كيف ننقذ آخرتنا**)، وشرح الله الكريم صدري إلى تسمية هذه التأملات بـ (**خطاب الشباب للتفكر في يوم الحساب**) وحاولت من خلال هذه التأملات أن أتلمّس الأسلوب الأنجع لمخاطبة الشباب في زمن طغت فيه الأهواء والملهيات على البشرية عموما إلا من رحم ربي من عباد الله الصالحين. وأقدم هذه الوريقات ضمن (ورشة العمل أو الحلقة الدراسيه حول علاقة الدنيا بالآخرة في رسائل النور) والتي يقيمها طلاب النور في ٥-٦ من شهر أغسطس ٢٠٠٦م في مدينة اسطنبول – تركيا.

فأقول وبالله التوفيق:

١ - عنوان هذه الكلمة (كيف ننقذ آخرتنا) وهذا العنوان يوحي بأن الأصل في آخرة المرء هي أنها على خطر، والمسلم مطالب بإنقاذ نفسه من ذلك الخطر والشقاوة الأبدية إلى حياة السعادة الأبدية؛ وفي استحضار هذا المعنى دائما واستخدامه تأس بالآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾. وفي هذه الإضافة المجازية إلى المرء ذاته إشارة إلى النص الكريم "كل نفس بما كسبت رهينة" وقوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ وهذا الأسلوب القرآني يخاطب النفس البشرية وبالخصوص العقل المركب فيها إذ هو مناط التكليف، وفي ذلك ربط بين الأمور الثلاثة: النفس والعقل والتكليف، والتكليف متوجه إلى مجموع النفس والعقل فإن وجدت النفس لوحدها فلا تكليف لأن الفطرة

الإلهية جبلت تلك النفس على عبادة الله وحده على الدوام؛ وخطاب النفس التكليفي في القرآن المقصود به مجموع النفس والعقل، وإن ذكر القرآن الكريم لفظ الإنسان كان ذلك شاملا لهما.

والحاصل أن توجيه الخطاب إلى العقل البشري بإنقاذ آخرته يحرك التفكير في هول ذلك اليوم العظيم، وهذا الخطاب ناجع مع الفئة المؤمنة أصلا باليوم الآخر وجودا وأحداثا، وقد نص الإمام بنفسه على صلاحية مثل هذا الخطاب مع مثل هذه الفئة في قوله: (حوار مع عدد من الشباب الذين تتجاذبهم الإغراءات والأهواء ولكنهم لم يفقدوا بعد صوابهم).

أما غير المؤمن فإنه محتاج بداية إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له كأصل لجميع ما بعده من الإيمانيات من أمور الغيب أو الشهادة، ثم بعد ذلك يمكن إرشاده وتوجيهه إلى إصلاح آخرته، وعبثا يحاول المرء أن يجعل الملحد المنكر لله تعالى أن يؤمن باليوم الآخر وغيره من الإيمانيات؛ لأن إنكار الأصل يستلزم إنكار جميع التتمات والتوابع.

٢- وفائدة أخرى من عنوان هذه الكلمة وهي أن الأستاذ استخدم أسلوب الإثارة في المعلومة بطريقة السؤال، وفائدة هذا الأسلوب أن يجعل القارئ أو المستمع متشوقا لمعرفة الجواب، على حد قوله سبحانه وتعالى: ﴿عم يتساءلون (١) عن النبأ العظيم﴾ وقوله: ﴿قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا﴾ وقوله: ﴿القارعة (١) ما القارعة(٢) وما أدراك مالقارعة﴾ وقوله: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ ونحو ذلك.

٣- يصرح الإمام النورسي بأن القبر بوابة الى رياض جميلة وعالم رحب فسيح أفضل وأجمل من هذه الدنيا؛ وذلك لأن النفس مشغوفة مجبولة على التمتع بالجمال الدنيوي كل حسب نظره وفطرته وميوله، وفي نفس الوقت ينظر

هذا الإنسان إلى أن القبر يمثل له هدما وانقطاعا لكل تلك اللذائذ والجماليات، ولكن بالتأكيد على أن القبر (رياض جميلة وعالم رحب فسيح أفضل وأجمل من هذه الدنيا) بجعل معركة الموازنة دائما حاضرة عند إقدام المرء على المعصية خصوصا، أو عند تكاسله عما يجمل هذا القبر من العمل الصالح روضة وجنة. وفي ذلك استخدام رائع لأسلوب ترهيب مغلف بترغيب.

كما نلاحظ ان النورسي بدأ بوصف كون القبر جنة قبل وصفه بأنه موطن عذاب ونكال، وذلك استجلابا للنفوس وترغيبا لها بتزيين هذا القبر وتهيئتة بالأعمال الصالحة فضلا من الله الكريم المنان. ويعطي ذلك إشارة إلى أن النفس تميل عادة الى عمل ماترغب فيه ويجعل لها فيه الحوافز والجوائز.

٤- مسألة الأجل والموت:

المقصود بالأجل كما هو عند الأستاذ هو الساعة التي ينتهي فيها عمر الكائن الحيّ، وهو أمر مستور عنا بستار الغيب رحمة ورأفة من المولى الكريم بخلقه، ولو رفع الله تعالى هذا الستار لرأى كل مخلوق أجله أمام عينيه.

وأما الموت فهو ذلك السلاح الذي يأتي متزامنا مع الأجل، وهو النتيجة الحتمية بعد انتهاء الأجل، ولم يعبر الأستاذ عن الموت بأنه أمر غيبي؛ وهذا أمر صحيح لأن الإنسان يشاهد الموت دائما أمام عينيه كأمر حتمي ونتيجة طبيعية معروفة عند انتهاء الأجل، ولكنه لا يستطيع الجزم بأجل أي مخلوق كان ولو كان في حالة الغرغرة لأن ذلك أمر غيبي عنا، فقد يكتب الله تعالى لهذا المخلوق حياة طويلة بعد أن يأس الناس أو هو نفسه من حياته، وما نحن من حكاية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ببعيد، إذ كان يظن نفسه مقدما على الموت وبدأ يوصي من تركته ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس". ولم يكن له من

الورثة حينها سوى بنت واحدة، والبنت الواحدة لا تسمى ورثة وإنما وارثة، ثم عاش رضي الله تعالى عنه بعد ذلك سنوات وكانت له ورثة.

فالأجل إذن من باب الغيب والموت من باب الشهادة، وقد يعبر عن أحدهما بالآخر.

وهنا فائدة وهي: أن الدعوة إلى الإصلاح وإنقاذ المرء نفسه وآخرته تكون بالتخويف من الأجل لا من الموت، إذ النفس تنزعج من الأجل أكثر من انزعاجها من الموت لما سبق من أن الأجل غيب والموت شهادة من حيث أن الموت نتيجة حتمية لانتهاء الأجل فلا انزعاج فيه من حيث هو وإنما الانزعاج يحصل مما بعده من الأهوال والعقبات، ويصح القول كذلك إذا قلنا بإضافة الموت إلى الملك الكريم الموكل بذلك فإن الإنسان مؤمنا كان أم كافرا يشاهد ملك الموت الذي سيقبض روحه وهو قادم عليه ومعه أعوانه كما في الحديث الشريف ولكنه لا يعلم ساعة القبض.

فالتخويف بالأجل يكون من حيث هو، وأما التخويف بالموت فمن حيث ما بعده من الأهوال؛ فمن مات فقد قامت قيامته.

وسياق الآيات الكريمة عن الموت في القرآن يختلف عن سياق الأجل، وهذا بحث يحتاج إلى إفراد وشرح ليس هنا محله.

وأما الآثار الكريمة التي ذكرت الموت مثل: "أكثروا من ذكر هاذم اللذات" و"كفى بالموت واعظا" وغير ذلك فمحمولة على ما بعد الموت لأنه بوابة الدخول إلى القبر والقبر بوابة الآخرة، فالتخويف من الآخرة، وأما التخويف بالأجل فلأنه يقطع كل عمل وأمل ولا يبقى بعد ذلك إلا الحساب على النقير والقطمير، والله تعالى أعلم ورد العلم إليه أسلم.

٥- يعبر الأستاذ عن موضوع إنقاذ الآخرة بالقضية الكبرى، ولا ريب أن هذه المسألة هي "القضية الكبرى لدى الإنسان بل هي أعظم وأجل من الدنيا كلها" والمقصود بالإنسان عنده ـ كما عبر ـ هو ذلك المخلوق الضعيف المستشعر ضعفه عندما "يرى هذه القضية المذهلة أمام عينيه في كل وقت".

فالإنسان الضعيف هو من يستحضر حقيقة الأجل والموت كما يعبر الأستاذ، والضعف هنا هو سبب النجاة والخلاص وهو في نفس الوقت الفطرة الإنسانية السوية، ويقابلها النفس المتكبرة الأمارة بالسوء.

إذن فمن وسائل الدعوة والهداية إلى الإيمان بالآخرة بله إنقاذ تلك الآخرة التركيز على ضعف النفس البشرية أي أمام الخالق سبحانه وتعالى الذي سلط سلاحي الأجل والموت على جميع الكائنات الحية. وقد روي عن بعض الصالحين أنه قال: "من عرف نفسه عرف ربه" أي من عرف ضعف نفسه وافتقارها عرف عظمة ربه وصمدانيته سبحانه وتعالى.

٦- ويجعل الأستاذ بديع الزمان إرسال الأنبياء والمرسلين ومن جاء بعدهم من ورثتهم من العلماء والصالحين الذين ينبئون عن هذه الحقيقة بالطرق الثلاثة التي ذكرها ... يجعلهم شهود رحمة للمؤمن لإنقاذ آخرته وذلك بثلاثة طرق: بالكشف والذوق والشهود.

٧- لقد خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا وجعلها مليئة بالشهوات والإغراءات والملهيات والمتع واللذائذ يعيش فيها المؤمن وغير المؤمن وكلهم يوقنون بنهاية لهذه الشهوات والمتع واللذائذ، ويطلق على ذلك بديع الزمان لقب سلطنة الدنيا.

ويقارن الأستاذ بين سلطنة الدنيا الفانية وسلطنة الآخرة الباقية موجها هذا التساؤل الداخلي إلى المسلم البائس الذي ينتظر دوره في اضطراب وقلق بسبب

مصيره المحتوم بدخوله إلى القبر. ومن هنا نستلهم أن الأستاذ يجعل القبر أول وأعظم نذير للآخرة لأنه أمر مشاهد معلوم ظاهرا وما في باطنه غيب عنا، فاجتمع في القبر الغيب والشهادة، ومجرد التفكير في هذا الموقف يخيم على قلب المؤمن البائس الخوف والقلق وتزول من عينيه سلطنة الدنيا مع ما فيها من المتع واللذائذ.

ومفهوم المخالفة لهذا أن المسلم غير البائس لا يرى هذه النظرة المظلمة في القبر، وإنما يراها بوابة النعيم الدائم واستمرارا لمتع ولذائذ لا تنقطع.

ثم يلفت الأستاذ النظر إلى أن ما يجري على ابن آدم من أحوال الدنيا المتكررة كالشيخوخة والمرض وسائر أنواع البلاء يمكن استغلالها في لفت نظر الغافل من مأزق القلق والخوف والبؤس حيث أنها نذير بقرب المصير المحتوم، ولا يغني من ذلك ما وجد في الدنيا من المباهج واللذائذ، والعلاج من ذلك الخوف والقلق والبؤس كله هو في الإيمان والعبادة.

والسبب في هذا العذاب هو الغفلة، وهذا عقاب حتمي لمن كان من أهل الغفلة، وصدق الله العظيم ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال جل شأنه: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾.

بيد أن الأستاذ يجعل الغفلة تحول بين أهل الضلالة ومرارة استشعار ذلك العذاب الأليم، وفي ذلك إشارة إلى ما يرى ظاهرا من سعادة وفرح أهل الضلالة بما هم فيه، ولله في ذلك حكمة متمثلة في قوله تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾ وقوله: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾.

ومن هنا نستخلص درسا مهما وهو أننا إذا أردنا دعوة أهل الضلالة إلى الصراط المستقيم فإن السبيل الأنجع لذلك ليس في منعهم من التمتع بلذائذ الدنيا المباحة؛ فإن ذلك مخالف للفطرة الإنسانية ومصادمة للجبلة البشرية،

وإنما العلاج النافع في مثل ذلك هو إرشادهم إلى استحضار نعمة الإيمان والعبادة والطاعة وعدم الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، فإن تشبع قلبه بالإيمان ترقت نفسه إلى النفس اللوامة وحصلت له تربية ذاتية دائمة من خلال مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

ومن المناسب ذكر حكاية رويت في ترجمة الولي العالم المرسي أبو العباس المصري الدفون بالاسكندرية، وهي أنه دخل ذات يوم على شيخه الإمام أبي الحسن الشاذلي وقد نوى أبو العباس أن لا يأكل ولا يلبس إلا الخشن من المأكل واللباس، فلما دخل على شيخه قال له: يا أبا العباس علق قلبك بالله تعالى ثم كن كيفما شئت.

٨- ومن علاج الفغلة عند الأستاذ وجوب التأدب مع نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وامتثال أوامره؛ لأن المسلم لم يعرف ربه ولا باقي الرسل الكرام ولا الكمالات الإنسانية إلا عن طريقه عليه الصلاة والسلام؛ فترك الأدب معه وعدم الامتثال لأوامره من لازمه عدم الاعتراف بالرسل الكرام جميعا، ويورث ذلك ذهاب أسس الكمالات الإنسانية في روح الإنسان ويجرّ إلى الجحود بالله سبحانه وتعالى، وهذا عين الغفلة وأسها.

يقول الأستاذ: "ذلك لأن أصول الدين وأسس التربية التي جاء بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي من الرسوخ والكمال ما لا يمكن أن يحرز نورا ولا كمالا قط من يدعها ويتركها، بل يحكم عليه بالتردي والسقوط المطلق؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد الأنبياء والمرسلين وإمام البشرية بأكملها في الحقائق كلها، بل هو مدار فخرها واعتزازها كما أثبت ذلك إثباتا رائعا على مدى أربعة عشر قرنا"

٩- وبما أن الدنيا فيها ما فيها من اللذائذ والشهوات، وابن آدم بما ركب الله تعالى فيه من حب الشهوات واتباع الغرائز قد يضعف أمام كل هذه الجيوش الهدامة؛ فيفتتن بها عن إنقاذ آخرته، ويغفل عن ربه تعالى، فمن علاج الغفلة عند الأستاذ عدم الافتتان بزهرة الحياة الدنيا، افتتانا يخرج تلك المتع عن حقيقتها الدنيوية من كونها وسيلة ومتاعا فانيا إلى كونها غاية وهدفا بتعلق القلب بها، والذي من لازمه أن يبذل المرء قصارى جهده لضمان الحياة والمستقبل ما دامت تلك المتع موجودة محافظة على ما تطلبه النفس البشرية من اللذائذ والمتع المخلوقة فيها.

فإلى كل البائسين المفتتنين بزهرة الحياة الدنيا من حيث كونها لاهية عن ذكر الله تعالى وكونها فانية يقول الإمام: "إن كنتم ترومون التمتع بلذة الدنيا والتنعم بسعادتها وراحتها؛ فاللذائذ المشروعة تغنيكم عن كل شيء، فهي كافية ووافية لتلبية رغباتكم وتطمين أهوائكم، ولقد أدركتم ـ مما بيناه آنفا ـ أن أن كل لذة ومتعة خارج نطاق الشرع فيها ألف ألم وألم، ...، فمن كان يريد السرور الخالص الدائم والفرح المقيم في الدنيا والآخرة عليه أن يقتدي بما في نطاق الإيمان من تربية محمد صلى الله عليه وسلم".

وأسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا يجعل فتنتنا في ديننا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

عقيدة البعث
في رسائل النور

أ.د. سعيد فكرة
عميد كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية
جامعة الحاج لخضر- باتنة - الجزائر

قال الله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. "المؤمنون: ١١٥"

أجل:

من العدل الإلهي الذي يتجلى بشكل فائق ودقيق أن خلق الإنسان لم يكن عبثا، ولا لفترة وجيزة في عمر الوجود هي الدنيا، بل الخلق يمتد إلى ما بعد الحياة الدنيا إلى الآخرة التي هي دار القرار.

ولننطلق في هذا المبحث من القاعدة الأساسية للخلق وهي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ "الذاريات: ٥٦".

ويحلق شيخنا "النورسي" في تفسير هذه الآية ويبين مواقف الناس تجاه هذه المهمة العظيمة، وهذه الوظيفة الحياتية، بناءا على ما "أوضع الصانع الحكيم في

هذه المصنوعات المزينة في هذا الوجود بخوارق صنعته وغرائب معرفته كي يشهد كماله وجماله وجلاله المعنوية بالوجهين، بنظره، ونظر غيره"[١].

ويوضح (رحمه الله) في بيان وتصوير بديع موقف الناس فقسمهم إلى فريقين، (أولهما): الذين نظروا إلى ما في القصر وعظمته، (والثاني): الذين التفتوا إلى الآلهة فتعاموا وصاموا فكان مصيرهم الخسران المبين، وذلك لأنهم فهموا لأن الحياة الدنيا لعب في نوم ولهو، وقد نهاهم المولى سبحانه عن ذلك فقال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ "لقمان:٣٣" .

ولم يترك الله عز وجل هؤلاء على غيهم وضلالهم، وإنما طلب منهم العودة إلى الحق، بالنظر إلى ما في الكون من مخلوقات وآيات وأدلة ومعجزات. يقول النورسي (رحمه الله) فإن أردت أن لا تبقى أشقى وأذل وأحمق وأضل من جميع الحيوانات، فانصت واستمع بسمع الإيمان بشارة القرآن بإعلان: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ "يونس:٦٢-٦٤".

ولنرجع إلى الفريق الأول الذي نظر إلى عجائب صنع الله فآمنوا بالله تعالى وبأركان الإيمان والتي منها الإيمان باليوم الآخر، بالدار الآخرة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ " البقرة:٤".

فالإيمان طريق إلى السعادتين الدنيوية الفانية، والأخروية الباقية، أي: "مفاتيح للسعادة الأبدية، وأبواب لتلك الجنة"[٢].

---

(١) النورسي (سعيد): المثنوي العربي النوري. ٣٨٠/٦

(٢) النورسي (سعيد): إشارات الإعجاز.٦١/٥

ويذكر (رحمه الله تعالى) براهين عشرة تؤكد على ذلك، والتي هي ضرورية كثيرا للإنسان في هذه الحياة الدنيا من أجل الآخرة. وهي باختصار

البرهان الأول: فهو أنه لو لم تنجز الكائنات إلى السعادة الأبدية لصار ذلك النظام الذي (تقي فيه صانعه اتقانا حير فيه العقول صورة ضعيفة خادعة، وجميع المعنويات والروابط والنسب في النظام هباء منثورا........

وأما البرهان الثاني: فهو أن تمثال العناية الأزلية الذي هو الحكمة التامة، التي هي رعاية المصالح والحكم في كل نوع، بل في كل جزئي .... يبشر بقدوم السعادة الأبدية.

وأما البرهان الثالث المفسر للثاني: فهو أن الفن يشهد أن الصانع اختار في كل شيء الطريق الأقصر، والجهة الأقرب، والصورة الأخف والأحسن.

وأما البرهان الرابع الموضح للثالث: فهو أن لا إسراف في الفطرة بشهادة الفنون.

وأما البرهان الخامس والحدس المرمز إلى القصد: فهو أن وجود نوع قيامات مكررة نوعية في كثير من الأنواع يشير إلى القيامة العظمى، وإن شئت كمثل الرمز في مثال، فأنظر في ساعتك الأسبوعية، وما فيها من دواليب مختلفة... كيف تعمل وتضبط الوقت.

وأما البرهان السادس الملوح: فهو عدم تناهي استعدادات البشر...

وأما البرهان السابع المبشر: فهو أن رحمة الرحيم تبشر بقدوم أعظم الرحمة أعني السعادة الأبدية. إذ بها تصير الرحمة رحمة، والنعمة نعمة، وبها تخلص الكائنات من النياحات المرتفعة من المأتم العمومي المتولد من الفراق الأبدي المصير للنعم نعما.....

وهنا يتوجه (رحمه الله تعالى) إلى أحد طلابه قائلا: انظر إلى ألطف آثار رحمة الله أعني المحبة والشفقة والعشق، ثم راجع وجدانك لكن بعد فرض

تعقب الفراق الأبدي والهجران اللايزالي عليها، كيف ترى الوجدان يستغيث.. والخيال يصرخ.. والروح يضجر من انقلاب تلك المحبة والشفقة – اللتين هما أحسن وألطف أنواع الرحمة والنعمة- أعظم مصيبة عليك وأشد بلاء فيك؟ ......

وأما البرهان الثامن المصرح: فهو لسان محمد عليه السلام الصادق المصدوق، ولقد فتح كلامه أبواب السعادة الأبدية، على أن إجماع الأنبياء من آدم إلى خاتمهم عليهم السلام على هذه الحقيقة حجة حقيقية قطعية على هذا المدعى، ولأمر ما اتفقوا.

وأما البرهان التاسع: فهو إخبار القرآن المعجز، إذ التنزيل المصدق إعجازه بسبعة أوجه[٣] في ثلاثة عشر عصرا دعواه عين برهانها، فإخباره كشاف للحشر الجسماني ومفتاح له.

وأما الرهان العاشر، المشتمل على ألوف من البراهين التي تضمنها كثير من الآيات مثل: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ المشير إلى" قياس تمثيلي". و ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ المشير إلى"دليل عدلي" وغيرهما. فلقد فتح القرآن الكريم في أكثر الآيات كوات[٤] ، ناظرة إلى الحشر"[٥].

ومما سبق توصل (رحمه الله تعالى) إلى عدد من المنارات الهادية التي تنير للإنسان سبل الحياة إن أحسن التزامه بالإيمان، وطبق المنهج الرباني على أقوم سبيل، نذكر من ذلك ما يأتي:

---

(٣) ذكر(رحمه الله) تفصيل هذه الأوجه في الكلمة الخامسة والعشرون (المعجزات القرآنية)

(٤) الكوة: الخرق في الحائط،ج: كواء وكوى وكوات.

(٥) النورسي(سعيد): إشارات الإعجاز.٥/٦١-٦٥.

<u>أولا</u>: الدنيا مزرعة الآخرة: فكما جاء في البراهين السابقة من الإشارات والعبادات والكلمات فإن العاقل المفكر المتدبر ينظر في أمور الآخرة، ويسعى لينال حرث الدنيا والآخرة معا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ "الشورى: ٢٠" فمن تزود من الخير والصالحات لآخرته فإنه يستعيد بكل ما وهبه الله تعالى من المواهب والقدرات للسعادة العظمي.

"وحيث أن الدنيا موجودة فعلا، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة، فالآخرة موجودة حتما، وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا.

ولما كان كل شيء في الدنيا يتطلع من جهة إلى ذلك العالم، فالسير إذن والرحلة إلى هناك، لذا فإن إنكار الآخرة هو إنكار للدنيا وما فيها.

وكما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه".[٦]

<u>ثانيا</u>: الدنيا مبعث كمال إلهي وحجة له وذلك من ثلاثة وجوه.

الوجه الأول: إن الدنيا وما فيها من قدرة إلهية تتجلى فيها أسماء الله الحسنى فهي "تؤدي- بهذا الوجه- وظيفة مرآة لتلك الأسماء بالمعنى الحرفي، فهذا الوجه مكاتيب صمدانية لاتحد.

الوجه الثاني: وجه ينظر إلى الآخرة, فهو مزرعة الآخرة، مزرعة الجنة، موضع أزهار أزاهير الرحمة الالهية.

الوجه الثالث: وجه ينظر إلى أهواء الإنسان، ويكون ستار الغافلين، وموضع لعب أهل الدنيا وأهوائهم ، هذا الوجه قبيح ذميم ، لأنه فان، زائل، مؤلم، خداع، ولهذا الوجه أثر عن النبي ﷺ ذمه للدنيا.

---

(٦) النورسي (سعيد): الكلمات.١/٩٣.

أما ما ذكر القرآن الكريم للموجودات بأهمية بالغة وإعجاب وإطراء فهو متوجه إلى الوجهين الأولين، وإن الدنيا المرغوبة فيها لدى الصحابة الكرام وسائر أولياء الله في الوجهين الأولين"[٧].

ثالثا - دور الإنسان في الدنيا: مادام المقصد الأسمى من خلق الإنسان وهو العبادة ولذا ترتب عليه أن يعمل الخير في الدنيا من أجل الآخرة، فيتزود من التقوى والعمل الصالح للسعادة الأبدية، فهذا هو السعيد" يبصر الحقيقة، والحقيقة بذاتها جميلة، ومع إدراك جمال الحقيقة فإنه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقره فيستحق رحمته". ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [٨].

ويترتب على ذلك التزام الحقائق الآتية:

الحقيقة الأولى: وجوب الإيمان لأنه سبيل إلى السعادة والنعمة، ومافيه من لذة وراحة، وبالإيمان يتوصل الإنسان إلى الكثير من الثمرات والفوائد وفي مقدمتها الأخلاق الحسنة.

بينما يكون غير المؤمن بالله تعالى واليوم الآخر متشائما بآلامه وألام الناس كلهم، وهو في غاية السوء والشؤم في نظره جزاء وفاقا على تشاؤمه.

الحقيقة الثانية: العبادة الحقة الخالصة لله رب العالمين، لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ " البقرة:٢١".

ولاريب في "أن العبادة لله رب العالمين تجارة عظمى وسعادة كبرى، وأن الفسق والسفه خسارة جسيمة وهلاك محقق"[٩].

(٧) المرجع نفسه١/٧٤٧.

(٨) المرجع نفسه١/٣٥.

(٩) المرجع نفسه١/١٢.

ومما يؤكده (رحمه الله تعالى) على ذلك بقوله: " فالمؤمن يعتقد بما يقول لذا يجد في كل شيء بابا ينفتح إلى خزائن الرحمة الإلهية، فيطرقه بالدعاء، ويرى أن كل شيء مسخر لأمر ربه فيلجئ إليه بالتضرع، ويتحصن أمام كل مصيبة مستندا إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام والاطمئنان الكامل.....

"ويضيف إلى ذلك قوله": نعم إن منبع الشجاعة ككل الحسنات الحقيقية هو الإيمان والعبودية وأن منبع الجبن ككل السيئات هو الضلالة والسفاهة.

ويوضح (رحمه اله تعالى) هذه المشاعر النفيسة، والاحساسات الداخلية، بما يحدث من مصائب في الأرض فيقول:

فلو أصبحت الكرة الأرضية قنبلة مدمرة وانفجرت، فلربنا لا تخيف عابدا لله ذا قلب منور، بل قد ينظر إليها أنها خارقة من خوارق القدرة الصمدانية، ويتملاها بإعجاب ومتعة، بينما الفاسق ذو القلب الميت ولو كان فيلسوفا ممن يعد ذا عقل راجح – إذا رأى في الفضاء نجما مذنبا يعتريه الخوف ويرتعش هلعا ويتساءل بقلق: ألا يمكن لهذا النجم أن يرتطم بأرضنا؟ فيتردى في وادي الأوهام (لقد ارتعد الأمريكان يوما من نجم مذنب ظهر في السماء حتى هجر الكثيرين مساكنهم أثناء ساعات الليل) .

فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة إلى حقائق العبادة والتوكل وإلى التوحيد والاستسلام، وما أعظم ما ينال منها من ربح وسعادة ونعمة.

ويخلص من ذلك إلى القول بأن سعادة الدنيا أيضا كالآخرة، هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله تعالى[١٠].

---

(١٠) المرجع نفسه١/١٢-١٤.

وفي مقدمة العبادات ا: الصلاة التي هي عماد الدين، والتقوى التي يفوز بها المؤمن بمعية الله تبارك وتعالى، والصدقات والتضحيات في سبيل الله عز وجل لقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ "التوبة:١١١" والقاسم المشترك الأعظم في كل ذلك الإيمان بالله واليوم الآخر.

رابعا: عقيدة الآخرة أساس حياة الإنسان الاجتماعية:

فإن ممالا ريب فيه أن أهل الدنيا والضلالة الغافلون ليستندون إلى الحق والحقيقة فهم ضعفاء وأذلاء، يشعرون بحاجة ماسة إلى اكتساب القوة ويتشبثون بشدة إلى معاونة الآخرين والاتفاق معهم، ويحرصون على هذا الاتفاق ولو كان مسلكهم ضلالة، فكأنهم يعملون حقا في تساندهم على الباطل، ويخلصون في ضلالهم، ويبدون ثباتا وإصرارا على إلحادهم، ويتفقون في نفاقهم، فلأجل هذا يوفقون في عملهم، لأن الإخلاص التام ولو كان في الشر لا يذهب سدى ولا يكون دون نتيجة . فما من سائل يسأل بإخلاص أمرا إلا قضاه الله له.

أما أهل الهداية والدين وأصحاب العلم والطريقة فلأنهم يستندون إلى الحق والحقيقة، ولأن كلا منهم أثناء سيره في طريق الحق لا يرجو إلا رضى ربه الكريم ويطمئن إليه كل الاطمئنان، وينال عزة معنوية في مسلكه نفسه، إذا حالما يشعر بضعف ينيب إلى ربه دون الناس، ويستمد منه وحده القوة، زد على ذلك يرى أمامه اختلاف المشارب مع ما هو عليه، لذا تراه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين،بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفيه ظاهرا ولا يجد في نفسه حاجة إليه"[١١]

(١١) النورسي (سعيد) اللمعات.٢٢٨/٣.

وإزاء هذه الحالة التي يكون عليها أهل الدنيا والضلالة فقد أشار الشيخ (رحمه الله تعالى) إلى العلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها وذلك في تسعة أمور:

١- العمل الإيجابي البناء الذي فيه التعاون مع الآخرين.

٢- تحري روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشاعر المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- اتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا، على أن لا يتدخل الواحد في شؤون الآخرين.

٤- الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق- بما يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية –مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦- ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل.

٧- ترك غرور النفس وحظوظها.

٨- وترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة.

٩- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

وبهذه الأمور التسعة يظفر المؤمن بالإخلاص الذي هو روح الأعمال الصالحة وأساسها.

إذن:

إن الإيمان بالله واليوم الآخر الذي هو من علم الغيب قد بين القرآن الكريم حقيقته وانتقل الإنسان إليه بأدلة كثيرة نقلية وعقلية، فمن الأدلة النقلية ما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ "يسن: ٧٨-٧٩".

فالذي أنكر الآخرة، وجاء إلى النبي ﷺ معاندا ومستكبرا بحقيقة اليوم الآخر، فضرب الله له مثلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ .

وهنا يذكر الشيخ (رحمه الله) البراهين على هذه الحقيقة بعدة صور مختلفة وهي:

١- إنه يقدم النشأة الأولى أولا ويعرضها للأذهان، فقد خلق الله تعالى الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة ، ثم خلق الإنسان في أحسن تقويم، أليس الذي قدر على الخلق الأول بقادر على إعادة الخلق بصورة أسهل من ذي قبل؟

٢- ويشير إلى الشجر الأخضر الذي جعل للإنسان والحيوان منه نعما كثيرة، فالذي ينعم على المخلوقات بهذه النعم لن يتركها سدى و لاعبثا.

٣- ويبين أن من الشجر الأخضر تتولد النار التي تستضيؤون بها وتورون ألا تقسون عليها مسألة نشأتكم الآخرة؟.

ثم هل يعجز من خلق السموات والأرض عن إحياء الإنسان نفسه وإماتته،وهو ثمرة السموات والأرض، وهل يمكن لمن يدير أمر الشجرة ويرعاها أن يهمل ثمرتها ويتركها للآخرين؟ فهل يترك للعبث "شجرة الخلقة" التي عجنت جميع أجزائها بالحكمة.

وبالتالي يمكن القول إن القادر على خلق الربيع بكل ما فيه لقادر على خلق كل شيء آخر فلا يحق للمنكرين بالحشر والنشور واليوم الآخر أن يسألوا من يحي العظام وهي رميم.

ويستشهد الشيخ (رحمه الله) بما ذكره القرآن من العوارض والحوادث الكونية التي تؤكد على حقيقة اليوم الآخر: ﴿إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت﴾ ، ﴿إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت...﴾ ، ﴿إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت...﴾، ﴿وإذا الصحف نشرت...﴾.

نستنتج من ذلك أن القرآن الكريم يهيء الأذهان للإيمان بالآخرة بوجود أمارات ودلالات لا حد لها على وجودنا والعالم الروحاني.

وإلى جانب القرآن الكريم فإن: "خالقنا الكريم قد عين لنا أعظم معلم .. وأكمل أستاذ ... وأصدق قدوة.. وأقوم رائد.. ألا وهو محمد الهاشمي، عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد أرسله خاتما للرسل الكرام عليهم السلام.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة تتكامل معرفتنا، ونترقى من رتبة علم اليقين إلى عين اليقين وإلى حق اليقين.

"فلسان عالم الشهادة ومعها تصديق جميع الأنبياء عليهم السلام والأولياء، والأخرى لسان عالم الغيب المتضمن جميع الكتب السماوية وجميع حقائق الكون – قد أقامتا الحجج على حقيقة الحشر والنشور راسخة واضحة وضوح الشمس والنهار. بجميع حياة المعجزة الأولى وآلاف من آيات المعجزة الثانية"[١٢].

---

(١٢) النورسي (سعيد) الشعاعات.٤/٢٧٥.

والإيمان باليوم الآخر يحقق ثمرات طيبة تعود على الإنسان بالخير العميم في الدنيا قبل الآخرة نذكر بعضا منها لتكون خاتمة لهذا المبحث الوجيز وهي:

أولا- تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة معا.

ثانيا- تحقيق سعادة الإنسان الشخصية والاجتماعية.

ثالثا- توطيد الفكرة القومية لعلاقات الإنسان بربه وقرآنه، ونبيه، والكون والحياة.

رابعا- توثيق العلاقات الإنسانية بالأخوة الممتدة إلى الأبد، والمحبة الخالصة بلا عوض.

خامسا- إشاعة الفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق.

سادسا- تمتين الخطاب للجميع على الحذر من اللهو والعبث والفسق والمعصية والظلم لأن أمامنا نار جهنم، وعاقبتها العذاب الشديد.

وعلى الترغيب بالإيمان والعمل الصالح فإن أمامه السعادة الأخروية الدائمة الباقية.

والله نسأل أن يرحم شيخنا الكريم ويجعله في عليين ويوفق العلماء العاملين المخلصين.

حاشاك حاشاك يا رب حاشاك

أديب إبراهيم الدباغ
أكاديمية الدراسات والبحوث باسطنبول

١

بيـديك خلقتنـي وصـورتني... والـروحَ وهبتنـي... مَيْتـاً كُنْـتُ فَـأحييتني... فحاشاكَ حاشاك لِأَبيد آلموتِ تَتْرُكُني...

٢

من رَحِم الطِّينِ أَوْلَـدتَّني... وإِنساناً صَيرتني... والإرادةَ منحتنـي... وبالعقـل جَمَّلْتَني... فحاشاك حاشاك طيناً بعد ذاك تعيدني...

٣

عَـدَماً كُنْـتُ فَأَوجـدتني... وإلـى بحـر الوجـودِ قـذفتني... وبِقَيْـدِهِ قيَّـدتَّني... فحاشاك حاشاك أن للعدمِ كرَّةً أُخرى تُسْلِمُني...

٤

في عَمَى "الَّلاشيئية" كنتُ فَشَيَأْتني... وفي عَمَايَ ضَوَأْتني... ومن "الّلاشيئية" أطلقتني... فَصِرْتُ في الأشياءِ شيئاً... وفي الموجودات موجوداً... فحاشاك

حاشاك – وأنت الكريم المعطاء – أن تنزعَ عني شيئيتي... وتَسْلُبَني حيثيتي... وإلى الفناء مرَّةً أُخرى تَرُدُّني...

٥

من ظلماء الفناء انتزعتني... وماءَ الخلود سقيتني... وبحبِّ البقاء رَغَّبْتَني... وبجمالِ الأبدية أشجيتني... وللسرمدية شَوَّقْتَنِي... فحاشاك حاشاك أن تطردني... وعن باب الخلود تمنعني...

٦

حفيظَ الغيب كنتُ... غريقَ الصمتِ بِتُّ... ساكنَ الروح هامِدَ الحِسِّ مشلولَ الارادة، محجوبَ الرؤية، مسلوبَ الحضور، حقباً مديدةً أمضيتُ... فمن غيبوبتي أيقظتني وأنطقتني... لا كينونة لي فكونتني.. وبقداسة الوجود بَصَّرتني... وبالخلود بَشَّرتني... فحاشاك حاشاك... أن تفوتني... وغريباً في دروب الوجود تتركني... لا هوية ولا ماهية... فما هذا من شأنك... ولا ذاك – يا ربُّ – من عادتك...

٧

من نَبْعِ جمالكَ سقيتني فَرَوَّيتَنِي... وفي سَنَا جلالك هَيَّمتَني... وفي ليالي العشقِ أسْهَرْتَنِي... وَعَذباً عَذَابَكَ جَرَّعْتَنِي... وعن جَوَادِ الوَجْدِ أبداً ما رَجَّلْتَنِي... أَتُرَاكَ تَقْتُلُني... وبسيف الجفا تَذْبَحُنِي... وَغُثَاءً جُفَاءً فوق يَمِّ الشوقِ هَمْلاً تَتْرُكُنِي... وكأَنَّكَ ما عَرَفْتَنِي... ولا بيديك خلقتني... ولا بأسناء جمالك أحييتني... فحاشاك حاشاك أنْ تكون هذه فِعَالُكَ... وتلك سُنَنُكَ...

٨

مُتْرَعٌ قلبي بِسِرِّ ذكراك... مَوَّارٌ بالشوق إلى لُقْيَاكَ... ولَهاً بِكَ ولَّهْتَني... ولكَ

وَحْدَكَ أردتني... ومِنِّي إليكَ أَخَذْتَنِي... بحبي لك سأشتري كُلَّ اَلاَمي... وسَأُنْعِشُ ذاكرةَ خيالي وَرُؤايَ وآمالي... فحاشاك حاشاك – يا جواد يا كريم – أنْ تَرُدَّني... وعَنْكَ تُبْعِدَني... وبأساي تقيدني... وبنجيع الروح تهلكني... فلا ذاكرة ولا خيال ولا رُؤى... ولا كنتُ ولا كُنَّا... ما هذا المؤمَّل منك... ولا هذا يقيني بك... وتوكلي عليك...

٩

من يوم "ألستُ بربكم...؟" واثَقْتَنِي وعاقَّدْتَّني... وغارَ العبودية قَلَّدْتَّني... وفي كنف رعايتك عَيَّشْتَنِي... وبالجنَّةِ أمَّلْتَني... "بلى" قلتُ... أعْلَنْتُ وأَسْرَرْتُ... فحاشاك حاشاك "للبِلَى" تتركني... وللفناء ترسلني... فَبِحَقِّ "بَلَى" التي أنطقتني لا تجعل "لِلْبِلَى" إليَّ سبيلاً... ولا عَلَيَّ وكيلاً...

١٠

خوفي من الموت يُعَذِّبُني... يتآكَلُني... وإلى بيداء الهواجس يأخذني... أنيني على عَتَبات "أَنايَ" يتكسَّرُ... وَرُعْبي شآبيبُ آهاتٍ تتحَسَّرُ... لِمَ الحياة – يا ربُّ – إنْ كُنَّا إلى الموت سِرَاعاً نمشي...؟ ولِمَ الوجود – يا ربُّ – إنْ كُنَّا إلى العدم سراعاً نمضي...؟

فحاشاك – يا ربُّ – حاشاك أن تخلقنا للموت وتُوْجِدَنا للعدم... أمْ أنّ توهم الموت هو الموت... وتوهم العدم هو العدم...؟!

١١

قلباً سَكَنْتَهُ... وبنور وَجْهِكَ أَضَأْتَهُ... ولِعِشقِكَ وَحْدَكَ خَلَقْتَهُ... وَبَيْتاً لِذِكْرِكَ بَنَيْتَهُ... أَتُرَاكَ تَهْدِمُهُ...؟ وتراباً تَذْرُوهُ رياحُ العَدَمِ تُصَيِّرُهُ...؟ فحاشاك حاشاك – وأنت الربُّ الرحيم – أنْ تَهْدِمَ بيتاً لِذِكْرِكَ بَنَيتهُ... وتقوض مَكْمَناً لِسِرِّكَ

آدَّخرْتَهُ... وتهتك مكنون جوهر علمك... وموضع تنزلات إلهاماتِك...

١٢

يَا لَيْلاً أَتَيتُهُ... سُجَّادةً فَرَشْتُهُ... وقلباً أَسْرَجْتُهُ... وفتيل الروح شمعاً أَشْعَلْتُهُ... وبسربال الأسرار سَرْبَلتُهُ... ما خَبَتْ شُعْلَتُهُ... ولا انطفَأَتْ شَمْعَتُهُ...

يَا مَوْجَ الدُّجَى... بقوةٍ إليكَ خُذْنِي... وإلى بحارك النَّائِيَاتِ قُدنِي... كَمْ عَشِقْتُ الأبحارَ في بحار الأسرار... حتّى انكشف سِرّي... وانفضَحَ أمري... وبكتني البحارُ... وحَزِنَتْ لحزني الخُلْجَانُ... أَفَتُطْفِيءُ – وأنتَ رَبُّ القلوب – قلباً أَسَرَجْتُهُ إليك... وروحاً أَشْعَلْتُهُ لكَ... وحُرْقَةَ عِشْقٍ ما لغيركَ احترقَتْ.... ولا لِسوَاكَ تَلَهَّبَتْ...؟!

١٣

خلقتني وبالخلق كبَّلْتَني... وبسلطنة القلب قيدتني... وإلى عشق الجمال شدَدتني... وبهِ أَظمأتني... وإليه شوقاً أشعلتني... وإلى سرمدية جمالك دعوتني... فأَشْعَلْتَ ناراً... ونشرتَ حريقاً... فإذا بي أنحدرُ صَبَباً... وأَنتصبُ صُعُداً... وَأُطلقُ أَصواتاً جَئَآرَةً جذلى:

خذني – يا مدى العشق غير المتناهي – إلى حيث تمضي... وضَمَّاً إليك ضُمَّني... حَلِّقْ بي وألقني على الضفاف المومضة في الأعالي... بدمي أُغَذِّي أُوَراها... وأُطعمُ شَرَارَها... إنها مضيئة ظلام حزني... وطاويةً في أحشائها ليالِيَ يأسي...

١٤

ظَمِئَتْ كأسي فلا شراب... وعطشتْ روحي فلا رواء... وأجدب قلبي فلا اخضرار... وتَصَحرَّتْ نفسي فلا شيء غيرُ سراب...!

مَنْ يسقني – يا ربُّ – إن لم تسقني...؟ مَنْ ينقذني من الهلاك ظمأً إنْ لم تنقذني...؟ بندى لطفك – يا ربُّ – فانضحني... وببليلِ رحمتك – يا ربُّ – بُلَّ عطشي... ومِنْ نَبْعِ تَعَطُّفِكَ فَرُشَّ كُلَّ يابسٍ من نفسي وكُلَّ عَطِشٍ من قلبي وروحي...

أَتُراكَ – يا ربُّ يا رحيم – تعدم قلباً ندياً بذكرك... وتحرق بنار الهجر روحاً رطباً لا هجاً باسمك...؟

حاشاك حاشاك – يا رحيم يا رحمن – أن تفعل ذلك...!

تقرير مفصل عن الحلقة الدراسية التي نظمها
مركز رسائل النور للدراسات والبحوث
في موضوع:

البعد الأخروي في رسائل النور

يومي ٥ـ٦ أغسطس ٢٠٠٦

افتتحت الندوة بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، تلتها كلمة المنظمين ألقاها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الذي رحب بالمشاركين في الحلقة، وبجميع الحضور ونوه بأهمية موضوع الحلقة الدراسية، ثم تدخل تلميذ الأستاذ النورسي مصطفى صنغر، فرحب بأسلوبه الرقيق بالحضور ودعا الله أن تكون أعمال الحلقة موفقة وميمونة، وأن تكون البحوث ثمارا مزهرة في العالم الإسلامي.

ترأس الدكتور عمار جيدل الجلسة الأولى، التي قدم فيها عرضان الأول للدكتور محمد زكي محمد خضر بعنوان "ذكرى الدار"، والثاني للدكتور عبد المجيد النجار، بعنوان "منهجية النورسي في الاستدلال على الحياة الآخرة".

استهل الدكتور محمد زكي محمد خضر بحثه بالإجابة عن سؤالين، هما لماذا اهتم النورسي بذكر الآخرة بهذا القدر؟ ولماذا أثر ذلك في طلبة الأستاذ وقراء رسائل النور؟ انطلاقا من الآيات ٤٥ و٤٦ و٤٧ من سورة "ص" التي تشير إلى كل من سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب عليهم السلام، مبرزا

تحقق ما فيها على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي من تخلق بأخلاقه، والنورسي في نظره من الذين أدركوا معانيها وحاولوا التخلق بأخلاقها.

إن المراد بعبارة "ذكرى الدار" التي توصل إليها كما تشير إلى ذلك التفاسير التي رجع إليها، هو ذكر الدار الآخرة والرغبة فيها مع الزهد في الدنيا، وذلك ما وجده عند النورسي، فقد ذكرت الآخرة عنده بشكل دائم إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وسلك في التعامل معها مسالك متنوعة، محاولا تقريبها للأذهان بوسائل مختلفة، وخاصة الوسيلة النقلية الشرعية والوسيلة العقلية المنطقية، وأستطرد أن النورسي يشير إلى أن الإيمان بالآخرة مرتبط بالإيمان بالله وبكتبه ورسله، وأن أسماءه الحسنى تؤكد هي الأخرى حقيقة الآخرة، وخاصة كلمة "الله أكبر" و"الحمد لله" التي يكتمل معناها بحقيقة الآخرة، وأما كلمة "سبحان الله" فتدل على الآخرة من جهة تنزيه الله سبحانه وتعالى وتقديسه عن الشريك والنقص والظلم والعجز والقسوة والحاجة، وكل ما يخالف كماله وجماله وجلاله، وهي معاني تذكر بالآخرة وتدل عليها، وتشير إلى السعادة الأبدية، التي هي محور عظمته وجلاله. ليخلص إلى إلحاح النورسي على أن أغلب أسماء الله الحسنى وجميع دلائل وحجج وجوب وجوده تدل على الآخرة وتشهد عليها، فأسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة كالحكيم والعدل والأول والآخر والظاهر والباطن والسميع والمجيب والمحيي والمميت والحي والقيوم والقدير والعليم والرحمن والكريم والجميل والحق والحفيظ تشير كلها إلى ضرورة وجود الآخرة.

وبخصوص ثمرات الإيمان بالآخرة عند النورسي فقد حصرها في أربع ثمرات:

ـ تتحدد الأولى في كون الإيمان بالآخرة كنزا عظيما للإنسان الوثيق الصلة بالرغبات والآمال التي لا تنتهي، وذلك لأن الوجود الباقي مع الحياة الاعتيادية الشاقة أصلح للإنسان من حياة تنتهي إلى العدم.

ـ وتتلخص الثانية في فتح الآخرة بصيرة الإنسان ورفع الغشاوة عن فؤاده، ليتمكن من النظر بنور الإيمان، واكتساب لذة روحية تنبئ بلذة الجنة.

ـ وتتجلى الثمرة الثالثة فيما يزرعه الإيمان بالآخرة من إحساس بفساحة الزمان حتى يستوعب الماضي والمستقبل.

ـ وتتعلق الثمرة الرابعة بما يقدمه الإيمان بالآخرة للأطفال والشيوخ ولحياة الأسرة من سلوان يجعلهم يقبلون على الحياة بكل حب وانشراح.

بين الدكتور عبد المجيد النجار في بحثه أهمية الحيز الذي يحتله الإيمان بالآخرة في العقيدة الإسلامية، لأن ما جاء به الإسلام من وضوح في الصورة ومن تفاصيل في المشاهد ليس له مثيل، نظرا لما لذلك من أثر واضح في السلوك، إضافة إلى الإنكار الذي قوبلت به عقيدة الآخرة الشيء الذي يفسر اهتمام القرآن بها وكثرة الآيات المشيرة إليها.

وقد ألح على أنه بالرغم مما آلت إليه عقيدة الآخرة من تسليم من قبل المؤمنين، فقد ظلت تظهر بين الحين والآخر تأويلات تتعلق بحقيقة البعث، يثيرها البعض من داخل الدائرة الإسلامية، ومن ذلك ما تأوله بعض الفلاسفة من قصر الإيمان بالبعث على بعث الأرواح دون الأجسام، والقضية التي عارضها علماء الكلام، وغيرهم، مشددا على أن السجال في قضية البعث ينشط بنشاط الفكر المادي، لإيمانه بالتجربة التي تقود إلى إنكار البعث عقلا.

ولما كان القرآن الكريم قد كثف الاستدلال على عقيدة الآخرة، فقد جرى علم العقيدة على هذا المنهج بتخصيصه حيزا واسعا لشرح هذه العقيدة

والاستدلال عليها، واستنتج بأن هذه الاستدلالات قد اتصفت بثلاث صفات، اتجهت أولاها إلى إثبات الإمكان العقلي لقضية بعث الإنسان بعد الموت، واتجهت الثانية إلى الملكة العقلية دون باقي الملكات، وأما الثالثة فهي عدم استثمار هذه الاستدلالات لكل ما جاء في القرآن الكريم بخصوص هذا الموضوع.

وأما النورسي فإن اهتمامه بالآخرة كان كبيرا جدا، ليس لأن الإيمان بها ركن من أركان الدين فحسب، ولكن لاهتمامه بشرح العقيدة وتوسعه في الدعوة إليها، نظرا لتفشي النزعة المادية المنكرة للبعث، في البيئة التي كان يعيش فيها، إضافة إلى ما تشتمل عليه عقيدة البعث من طاقة دعوية تؤثر في النفوس.

وهو يرى بأن استدلال النورسي على عقيدة الآخرة وشرحه لها قد ورد وفق خطة اهتدى إلى البعض منها:

الأول: السياق الدعوي، ذلك أن النورسي لم يكن حين تناوله لموضوع الآخرة مسكونا بالهاجس التعليمي، أو بهاجس الرد على الخصوم والمنكرين للآخرة والبعث، بقدر ما كان مسكونا بالهاجس الدعوي، وهاجس إحياء الإيمان.

الثاني: مخاطبة مجموع الكيان الإنساني، ذلك أن النورسي كان يتوجه في شأن البعث إلى كافة مشاعر الإنسان وعواطفه وغرائزه.

الثالث: التكامل الاستدلالي، ويتمثل في أن النورسي انتهج في استدلالاته على مختلف مفردات العقيدة منهج التواصل والتكامل بين الأدلة.

الرابع: الاستدلال بالآفاق الكونية، وفي هذه اعتبر عبد المجيد النجار النورسي مجددا في علم العقيدة لكونه عاد بالاستدلال إلى المنهج القرآني الذي يدعو إلى جعل مشاهد الأنفس وآفاق الكون منطلقا للاستدلال.

يتم الاستدلال على الآخرة في خطة النورسي على جملة مسالك، تتضافر جميعا لتنتهي إلى إثبات عقيدة البعث، وعلة ذلك هي تفاوت المخاطبين في الاستعداد للقبول، لاختلاف طبائعهم وثقافاتهم، ومن تلك المسالك:

أ) مسلك الأنفس، وهو استجابة للدعوة القرآنية إلى أن تكون النفس الإنسانية منطلقا للاستدلال على الحقائق العقدية، وقد بنى على أساسه جملة من الأدلة:

أولا: دليل الاستعداد الإنساني.

ثانيا: دليل الشوق إلى الأبدية.

ب) مسلك الآفاق، وهو أوسع المسالك التي ولج منها النورسي ليثبت عقيدة البعث، فقد شكل منها العديد من الأدلة انطلاقا من مشاهدة الآفاق، وأدرج جملة كبيرة من الأدلة ذكر منها

أولا: دليل انهيار الكون.

ثانيا: دليل الاستمرار.

ج) مسلك الإيمان بالله: ويتمثل ذلك في توظيفه لأدلة إثبات عقيدة الألوهية وخاصة ما تعلق بإثبات الصفات، وتوظيفها في إثبات عقيدة البعث، انطلاقا من منهج الوصل بين الأدلة، وقد تحصل من ذلك جملة أدلة ومنها:

أولا: دليل القدرة الإلهية.

ثانيا: دليل الحكمة والعدل.

د) مسلك المنفعة: ويتمثل في ربط النورسي عقيدة الآخرة بما تحققه للإنسان من منفعة في الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة، مقدما على ذلك جملة أدلة منها:

أولا: دليل المنفعة الفردية.

ثانيا: دليل المنفعة الاجتماعية.

وختم الدكتور عبد المجيد النجار عرضه بإلالحاح على أن المنهج الذي سار عليه النورسي في إثبات عقيدة الآخرة، يقوم على التوفيق بين الاستدلال العقلي والاستدلال الروحي والنفسي ليوسع مساحة الاستدلال بصورة لم يسبق إليها.

نبه الدكتور آزاد سعيد سمو في مستهل جلسة المناقشة، على إطلاق المتدخلين مصطلح "إمام" على النورسي وهو اسم لم يطلقه عليه تلامذته، ولم يطلقه هو على نفسه، محبذا مصطلح "أستاذ"، وأما نسيم الندوي فأشار إلى أن الهندوس يعتقدون بأن الذي يموت يولد من جديد في صورة جديدة، من خلال ما يسمى "تناسخ الأرواح"، وملخص المعتقد أن الذي تكون سيرته في الحياة غير صالحة تقدم له فرصة أخرى كي يصحح أخطاءه بالعودة إلى جسد آخر غير جسده، وتساءل عن الأسلوب الناجع للرد على هذه العقائد الفاسدة من خلال رسائل النور؟ وأما أبو الهدى الحسيني، فقد رأى في معرض تعليقه أن أهل السنة والجماعة، يقولون بأن العدل لا يقابل الظلم، وبأن مقابلة العدل بالظلم لا يجوز في حق الله، ولذلك حث على ضرورة الحذر عند الحديث عن ذات الله تبارك وتعالى.

وأبدى الدكتور محمد بن موسى الشريف إعجابه بحسن التقسيم الذي جاء به عبد المجيد النجار، رغم التفاوت الذي لاحظه بين ما عرض في المقدمة وما عرض عن النورسي، واعتبر المنفعة أثر من آثار الإيمان بالآخرة وليس دليلا، لأن الاستدلال يظهر فيما قدم بداية. وفي الإطار نفسه اقترح الدكتور خالد الصمدي تصنيف الأدلة تصنيفا آخر، إلى أدلة تثبيتية للمؤمنين وأخرى لمخاطبة غير المؤمنين، وتساءل ألا يمكن اعتبار الأدلة الأولى أدلة مقلقة للصنف الثاني؟

ثم تدخل الأستاذ محمد إسماعيل الزين من مكة المكرمة معلقا على ما قيل بخصوص مقابلة العدل بالظلم في حق الذات الإلهية، فأكد استحالة الظلم في حقه تبارك وتعالى لأن كل ما يأتيه الله عدل، وتوقف عند مصطلح "استمرار الحياة" فأشار إلى أنه مصطلح يوافق عليه غير المسلمين، الأمر الذي قد يوحي باتفاق المسلمين والديانات الأخرى حول حقيقة ما بعد الموت، وهو أمر غير صحيح في نظره ولذلك اقترح ضرورة إيجاد مصطلح آخر، يدل على الخصوصية.

شدد الدكتور إبراهيم أزدمير من أنقرة، على ضرورة التعامل مع رسائل النور في إطار سياقها التاريخي المرتبط بما عرفته تركيا من تنام للنزعة الطبيعية من خلال انتشار نظرية داروين للتطور، التي ترتكز على شرح كل شيء شرحا ماديا، دون تدخل القدرة الإلهية، مما يعني إمكانية تدبير المرء حياته بنفسه دون تدخل الدين، ولذلك سعت رسائل النور إلى تحويل الإيمان من مجرد سلوك تقليدي إلى سلوك فعلي وحقيقي.

أكد الدكتور محمد زكي محمد خضر، في تعليقه على المناقشين أن وصف الأستاذ بالإمام وبأوصاف أخرى هو فضل له، وأضاف بأن السلف قد درجوا على استعمال وصف الإمام الذي اعتبره مستحقا للنورسي، وأما صفة "أستاذ" فلم يكن مستعملا في التراث، ، معتبرا تسمية الأستاذ بالإمام أمرا حسنا لا يجب انتقاده.

وبخصوص قضية تناسخ الأرواح وقضية رجوع الروح عند الهندوس أكد بأن التصور الإسلامي مخالف لذلك، لكن بالمقابل هناك جزاء دنيوي وعقوبة، كالذرية الصالحة، وأكد ما ذهب إليه من خلال الكثير من الآيات القرآنية، كقوله

تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ وقوله تعالى في سورة الكهف في قصة موسى مع الرجل الصالح "الخضر" ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾.

وأما الأستاذ عبد المجيد النجار فرأى بأن موضوع تناسخ الأرواح، يستهوي حتى عدد من المسلمين، والجواب على سؤال كيف يمكن الرد على مثل هذه الأفكار من خلال الرسائل، أكد صعوبة ذلك لكونه لم يطّلع في الرسائل على ما يمكن الرد به على هؤلاء. وشدد على أن مسلك المنفعة هو أثر ودليل في الوقت نفسه، لأنه عندما يكون للقاعدة أثر تصير دليلا، واستدل بقاعدة "أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله"، فإذا كان وجود الله يحقق مصلحة فهو موجود، وإذا لم يتحقق فهو غير موجود، والنورسي استغل في نظره تلك القاعدة، فما دامت الآخرة تحقق منفعة فهي موجودة. وأضاف بأنه لم يجد عند النورسي فيما كتب أدلة موجهة للمسلمين وأخرى موجهة لغير المسلمين، ذلك لأنه يوجه خطابه بصفة عامة، دون اعتبار لطبيعة المخاطب

وأما المنفعة فهي في نظره فكرة قرآنية، لكن النورسي استدل بالأدلة النفعية استدلالا عقديا، وهو موضوع لم يجد اهتماما به في الكتب القديمة، وإن كانت بعض كتب الفقه الحديثة قد تناولته، لكن ليس بالعمق الموجود في الرسائل.

كان الحضور بعد استراحة قصيرة مع الجلسة الثانية، التي سيرها الدكتور نسيم الندوي وشارك فيها الدكتور خالد الصمدي بموضوع "مقاصد الإيمان بالآخرة: مناهج في الاستدلال ومعالم في السلوك" والدكتور محمد بوزغيبة بموضوع "عقيدة البعث في الشريعة الإسلامية ورسائل النور"

رام بحث الدكتور خالد الصمدي الإجابة على أربعة أسئلة وهي ما المقاصد العامة للإيمان بالآخرة في فكر رسائل النور؟ وما الدلائل التي استخدمها بديع الزمان لترسيخها في الأفهام؟ وما المعالم التي رسمها للسالكين لتحقيق تلكم

المقاصد بما يضمن الاستمرار والوصول إلى المراد؟ وكيف يمكن استثمار كل ذلك لبناء مشروع الأمة من أجل تغيير حضاري فاعل يحقق للإنسان سعادة الدارين؟

ولهذا الغرض بين أن من ركائز الاعتقاد، الإيمان بالآخرة والحشر والحساب والجنة والنار، وهي مواضيع تدخل في الغيبيات التي مدح الله المؤمنين بها، ولاحظ بأن الناظر في كتابات المفكرين في الموضوع يغرقون في علم الكلام بمباحثه النظرية والفلسفية المتعلقة بالذات والصفات، مع أن الإيمان بالغيب ليس اعتقادا مجردا، بل هو على صلة بواقع الناس، وهو ما عملت رسائل النور على بنائه بنفس تجديدي وفق منظومة متكاملة من المقاصد تحتوي النفسي والاجتماعي والفكري والعقلي، ورصد في هذا الإطار مجموعة من المقاصد، ففي إطار المقاصد الفكرية والعقلية، نجد:

ـ فهم الكون وفهم ذات الإنسان.

ـ إعطاء معنى آخر للحياة والموت.

وفي دائرة المقاصد نفسية ووجدانية، حلل المقومات الإيجابية التي يضفيها الإيمان بالآخرة على النفس الإنسانية.

وتتمثل المقاصد، فيما رصده النورسي من مقاصد اجتماعية للإيمان بالآخرة، في حياة الفرد والأسرة والمحيط الاجتماعي، وحتى في تصرفه مع الكائنات، وتتجلى معالمها في:

ـ توجيه سلوك الأطفال والشباب.

ـ ضمان الاستقرار داخل الأسرة.

ـ ضمان السلوك الاجتماعي بالأخلاق.

وعلى أساس ما تقدم رصد لهذه المقاصد أثرا في بناء الحضارة الإنسانية، فبين بأن من أثر رقي المجتمعات نشوء الحضارة المدنية، التي تنقسم في نظر النورسي إلى مدنية سفيهة ومدنية تقوم على الشريعة، والفيصل بينهما طبيعة القيم السائدة، التي تستند في الأولى على الإيمان المطلق بالمادة، وفي الثانية على الإيمان بالآخرة، وهنا تبرز في نظر خالد الصمدي الرؤية المتكاملة للتدافع في الرسائل من خلال تدافع مدنية المادية ومدنية الشريعة.

وأما استدلال النورسي بالحجة والبرهان باعتباره منهجا لبناء الإيمان بالآخرة فيظهر من خلال:

ـ استخدام أساليب المناطقة في الاستدلال بالشاهد على الغائب.

ـ عرض الدلائل القرآنية والدلائل النقلية والدلائل العقلية في إثبات الحشر.

ثمن الدكتور محمد بوزغيبة في مستهل عرضه رسائل النور وأثنى على الأستاذ، وأكد بأنه أعاد اكتشاف هذه الشخصية بمجيئه إلى تركيا وحضوره أعمال الندوة، وأضاف بأن الأستاذ غير معروف في تونس، بالرغم من الندوات الكثيرة التي أقامها المركز في مناطق مختلفة من العالم، وتمنى انتقال صدى دعوته إلى تونس.

وبخصوص عرضه بيّن أن حياة الإنسان بعد الموت هي الخيط الفاصل بين الإيمان والإلحاد، وبين التفسير الديني لحقيقة الإنسان، الذي يجعل لمصير الإنسان معنى وغاية، وبين التفسير المادي الذي يربط حياة الإنسان بعد الموت بالعدم، مبرزا دعوة جميع الأديان السماوية إلى الإيمان بالبعث والنشور، واستشهد بمجموعة من النصوص من القرآن والإنجيل التي تؤكد ذلك، الشيء الذي يفسر تأثر بعض المفكرين المسلمين ببعض الأفكار المسيحية كتأثر محمد إقبال بفكرة الخلود، وتعني اتصال الحياة، واستمرار الإنسان فيها ليتلقى على

الدوام نورا جديدا من ربه، مع نفي أبدية الجحيم في الآخرة، وبخصوص نظرة القرآن للبعث، فتدل على أن إيمان الإنسان بمصيره بعد الموت هو الذي يجعل لحياته غاية سامية، يظهر ذلك من الآيات الكثيرة التي تقيم الدليل على أن الإنسان ليس مهملا، ومن هنا يأتي اهتمام النورسي بقضية البعث والموت والحساب اهتماما خاصا مؤكدا بأن قلة ما يتوفر عليه من مصادر فكر النورسي، الأمر الذي لم يسعفه في أن يعمق بحثه في الموضوع، وختم عرضه بالتماس مقدم إلى طلاب الأستاذ بأن يعملوا على نشر فكره في منطقة المغرب العربي وخاصة في تونس.

ثم فتح باب المناقشة، فتدخل الدكتور نيازي بكي من اسطنبول، فصحح إشارة وردت في عرض الأستاذ بوزغيبة متعلقة بحج الأستاذ فأشار إلى أن السلطات لم تسمح له بالحج، والتمس بأن يسمح له بالتعليق على بعض ما ورد في الجلسة الأولى، فبين أن في الإنسان ميولا تمتد إلى الآخرة، لأن الله لم يخلق شيئا عبثا، وميل الإنسان إلى الآخرة يدخل في تلك الدائرة، ولذلك فالمنفعة موجودة في أصل الإنسان، إذ هناك منفعة دنيوية ومنفعة أخروية.

علق الدكتور عبد المجيد النجار على مداخلة خالد الصمدي بالقول لو كان هناك ربط بين ما يقوله الأستاذ وبين ما يستنتج، من خلال مقاصد فهم الذات والكون، ومقاصد تصفية النفس وترشيد السلوك والمجاهدة، لكان أفضل، وتساءل كيف يؤدي الإيمان بالآخرة عمليا إلى هذه المقاصد، واسترسل موضحا بأن ملاحظة مهمة أثارت انتباهه في عرض بوزغيبة وهي دعوة النورسي إلى تعمير الأرض من خلال الإيمان بالآخرة، ذلك أن من مقاصد الإيمان بالآخرة تعمير الأرض، وعلق بأن الأمة في حاجة إلى تعمير الأرض، وفي حاجة إلى إخراج الناس من الإيمان التعبدي إلى الإيمان التعميري.

وتـدخل عبـد الله فـدعق مـن المملكـة العربيـة الـسعودية معلقـا علـى علاقـة النورسي بالتصوف فأشار إلى أن النورسي غالبا ما نفى عن نفسه أنه صوفي، مؤكـدا بأنـه كـان ينفـي عـن نفـسه الاسـم لا المـسمى، لـيخلص إلـى أن مـا يميـز النورسي في دائرة التصوف هو التصوف السني، مع التشديد على أن ليس هناك سوى تصوف واحد هو التصوف السني.

وتدخل موسى الشريف، فاقترح على خالد الصمدي حذف عبارة الولاية أرفع مقاما من النبوة، وألح على ضرورة عدم الاستشهاد بالأناجيل بالنظر إلى ما لحقها من تحريف. وأما عبد الكريم وريكات من الجامعة الأردنية فلاحظ وجود تداخل بين المصطلحات الواردة في بحث خالد الصمدي الأمر الذي يجعل المعنى غامضا، ومن ثم اعتبر الحضارة حضارة واحدة هي الحضارة الإنسانية.

وتدخل أحد الحضور فاعتبر الرسائل تفسيرا متميزا من تفاسير القرآن، وأشار إلى صعوبة إدراك سر الرسائل لأن النورسي عندما ألفها استوعب العديد من النصوص، ولهذا فعند قراءتها أو سماعها تغيب معاني تلك النصوص.

بين الدكتور خالد الصمدي في رده أن الموضوع يتعلق بالفطرة وبما تحصل عليه النورسي من القرآن والسنة النبوية، فعلاقة الإنسان بمقاصد الآخرة متصلة بالفطرة، وطبيعة الفطرة الإنسانية ثابتة، قد تتأثر لكن لا تتغير، وبخصوص قضية فهم الكون أكد اختلاف هذا الفهم بين المؤمن والكافر، ومن ثم فما قدمه النورسي لم يكن مفهوما جديدا للكون والآخرة بقدر ما كان فهما جديدا له، وأما التصوف المراد فهو التصوف الوارد في القرآن والسنة، لكن واقع الحال فرض وجود مذاهب كثيرة في التصوف، وحتى الديانات الأخرى تتحدث عن التصوف. وعن عبارة الولاية أرفع مقاما من النبوة فقال بأنها وردت في سياق انتقاده لها وليس تبنياً لها، وختم بأن رسائل النور تحتاج إلى عدة قراءات.

وعلق بوزغيبة بكون النورسي مجهولا بالنسبة للأوساط التونسية، وهنا مكمن الأخطاء المعرفية التي وردت في عرضه، وعدم تمكنه من التعمق في مقاربة رؤية النورسي لموضوع الآخرة.

استعرض الدكتور عمار جيدل في عرضه، خلال الجلسة الثالثة التي أدارها الدكتور محمد زكي محمد خضر، استحضار النورسي لاستحقاقات اللحظة التاريخية، واستحضاره لماهية عقلية المخاطبين في اللحظة، الأمر الذي جعل من عقيدة الآخرة أساس حياة الإنسانية الاجتماعية والفردية، لتستغرق الدنيا والآخرة، إذ إن الإيمان بالآخرة يعطي لحياة الأطفال معنى، ويساعد الشباب على مواجهة الأعباء، ويهدئ فورتهم، كما يعين الشيوخ على طرد اليأس، وتحمل الأعباء، فالإيمان بالآخرة عند النورسي يجعل الفرد نافعا لنفسه ولمجتمعه الإنساني، والإيمان بها كذلك هو باعث دفئ في الحياة العائلية. وعلى أساس ذلك اعتبرت ضرورة عقلية ومنطقية.

وأكد في معرض حديثة عن فوائد الإيمان بالآخرة في الرسائل بأن النورسي كان مولعا بضرب الأمثال، وهو سلوك يشيع في منهجه، الشيء الذي يجعل من موضوع الآخرة موضوعا نفعيا صرفا، إضافة إلى ما تقوم به تلك الأمثال من شحذ للهمم.

وعن أدلة إثبات الآخرة، أكد بأن رسائل النور غنية بذكر هذه الأدلة، لكن النورسي اكتفى في بعض السياقات بخلاصة ناشئة من شهادة سائر أركان الإيمان، ولخص عنوانها في "اتحاد كلمة الشهود على إثبات الإيمان بالآخرة"، وكان عرض مجمل تلك الأدلة على النحو الآتي:

١) شهادة القرآن الكريم.

٢) شهادة الذين تربوا في كنف الإيمان بالآخرة.

٣) شهادة الكتب السماوية.

٤) الآخرة محور سلطان الألوهية.

٥) الآخرة حقيقة ثابتة يدل عليها الإجماع.

٦) الإيمان بالله لا ينفك عن الإيمان بالآخرة .

٧) الإيمان بالملائكة طريق للإيمان بالآخرة.

٨) أدلة إثبات القدر لإثبات الإيمان باليوم الآخر.

٩) شهادة أركان الإيمان على إثبات الآخرة.

وختم العرض بالإشارة إلى أن الإيمان بالآخرة عند النورسي دعوة حقيقية لإصلاح الدنيا، وهي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية.

كان الحضور بعد هذا العرض على موعد مع عرض الدكتور محمد جكيب "منهج بسط عقيدة الآخرة في رسائل النور قراءة في أدوات المنهج وغاياته"، قد ركز العرض في البداية على ما يحتله الإيمان بالآخرة وحقيقة الحشر والحساب من قيمة إيمانية في التصور الإسلامي، وكان السؤال المركز عليه هو كيف يمكن تحويل الإيمان بالآخرة إلى سلوك إيجابي، وإلى أداة لبناء الواقع الإنساني وبناء الحضارة؟

وفي الإجابة على هذه النقطة التي يبرز من خلالها منهج النورسي بصورة لافتة للنظر، ألح العرض على مركزية الإنسان في علاقة الآخرة، انطلاقا من مفهوم الإنسان في القرآن، من زاوية تحمله للأمانة التي رفضت السماوات والأرض تحملها، ومن زاوية تكريم الله له بإرادة تناسب استعداده، وما هيأه الله له من قدرات نفسية وعقلية لم توهب لباقي المخلوقات، انطلاقا من مفهوم "أنا".

اعتبر العرض الكلمات التسع الأولى مقدمات ضرورية للكلمة العاشرة التي خصصها النورسي لموضوع الآخرة، حيث لم يركز في القضية على من ينكرها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى ما آلت إليه عند عدد جم من المسلمين واندثار أثرها في قلوبهم، ذلك لأن الهم الذي حرك النورسي هو "إنقاذ الإيمان".

وبناء على خطوات منهجية محددة قدم النورسي مجموعة من المشاهد والحقائق التي تضمن الإحساس بحقيقة الآخرة، ومن ذلك إثباتها بانتفاء العبث عن خلق الكون وكل ما فيه، وبيان ما تتضمنه وظائف المخلوقات من دلالة على الآخرة، واستعراض أدلة الحشر الشهودية واليقينية، وهي الأدلة التي أكثر النورسي من إيرادها، وذلك لأن النورسي كان مسكونا بهم تقريب حقيقة الآخرة من الأذهان والأفهام، وهي النقطة التي خلص العرض منها إلى مناقشة العاطفي والعقلي في منهج بسط عقيدة الآخرة عند النورسي، حيث لاحظ بأن النورسي يركز على الجانب الأول لكن دون إغفال الجانب العقلي، مركزا على أن النورسي وهو يحاول إثبات حقيقة الحشر يلح على أن العقل والقلب معا يؤكدان حقيقة حدوث الحشر، وقد قادت هذه الملاحظة العرض إلى لمس منهج في دلالة أسماء الله الحسنى على وجود الآخرة، كحقيقة اسم "الرب"، واسم "الكريم الرحيم"، وحقيقة اسم "الحكيم العادل" وحقيقة اسم "الجواد والجميل"، وحقيقة اسم "المجيب الرحيم"، واسم "الجليل الباقي"، وختم العرض ملاحظاته بمناقشة سبيل تحويل حقيقة الحشر إلى طاقة بناءة في المجتمع.

وتدخل الدكتور خالد الصمدي فأشار إلى وجود إشكال لم يستطع الإجابة عليه، من خلال النص المشكل المتعلق بما يذكره النورسي عن تأثير عقيدة

الآخرة على نفسية الأطفال، ذلك أن المعرفة عند الأطفال تنتقل من المعلوم إلى المجرد، فكيف ينعكس الإيمان بالآخرة على سلوك الأطفال.

ثم تساءل عن الكيفية التي يمكن من خلالها الاستفادة من رسائل النور في معالجة الصراعات السائدة، خاصة عندما صار النظر إلى التجديد في الدين على أنه مصدر هذه الصراعات، وتساءل كيف نستفيد من فكر الرجل في فك حل الصراعات والإشكاليات المطروحة في الواقع؟

وأما بخصوص توظيف دلالات أسماء الله الحسنى في إثبات الآخرة فقد اعتبره منهجا قرآنيا وليس تناولا جديدا، وتساءل عن طبيعة العلاقة الرابطة بين هذه الأسماء وإثبات الآخرة؟

وتدخل الدكتور نيازي بكي من تركيا، فأشار إلى أن دلالة أسماء الله الحسنى هي ما تدل عليه. فاسم "الملك" يدل على الملك، وباقي الأسماء تدل على مسمياتها، وهناك مؤلفات توسعت في دلالتها.

ثم تدخل الدكتور عبد المجيد النجار، فعلق عما جاء في كلام د. الصمدي عن تأثير الإيمان بالآخرة في الأطفال، فأشار إلى أن إيمان الأطفال بالمعلومات لا ينبغي أخذه على إطلاقه، نظرا لوجود جانب الفطرة وهي أمر مجرد، والإيمان بالآخرة يدخل في الفطرة، وبخصوص موضوع جعل أسماء الله الحسنى دليلا على الآخرة، أكد أنه لا يعرف أحدا صنع ذلك كما صنع النورسي بأسلوب استدلالي عقدي.

علق الدكتور عمار جيدل بأنه يمكن مخاطبة الصغار بموضوع الآخرة كما يخاطب الكبار مؤكدا عدم وجود فرق بين الطرفين. وعن موضوع تحييد الدين اعتبر القضية متصلة بمن يقوم بتحديد المضمون الغالب، وشدد على أن الحجة في القوة، فالكل يريد العدالة لكن من يطبقها؟.

شدد الدكتور محمد جكيب في رده على أن قضية علاقة الأطفال بالآخرة تطرح فعلا مشكلا، واعتبر الموضوع أوسع من أن يتحدث فيه بأجوبة سريعة، لحاجة الموضوع إلى البحث العميق المتأني.

وعن موضوع توظيف أفكار النورسي في تجاوز الصراعات، وبناء المجتمعات أكد بأن ما يتميز به منهج النورسي هو تلك القدرة على التحول إلى طاقة عملية، خاصة إذا تم استحضار الدوافع التاريخية التي دعت النورسي إلى بناء الرسائل، فالمسألة عنده تتعلق بجعل الفاعلية القرآنية جزءا من كيان الإنسان.

وبخصوص أسماء الله الحسنى أكد بأن توظيف النورسي لطاقتها الاستدلالية والعقدية توظيف تميز به النورسي، وذلك من خلال ربطها بمكونات الكون القريبة من الأذهان.

أبرز الأستاذ أديب الدباغ في الجلسة الرابعة، التي سيرها الدكتور عبد المجيد النجار، بأسلوبه الفني الرائع أن النورسي قد تناول قضية الوجود بصفة عامة وقضية وجود الإنسان وسر خلقه بصفة خاصة، وجعل سر خلقه في الحب والجمال، إذ في الحب قوة الخلق، لأن الله تعالى أحب الإنسان فخلقه، ليكون مرآة تتشرب جماله وتعكسه للآخرين من المشاهدين، ومن هنا فالوجود مسؤولية توجب على الإنسان صيانة "موجوديته". وأما الموت عند المسلمين فهو تلك النقطة من الحياة التي يصل إليها الإنسان، ليلج فضاء الزمان الأخروي، ففي تعمق سر الجمال تظهر في نظره الحقيقة، وهي أبدية الجمال التي تستلزم أبدية المحب المشتاق، الذي يراد به الإنسان.

وقال الاستاذ محمد إسماعيل الزين في مستهل عرضه، أن عنوان المداخلة هو كيف ننقذ آخرتنا، وهو عنوان يوحي في رأيه بأن آخرة المرء في خطر، وذاك

ما ركز عليه العرض وهو أن توجيه التفكير إلى العقل بإنقاذ الآخرة يحرك في المرء هاجس التفكير في هول ذلك اليوم العظيم، ولكن النورسي يعكس المشهد ليبرز أن القبر بوابة إلى عالم جميل، ذلك لأن النفس مجبولة في الحياة الدنيا على رؤية الجمال والقبر يمثل هدما لهذه اللذة، لكن من خلال الإلحاح على أن القبر رياض جميلة، الشيء الذي يجعل معركة الموازنة دائما حاضرة، وقد لفت العرض الانتباه إلى توصل النورسي إلى أن ما يجري على ابن آدم من أحوال الدنيا تنذر الغافل بقرب المصير المحتوم.

وتدخل مروان علي من العراق مشيرا إلى أن هناك مصطلحات صوفية كثيرة وردت في الرسائل تعتبر جزءا من القاموس الصوفي، كمصطلح العشق، عادا ذلك دليلا على صوفية الرسائل، ثم تساءل كيف يمكن الاستفادة من منهج النورسي في تزكية النفوس؟

أكد أبو بكر أحمد من العراق أن العالم الغربي وإن كان متقدما ماديا فهو منهار روحيا، وتساءل عن الكيفية التي يتأتى بها زرع الإيمان في قلوب وعقول الناس.

وتدخل الدكتور محمد جكيب فتساءل عن حدود الوجود في ظل عبارة الأستاذ أديب الدباغ "سجناء الوجود"، وعن الكيفية التي تمكن من التعامل مع رحابة الوجود في ظل المراد من العبارة؟

وأما الدكتور عبد المجيد النجار فاعتبر السجن في عبارة "سجناء الوجود" أمرا سلبيا، وذلك لأن الوجود منة إلهية والسجن عذاب، وتساءل عن الكيفية التي يستقيم بها الإيجابي مع السلبي، وذكر بنظرية تعتبر الوجود من إضفاء العقل، بمعنى أن الوجود مجرد إحساس عقلي، ومن ثم فوجود الفرد هو ما يحسه العقل بخصوص هذا الوجود.

وبخصوص عرض أ. محمد الزين قال بأنه لم يجد في بحثه شيئا موجها للشباب، وقال إن الشباب في حاجة إلى نوع من التوجيه، وإلى أسلوب خاص، ثم علق على عبارة "لا فائدة من الدعوة إلى الإيمان بالآخرة، قبل الإيمان بالله"، بإمكانية ذلك نظريا لكن عمليا هذا عكس ذلك، إذ يمكن الوصول واقعيا إلى الإيمان بالله من خلال الإيمان بأمور أخرى.

وتدخل د. وريكات، فألح على وجوب التمييز بين حوار الأديان وحوار الحضارات، بالنظر إلى ما يخفيه حوار الأديان من أبعاد سياسية، مؤكدا بأنه لا يرى مانعا من حوار الأديان.

وتدخل د. نسيم الندوي بإثبات ضرورة قيام حوار للأديان وأشار إلى ثم استحضار بعض الخصوصيات، كالهند التي تفرض ظروفها الدينية نوعا من الحوار وختم بالإشارة إلى أنه لو حضر معنا الهندوس والنصارى في الندوة لتغير الخطاب.

ثم فتح باب الردود، فعلق الأستاذ أديب الدباغ، بالقول إن المقصود من عنوان البحث هو إظهار أننا موجودون، لكن دون استطاعة التخلي عن وجودنا، أو الرجوع عدما. وأما حدود الوجود فالمراد هو إما أن يكون في دائرة العلم أو أن يكون في دائرة القدرة، بالإضافة إلى أن حدود الوجود هي تلك الحدود التي يحددها الله.

ثم فتح المجال للأستاذ محمد الزين لكي يعلق على المداخلات، فقال بأنه خصص حيزا مهما من عرضه للشباب، لمعرفته بما يحيكه الكائدون ضد الشباب، ولذلك فهم في حاجة إلى عناية خاصة، وألح على أن الدعوة مطالبة بتوظيف موضوع الآخرة، مع التشديد على أسبقية الإيمان بالله على الإيمان بالآخرة من الناحية الإجرائية.

كان الحضور في اليوم الثاني على موعد مع عروض الجلسة الرابعة، وافتتح عروضها الدكتور نسيم الندوي، الذي استهل عرضه بالإشارة إلى كون مشاركته مجرد محاولة للتأمل والفهم فيما كتبه النورسي عن الآخرة، وقال بأن النورسي قاوم أعداء الدين لكن دون الدخول في مواجهة معهم، وقد جال في خاطره عند قراءة الرسائل حال الهند، والكثير من الشخصيات الهندية، لأن ما عرفه النورسي في حياته من سجن ومواجهة لأعداء الدين ذكره بحياة العديد من علماء الهند الذين ساهموا في تحرير الهند، وقد لمس عندما اطلع على أفكار النورسي حاجة العصر إلى علم كلام جديد، وخلص إلى أن من الأهداف الرئيسية لرسائل النور إيقاظ الإيمان في نفوس المسلمين، والنورسي في نظره لم ينتهج منهج الفلاسفة، أو منهج المتصوفة ولا مناهج المتكلمين لإثبات مباحث الإيمان، بل اتبع منهجا يعتمد الإقناع بالحقائق الإيمانية، لأن العصر عصر الحقائق الإيمانية، الأمر الذي فرض على النورسي توظيف خطاب شامل لا يميز بين العلوم الدنيوية والعلوم الدينية، ويعم المسلمين وغير المسلمين.

وأما موضوع إثبات الآخرة فلاحظ أن النورسي اعتمد على القرآن، حيث تبلور في تصوره من خلال الأدلة التي ساقها أن عقيدة الآخرة حاجة فردية واجتماعية، تتجسد في حياة الأطفال والشيوخ والشباب والأسرة.

وأما عرض "الآثار التربوية والاجتماعية للإيمان بالآخرة" للدكتور آزاد سعيد سمو، فقد تحدث عن تقسيم الله للحياة إلى مرحلتين مرحلة الحياة الدنيا ومرحلة الحياة الآخرة، وجعل الموت هو الحد الفاصل بينهما، واعتبر من الخطإ الظن بأن الموت هو نهاية الحياة، ثم قارن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، فبين:

ـ أن الحياة الدنيا قصيرة، والآخرة طويلة.

ـ أن الدنيا دار عمل وابتلاء، والآخرة دار الجزاء.

ـ إمكانية الندم والتراجع في الحياة الدنيا، استحالة التراجع والندم في الحياة الأخرى.

وخلص إلى أن الحياة الدنيا لا تساوي شيئا أمام الحياة الأخرى, ثم أكد بأن من بين الأهداف التي بنى النورسي عليها منهجه في تربية طلابه هو ربطهم بالآخرة، ثم سرد مجموعة من آثار الإيمان بالآخرة في رسائل النور، فوزعها إلى أثار تربوية، وآثار اجتماعية، وتتجلى الآثار التربوية التي دعت إليها رسائل في ترسيخ كون الدنيا دار عمل والآخرة دار أجر، وتتجلى كذلك في تسخير الحياة الفانية لكسب الحياة الباقية، وفي كون الإيمان بالآخرة يؤدي إلى إصلاح المذنبين، وإلى تحمل المشاق في سبيل الله. وتتجلى الآثار الاجتماعية في كون الإيمان بالآخرة يؤدي إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإلى تماسك الأسرة .

كان الحضور بعد ذلك على موعد مع عرض الدكتور أبو الهدى الحسيني الذي أشار في البداية إلى أن عقل الإنسان وقلبه يبقيان في حيرة أمام غاية الوجود، بصفة عامة وغاية وجوده هو بصفة خاصة، وبين بأن الأنبياء يملكون مفتاح الطلسم، وخاصة أمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، والمفتاح هو الإيمان بالله وباليوم الآخرة.

ويعد بديع الزمان النورسي في نظره من عظماء من تنبهوا لذلك، فبين أبعاد ذلك المعرفية والتربوية، فمن قدرته تعالى خلقه تبارك وتعالى لكل شيء وعجز غيره عن ذلك، وذاك ما يجسد في نظر النورسي قدرة الله على خلق الآخرة.

ويتوصل المتأمل في الرسائل إلى حقيقة الإيمان بالآخرة، من خلال العديد من الأدلة، كأدلة تبدل الطبيعة المحسوسة، وأدلة العدالة الإلهية، وأدلة استخلاف الإنسان في الكون، وأدلة المشاهد الحسية النبوية للآخرة، وأدلة الخبر القرآني.

وأما ماهية الآخرة في المنظور المعرفي، فبين بأن النورسي لا يسلك سبيل الأدلة، بل يعبر عن الشعور الإيماني المجرد، كتصوير ماهية الموت، وتصوير ماهية القيامة، وتصوير ماهية العالم الآخر.

وأما بخصوص البعد التربوي للإيمان بالآخرة في الرسائل، فاعتبره النورسي عنصر أمل في حياة الإنسان يقيه من الوقوع في الكآبة والحزن والإحباط، ومن هنا لمس وجود آثار للإيمان بالآخرة في تربية الأطفال، وفي استقرار وثبات الكبار. وخلص إلى بيان أن أكثر علماء العقائد قد قرروا أن الإيمان تابع للمعرفة وليس عينها، مؤكدا بأن الإيمان بالآخرة قد احتل حيزا مهما من رسائل النور نظرا لأهميته، وبأن النورسي يعتبره جزءا معرفيا وتربويا.

تدخل الدكتور عبد المجيد النجار، خلال جلسة المناقشة، فنبه إلى ضرورة وضع مقولات المتكلمين في سياقها التاريخي، وكذلك استدلالاتهم.

وأما بخصوص عرض الأستاذ آزاد فقد أشار إلى أنه في حديثه عن الأجر الدنيوي، والأجر الأخروي، بدا وكأنه يقصي الدنيوي، والجمع بينهما هو المطلوب، مؤكدا عدم جواز تحقير الأمر الدنيوي.

وتدخل أ. محمد إسماعيل الزين، فتوقف عند عبارة الكرامات الواردة في عرض نسيم الندوي، وتساءل إن كان ذلك من تعابير الأستاذ أم من استنتاجه. وأضاف بأن الحكم على أهل التصوف بأنهم يجعلون الإيمان لغزا، أمر لا يتفق معه ولا يقبله، قد يوجد ذلك في بعض الكتب، لكن الكتب الرئيسة لا يوجد فيها ذلك.

وتدخل الدكتور محمد جكيب فبين أن الخلاصة التي يمكن الخروج بها من قراءة الرسائل، هو جوابها عن كثير من الإشكاليات الحياتية المطروحة، لأن النورسي قدم الجواب بأسلوب يلائم متطلبات العصر، ولذلك اعتبارها تفسيرا حديثا خاصا للقرآن، ولاحظ بأن ما قدم في الندوة هو عبارة عن تحليل وعرض لأفكار النورسي، مع الدعوة إلى الاستفادة من أفكاره في مجالات التربية والبناء الحضاري والاجتماعي، واقترح ضرورة التفكير في آلية منهجية تحول فكر النورسي القرآني إلى أدوات ملموسة، وأكد بأن ما يقوم به طلاب النور يمكن اعتباره لبنة أساسية يستفاد منها.

وتدخل الدكتور خالد الصمدي فأشار إلى أن قضية الآخرة قد شابها في بعض العقائد الكثير من الشوائب، وتساءل ألم يتعرض النورسي لمناقشة من ناقشوا موضوع الأديان، والتمس إمكانية تسليط الضوء على العقائد القديمة الموجودة في الهند.

وتدخل أحدهم فلاحظ بأن موضوع الطفل قد أخذ حيزا مهما من مناقشة أغلب العروض، وأكد بأن القرآن كان سباقا إلى الاهتمام بموضوع الطفل، وأكد بأن الطفولة سن تتحدد فيه شخصية الطفل، وطلب من أبي الهدى أن يؤيد كلامه. والتمس تبسيط الرسائل حتى تكون في متناول الأطفال.

أكد د. آزاد سعيد في رده أنه لم يرفض في عرضه الدنيا وأجرها، وبأنه لا يمكن العيش دون الحصول على الأجر الدنيوي، إذ لابد من الموازنة بين الدنيا والآخرة.

وأما د. نسيم الندوي فقال بأنه كان يقصد علم الكلام القديم، لكنه في الآن نفسه أكد أن النورسي آمن بضرورة تأسيس علم كلام جديد، يراعي الخصوصيات التاريخية التي كانت محيطة به، ثم بين بأن علماء الهند لهم

مواقف تشبه إلى حد بعيد مواقف النورسي وخاصة في ضرورة الأخذ بالعلوم العصرية.

وبخصوص أسلوب النورسي في الإقناع والاستفادة منه في مناقشة أهل العقائد المختلفة في الهند، فقد أكد نجاعة الأسلوب لكن الإشكال يكمن في كون الهنود يقتنعون ولكن لا يقبلون ما اقتنعوا به.

توجه أبو الهدى للدكتور عمار جيدل معاتبا سامحك الله فأنت لم تقرأ العنوان جيدا إن بحثي عبارة عن مقدمات.

وبخصوص كون البحوث عبارة عن تقديم لأفكار النورسي فقد أشار إلى أن البحث يقع في حوالي ٤٠٠ صفحة وما قدم هو عبارة عن خلاصات، وأما بخصوص النتائج العملية، فقال بأنه إن أردنا أن نختصر في نهاية البحث خلاصة يمكن توظيفها في مجال الدعوة فلابد من إعادة ترتيب البنى الدعوية قبل الحديث عن الخطوات العملية والمنهجية.

كان الحضور بعد فترة الاستراحة مع الجلسة الأخيرة، والتي شارك فيها كل من الدكتور عبد الكريم وريكات، بموضوع "موقف بديع الزمان النورسي من علامات الساعة"، والدكتور برهان محمد إدريس منهج النورسي في الربط بين الأمور الدنيوية وأمور الآخرة.

اعتذر وريكات في بداية عرضه عن الاضطراب الذي قد يلاحظ على العرض نظرا لأنه كتبه على عجل، وانتقل إلى مناقشة بعض القضايا المرتبطة بعلامات الساعة عند النورسي وأوضح أنه يعد تلك العلامات كآيات القرآن المتشابهة لا المحكمة، إضافة إلى عدم قدرة الناس جميعا على معرفتها، وأما علامات الساعة عند النورسي كما بين العرض فهي الدجال، الذي ذهب النورسي في تفسيره مذهبا خاصا، من ذلك تفسيره للكتابة الموجودة بين عينيه بأنها هي القبعة

الأفرنجية، وناقش نزول عيسى عليه السلام من السماء، كما ناقش علامة ياجوج وماجوج، التي تأولها النورسي بكونها هم المغول والمانجو، وعلامة طلوع الشمس من مغربها، وخراب السد، وقضية ظهور المهدي المنتظر، وعلاماته، ووظائفه.

وبعد هذا العرض كان الحضور على موعد مع المداخلة الثانية في الجلسة وعرض في البداية أن الرسائل هي إلقاء نظرة واقعية لأمر الحياة خلاف النظرة السطحية لأمور هذه الحياة التي يظن خطأ معرفتنا بها، ثم بعد قراءة الرسائل يكتشف أن مقصود الشارع مخالف لما يعتقد، فقد استطاع النورسي ربط أمر حياة الإنسان بواقع آخرته، وعلى أساس ذلك عرض تناول النورسي للكثير من القضايا كالمقارنة بين حياة الإيمان وحياة الكفر، وحقيقة الانتماء إلى الله الذي هو سر الكرامة إذ كلما اقترب الإنسان من الله تحسنت مكانته بين من حوله، وعرض لحقيقة الصلاة وقيمتها وألح على الأسلوب المتفرد للنورسي في تناولها، وأما الإيمان بالآخرة فقد حول أسلوب النورسي الخوف منها، إلى أمن ومتعة وقوة.

فتح النقاش فتدخل الدكتور خالد الصمدي، فعلق على عرض الدكتور وريكات في قضية التأويل، مشيرا إلى أن البحث فتح مجالا آخر للبحث وهو منهج التأويل عند النورسي، في ظل الفرق الشاسع بين الظاهر والباطن، وختم بطرح سؤال عن مدى إمكانية الحديث عن منهج للتأويل عند بديع الزمان النورسي.

وتدخل الدكتور عمار جيدل فأشار إلى أن مصطلح التأويل يحتاج إلى ضبط، مؤكدا بأن النورسي يقصد المهدي حقيقة وأضاف بأن الإيمان بالمهدي يشجع على العمل.

وتدخل الأستاذ أديب الدباغ فذكر بأن النورسي يقول بأن في كل عصر من العصور يوجد معنى للدجال ومعنى للمهدي.

وفتح باب الردود، فبين الدكتور عبد الكريم وريكات، أنه لم يكن يقصد من خلال طرح قضية المهدي عند النورسي إثارة سجال وأكد بأنه كان يقصد صحة النقل فإذا تأكد النقل تأكد الخبر.

وبخصوص الرد على د. عمار جيدل قال بأنه يتفق معه في ضرورة تحديد المصطلح.

وكان مسك الختام كلمة الأستاذ عبد الله فدعق الهاشمي من مكة المكرمة، الذي شكر المنظمين على جهودهم وثمن العروض التي مكنته من التعرف على الرجل، الذي كان يركز دائما على الإيمان الذي هو مرتبة تسبق الإحسان، وأكد بأن حوار الأديان لا ينبغي أن يتأتى إلا بعد أن يتم الاعتراف بالإسلام دينا سماويا.

فهرس

منهجية النورسي

أ.د. عبدالمجيد النجار ٥

ذكرى الدار

أ.د. محمد زكي محمد خضر ٣٥

عقيدة الآخرة

أ.د. عمار جيدل ٤٩

مقاصد الإيمان بالآخرة

د. خالد الصمدي ٧١

عقيدة الآخرة في رسائل النور

د. محمود أبو الهدى الحسيني ١٠٣

عقيدة البعث في الشريعة الإسلامية

د. محمد بوزغيبة ١٢٣

سجناء الوجود...!

ذ. أديب إبراهيم الدباغ ١٤٥

منهج النورسي في الربط بين الأمور الدنيوية وأمور الآخرة

د. برهان محمد إدريس ١٥٣

الآثار التربوية والاجتماعية للإيمان باليوم الآخر

د. آزاد سعيد ١٦٥

منهج النورسي في إثبات الحياة الآخرة

د. نسيم أختر الندوي ١٨٣

منهج بسط عقيدة الآخرة في رسائل النور

د. محمد جكيب ١٩٧

خطاب الشباب للتفكر في يوم الحساب

ذ. محمد إسماعيل الزين ٢٣٧

عقيدة البعث في رسائل النور

أ.د. سعيد فكرة ٢٤٧

حاشاك حاشاك يا رب حاشاك

ذ. أديب إبراهيم الدباغ ٢٥٩

التقرير النهائي.. ٢٦٥